ترسانهٔ عامره حکیم باشیسی السید محمد نظیف
افندینک خیراتیدر
سنه ۱۲۵۹



۲

سورة مريم مكية الا اية وهي ثمانون او تسع وتسعون الاية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الغات اسماء التهجي
ياات وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ونافع بين بين
ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجا عند الذال والباقون يدغمون
ذكر رحمت ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القران فانه مشتمل
عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدا حذف خبره
اي فيما يتلى ذكرها وقرئ ذكّر رحمة ربك على الماضي وذكّر على الامر عبده
مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني
جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا لان
الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا
يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين
خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه فقيل ستون
وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب اني وهن
العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة
البدن وعظم اصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن
وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في
الحركات الثلث واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته
بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج

الاستعا

وقف

الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذي هو محل الشيب مبالغة وجعله
مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب
بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت
لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن
معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم
ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه لانهم كانوا شرار بني
اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي
بعد موتي وعن ابن كثير المد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف
او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون
الامر من ورائي وقرئ خفّت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا من اقامة
الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت
وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك وليا من صلبي يرثني ويرث من ال
يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على جواب الدعاء والمراد
وراثة الشرع والعلم فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال وقيل
يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو ابن اسحق
عليه السلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن ماثان من نسل سليمان
وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في
علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه
قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد

باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم
احدا بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى
وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في
الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول من فعل كيعيش ويعمر
قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب انى
يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا يبوسة
في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين
فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرئ
حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز
عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة
ولذلك قال اى الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر
كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة
الى مبهم يفسره هو على هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ بالواو وهو على
هين اى الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون على او كما
وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول
قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما
صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد
خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال
آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك ~~المنع~~

من

من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه
استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن
فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم
بقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا
ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر
قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة
يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب اى التورية بقوة بجد واستظهار
بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة
احكم الله عقله في صباه واستنبأه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه
او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة وطهارة
من الذنوب او صدقة اى تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق
على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما
ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من الله يوم ولد
من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب
القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة واذكر في الكتاب
في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اذ اعتزلت بدل من مريم بدل
الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم
قصتها او بالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر
وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فيكون بدلا

لامحالة من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك
اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت
متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا ساترا فارسلنا اليها
روحنا فتمثل لها بشرا سويا وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض
محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت
وتعود اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبرائيل عليه السلام
متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستانس بكلامه ولعله ليهيج
شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية
عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي
ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف
اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما
لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله
سبحانه ويؤيده قراءة ابو عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا
طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير
والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل
بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث
بها او فجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك بغيا عليه وهو
فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك
لم

لم يلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم يلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب
كطالق قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك
لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات
آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد
يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل او قدر
وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة
فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها
سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر
سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها
كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال
مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها
المخاض فالجاءها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص
به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر
مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة
لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن
وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء
والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم
عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن

رؤيتها او يطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني
مت قبل هذا الامر استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو بكر
وابو عمرو ويعقوب من مات يموت وكنت نسيا ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب
ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر
سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله
لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع
فناداها من تحتها عيسى وقيل جبرئيل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل
من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر
والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني
اى لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روى
مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة
واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او فعلي الهز والامالة به او هزي الثمرة
بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تساقط فادغمت
التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص
تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط
فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها النخلة
كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعله
الله تعالى لها راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات
الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش

و

والمنبهة لمن رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر
ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام
ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي من الرطب وماء السري
او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك
وقرئ وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين
اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان
دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين
وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا
وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف
اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما
وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم
بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة
وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع
في قطع الطاعن فاتت به قومها راجعة اليهم بعد ما طهرت
من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا
بديعا منكرا من فرى الجلد اذا قطعه يا اخت هارون يعنون هارون
النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من
نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم
شبهوها به تهكما او لما رأوا من قبل من صلاحها او شتموها به ما كان

ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فريا (كبيرا)
وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى
اى كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا
في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن
فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله
انطقه الله به اولا لانه اول المقامات والرد على من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب
الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ
الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل
اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اين ما كنت حيث كنت واوصاني وامرني
بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس من الرذائل
ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه
مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اى وكلفني برا
ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا
عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم
ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس
والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه
عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه
تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اى الذى
تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب
لهم

لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله الموصوف
باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اى هو
قول الحق الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق
او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ
عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ
قال الحق وهو بمعنى القول الذى فيه يمترون في امره يشكون او
يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ
بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى
وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت
لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة
في اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب
وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره
في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولان
وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود
والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا
هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله
ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم
هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من
مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة

والانبياء والسنتهم وايديهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها
وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان
اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا اي يوم القيمة جدير بان يتعجب
منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون
يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق
بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في
موضع النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اوقع الظالمون
موضع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع
والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين وانذرهم
يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة
احسانه اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة
والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون
متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم غافلين
غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن
عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى
الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا
يرجعون يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا
ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق من غيوب الله
واياته وكتبه ورسله نبيا استنباه الله اذ قال بدل من ابراهيم وما

بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء
معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما يذكر
للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك
ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب
نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ
احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب
العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون
اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء
التام والانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب
ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان
حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف
العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما
يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا
لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط
المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي
فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا
سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه
كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع
خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث

انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان وكانه يحسن ذلك وبين وجه الضرر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولي النعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فيكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء

التوفيق

التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وتصدير الكلام بعسى للتواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انهم لما قصد الى الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على انفراده وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرا الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه

احصى وأجلى وناديناه من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من
اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل
له الكلام من تلك الجهة وقربناه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته
تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد
الضميرين وقيل مرتفعا من الجو فهو الارتفاع لما روى انه رفع فوق
السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا
او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته
واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول
او بدل هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل
انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به الموصوف باشياء
في هذا الباب لم يعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح
فقال ستجدني انشاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان
الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على
شريعته وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو
ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم
نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم وكان عند ربه مرضيا
لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس وهو سبط شيث
ابن ابن
وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده

منع

منع صرفه ولا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب
به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من
خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا و
رفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة
وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة
من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية
والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه باعادة
الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من
الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من
من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابرهيم اي ومن ذرية
اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل
على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هدينا
الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن سجدا
وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستيناف ان جعلته
خبره لبيان خشيتهم من الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا
القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في
جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقي وقرا حمزة
والكسائي بكيا بكسر الباء فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم
عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا

الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر
واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي كرم الله
وجهه واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور
فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة
اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها
الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الاية في الكفرة فاولئك يدخلون
الجنة وقرأ ابن كثير وابو بكر وعمرو ويعقوب على البنا للمفعول
من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم
ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق
لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض
لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع انه خبر محذوف هي
وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة
ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده
بالغيب اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم
بايمانهم بالغيب انه اي ان الله كان وعده اي الذي هو الجنة مأتيا يأتيها
اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا
منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا
يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم
بعضهم

بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا
فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو
من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق
ودروره تلك الجنة نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة
تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ استعمل
في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا يعقبها فسخ ولا استرجاع
ولا يبطل برد ولا اسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت
لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبرائيل حين استبطأه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح
ولم يدر ما يجيب ورجى ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة
عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان
ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول
مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت
الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي
له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحا
والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره

ومشيئته وما كان ربك نسيا تاركا لك اى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به
ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان
لحكمة رآها فيه وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة
والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة
والمترقبة والحاضرة فما وجدناه ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من
الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع
النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته
خطاب للرسول مرتب عليه اى لما عرفت ربك بانه لا ينبغى له ان ينساك او اعمال
العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحى وهزء
الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من
الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا
يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم
الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعاليه عن المماثلة
بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صح ان لا احد مثله
ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته
والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان القول
مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل
واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابى بن خلف فانه اخذ عظاما
بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت لسوف
اخرج

اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف
الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج
لا بيخرج فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهى هنا مخلصة للتوكيد مجردة
عن معنى الحال كما اخلصت الهمزة واللام فى يا الله للتعويض فساغ اقترانها
بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة
على الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول ووسط همزة الانكار
بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان تتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات
هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل انا
خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم [جواب لو] ذلك فانه اعجب من
جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرئ
نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد
به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه تعالى
مضافا الى نبيه صلى الله عليه وسلم تحقيقا للامر وتفخيما لشأن الرسول عليه
السلام والشياطين عطف او مفعول معه لما روى ان الكفرة يحشرون
مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة
وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا
حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا
معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه
فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة و

ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم
عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع
التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف
جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان
المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم
اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وان فسر الانسان بالعموم
فالمعنى انهم يتجاثون عند موافات شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة
وقرئ لحمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم لننزعن من كل شيعة
من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى
واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا
من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم
اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا طبقتها
التي تليق به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر
الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف
صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ
منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد
والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم
اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة
والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض
كل

كل شيعة وعلى اما ان يتعلق بمحذوف يفسره ما بعده اما بشيعة لانها
بمعنى يتشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن
اعلم بالذين هم اولى بها صليا اى لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى او
صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا
رؤسا الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرئ حمزة
والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد وان منكم وما منكم التفات الى الانسان
ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر
بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام
سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار قال بعضهم لبعض
اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة
واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز
على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم
واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل
اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب
ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا
منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان
المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا
بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات
المعاني بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين

آمنوا لاجلهم او معهم اى الفريقين اى المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع
قيام او مكانا وقرا ابن كثير بالضم اى موضع اقامة ومنزل واحسن نديا
مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات وعجزوا عن معارضتها
والدخل عليها اخذوا فى الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة
حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال
وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورءيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن
بيانه وانما سمى اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم
واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثى ما رث
والرئى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرا قالون وابن عامر
وابن ذكوان ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انه من الرى الذى النعمة
وابو بكر ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا من الزى وهو الجمع
فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار
على الفضل والنقص ما يكون فى الاخرة بقوله من كان فى الضلالة فليمدد
له الرحمن مدا اى يمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ
الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغى ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله
تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين
امنوا اى الفريقين خير اى قالوا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب

واما

واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين
عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم
فيه من الخزى والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا
الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو
جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اى فئة وانصارا
قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم
بظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف
على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة
الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمنين منها ليس لنقصه
بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد
لانه فى معنى الخبر كانه قيل من كان فى الضلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد
المقابل له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التى تبقى عائدتها ابد
الاباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوة الخمس وقول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة
من النعم المخدجة الفانية التى تفتخرون بها سيما وماالها النعم المقيم
ومال هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا و
الخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء
اى ابلغ فى حره منه فى برده افرايت الذى كفر باياتنا وقال لاوتين
مالا وولدا نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال

له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث
قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية
اقوى سند الاخبار استعمل ارأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر
بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرا حمزة والكسائي ولدا وهو
جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من
عظم شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى
ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا وتألى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ
من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين
وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما
كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما يقول
سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي يتبين
اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه
فان نفس الكتبة لا يتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله او نزيد
عذابه ونضاعف لكفره وافترائه واستهزائه على الله تعالى ولذلك اكده بالمصدر
دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا
يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا عن ان يؤتى
ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون
الله الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة
الى الله

الى الله تعالى وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون
بعبادتهم ستجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين
اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول
اذ المراد بالضد ضد العز اي ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى تكون
معونة في عذابهم بان يوقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي ويكونون
كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به
مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله عليه السلام وهم
يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب
الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا
الرأي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون
بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم
عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات
وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل
الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت
به الايات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت
والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام
آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي

غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق
الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين
بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم و
نسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من
يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون الشفاعة
الضمير فيها للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع
العصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله
اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن من قولهم
عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير
او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل
الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين
الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة
في الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم
المنكر والادة الشدة وادني الامر واداني اثقلني وعظم علي تكاد السموات
وقرا نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى
وقرا ابو عمرو وابن عامر وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ وحمزة

لان

لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل
التكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة
او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه
الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه
الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب
الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها
ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام
وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع
على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها
دعاؤهم الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين
وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى
نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن
ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه
مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة
ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولي اصولها وفروعها
فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات
والارض اي ما منهم الا اتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوي اليه
بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم
واحاط بهم بحيث لا يخرجون من حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا

عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة
فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك فيتخذه ولدا او لا يناسبه
ليشركه به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث
لهم في القلوب مودة من تعرض منهم لاسبابها وعن النبي عليه السلام اذا احب الله
عبدا يقول لجبرائيل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في اهل السماء
ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين
لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان
الموعود في القيمة حين يعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم
من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله
لتضمن يسرناه معنى انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى
وتنذر به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اي شق من المراء
لفرط لجاجتهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير
للرسول على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع
لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء
ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز للمال المدفون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد كل من كذب
زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها
وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله سورة طه مكية وهي مائة
وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير

وابن

وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش
لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف ومن قال معناه يا رجل
او يا طاهر او يا هذا او قيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله
يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة
طه في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون
قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول صلى الله عليه وسلم
بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله
طأ لكن قلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع
ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها
والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على
صورة الحروف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما
باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه
مأول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان
جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستيناف ان كانت جملة فعلية
او اسمية باضمار مبتدا او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا
عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان
تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شايع
بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله
عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة

فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل
عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز
ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد
لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال او مفعول له على ان لتشقى
متعلق بمحذوف هو صفة القرآن اي ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب
بتبليغه لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله
منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او
بيخشى او على المدح او على البدل من تذكرة ان جعل حالا او ان جعل مفعولا له
لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات
العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم
المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض
والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر
عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث
الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقدير وانزل
منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال
الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما
تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة
وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها
على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله
ودعائه

ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس
وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير
النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع
والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية تبين انه المتفرد
بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن
في ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن
في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم
الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب
الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون
انزلنا حكاية كلام جبرائيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن
خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح
دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من
الارض وهو آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى
على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها
وهل اتيك حديث موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به
في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه
السورة من اوائل ما نزل اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول
لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج فلما
وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة

وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور
نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم وقرا حمزة لاهله امكثوا هنا وفي
القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها فيهما اني آنست نارا ابصرتها
ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس
بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق
او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان
حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجا بخلاف الايناس فانه كان محققا و
لذلك حققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها
مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت
بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتيها اتى النار وجد نارا بيضاء
تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو
اى باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد
والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله فاني اسمعه من جميع الجهات وبجميع
الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل
ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو
وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف
حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ
قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس

يحتمل

يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل
المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اى نودي نداءين او قدس
مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى
للذي يوحى اليك او للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله
لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو
منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر
وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء
او لذكري خاصة لا تراءي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي
مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة
او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري ان الساعة
آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا
اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت
به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه
اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا
يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهى الكافر
ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا اريتك ههنا تنبيها
على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي
ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هويه

ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فتقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك
بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريد فيها من العجائب
بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس
والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا
اعييت او وقفت على رأس القطيع واهش بها على غنمي واخبط الورق بها
على رؤس غنمي وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته
وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب
اخرى حاجات اخرى مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها اداوته
وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله
بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال
ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك
الحقيقة ووجد فيها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتاها بالليل
كالشمع وتصير دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البير وتحارب عنه اذا
ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها
علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست
من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس
العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى
فالقيها فاذا هي حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا
ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة

باعتبار

١٩

باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان
وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف فانها لما رآها حية
تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى
هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة و
انتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف
اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيدها العصا بعد ذهابها تسير
سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت
نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك اي جنبك تحت
العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا
بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير
عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوء عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر
عنه آية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او
مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او دل
عليه آية اخرى او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا
او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه
الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله
بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر
على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث الاسباب ورفع
الموانع وفائدة الى ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا

ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان
في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها
فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمرة والياقوت فاحضرا بين
يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده
واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي
ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله
قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد
يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام و
لذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة
وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي يعينني على ما كلفتني
واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوَزَر وهو
الملجاء لان الامير يعتصم برأيه ويلتجاء اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله
ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته
واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به
ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلي
ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدا
خبره اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا على لفظ الامر وقرأهما
ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج
الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا

وان

وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت
سؤلك يا موسى اي مسؤولك فُعْل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز و
المأكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت اخر اذ اوحينا
الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة
كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به
لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان
الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى
وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه
اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة
به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع وامره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر
والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر
والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو
لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير العدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع
والثاني باعتبار المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم
قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه
فاداه الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت
مزاحم فامر به فاُخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا
كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب
بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق

مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب فظاهر اللفظ ان اليم القاه
بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل
بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك
والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل
مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع
بالنصب وفتح التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري
اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها
وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه لا يقبل ثدي المراضع
فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها
فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا
تحزن هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس
القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب
الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا
وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجرة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى
وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي
راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت
سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين
على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك
غير

غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى فيه
الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك
واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه
الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا
تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما
وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى
وحده وها هنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع
باقباله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك
فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان
يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلث
كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده و
ملكا لا ينزع الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا
الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس
متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن
الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر
للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم
يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل
علينا بالعقوبة ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم
ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على

العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من التكبر او خوف على الملك او شيطان انسى
او جنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية او ان يطغى ان
يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغى لجراءته وقساوته واطلاقه
من حسن الادب قال لا تخافا اننى معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى
ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث فى كل حال ما يصرف شره عنكما
ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لا يقدر شئ على معنى اننى حافظكما سامعا
مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فاتياه فقولا انا رسولا
ربك فارسل معنا بنى اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل
الولدان فانهم كانوا فى ايدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم فى العمل ويقتلون
ذكورهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص
المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج فى
الدعوة قد جئناك باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من
دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان المراد اثبات الدعوى
ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة
فات باية او لو جئتك بشئ مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة
وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة فى الدارين لهم انا قد اوحى الينا ان
العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير
النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اول الامر اهم وانجع
وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اى بعدما اتياه وقالا له ما امرا به
ولعله

ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشئ فعله لا محالة وانما خاطب
الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف
ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى
هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذى اعطى كل شئ من الانواع خلقه صورته
وشكله الذى يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون
به وقدم المفعول الثانى لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق
والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول
الثانى محذوفا اى اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى
وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره
واعرابه عن الموجودات بامرها على مراتبها ودلالته على ان الغنى القادر بالذات
المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه ومنعم عليه فلم يبق
الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة
والشقاوة قال علمها عند ربى مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا
لتمكنه فى علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربى ولا
ينسى والضلال ان تخطئ الشئ فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب
عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون
سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشيا كلها وتخصيصه ابعاضها بالصورة
والخواص المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشيا وجزئياتها والقرون
الخالية مع كثرتهم وتمادى مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم

اى انه غيب لا يعلمه الا الله تعالى وانا عبد
مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به
فى كتاب صح

واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده
لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف او
منصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفي الزخرف مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو
مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد وسلك
لكم فيها سبلا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من
ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به
عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها على ظهور ما فيه
من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيته
وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها
امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة
ازواجا بيان او صفة اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من
نبات بيان او صفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من
حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى
اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها
للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على
ارادة القول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح اي اخرجنا اصناف
النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى ما هو الا انتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه
ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب
القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول
مواد

موادا بدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة
اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد
الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد
لشمول الانواع ولشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هي الآيات
التسع المختصة بموسى وانه عليه السلام اراه آياته وعدد عليه ما اوتي غيره من
المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال
اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير
ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج
ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك
موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان و
المكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه
بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب
في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على
مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مكان نحو وعدكم مكان
يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب
وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته
الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم
النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق

الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى
عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء
على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون
فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم
ويستأصلكم به وقرئ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب برواية رويس
بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب
من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه
فتنازعوا امرهم بينهم اى تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه
فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى
ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا
في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير
لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان
اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى
تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل
ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتداء
وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام
لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص
ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا

يريد

يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله
اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل اراد اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم
كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم
لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه
واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده
قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض
ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع
كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز
بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان
نكون اول من القى اي بعد ما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل
مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اى اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر
القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم
واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى
وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله
سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه
من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق
انها ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها خصت بان يكون
المتعلق فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت

تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما
ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر برواية
ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى
منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس
في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة
البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت
انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق
وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة
التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم
وعصيهم والق العويدة التي في يدك تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام
وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه
بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التائين وتاء المضارعة يحتمل التأنيث
والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع
على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته
انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما
كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية
الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه
وانما وحد الساحر لان المراد الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر
اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس

ما

ما اعدت في سعي دنيا طال ما قد مدت كانه قيل انما صنعوا كيد سحري
حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقف فتحقق
عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزاته فالقاهم ذلك على
وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا او رغبا واعتبارا او تعظيما لما راوا قالوا آمنا
برب موسى وهرون قدم هرون لكبر سنه او لروي الآي او لان فرعون ربى موسى
في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون
على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي
لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على
الخبر والباقون على الاستفهام قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم
في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلا
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية
كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز
النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف
ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف في
وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له
واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه
لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد عذابا وابقى
اي ادوم عذابا وعقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى
به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي

فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه
او حاكم به انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه
في هذه الدنيا والاخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده
وقرئ تقضى هذه الحيوة كقولك صيم يوم الجمعة انا امنا بربنا ليغفر لنا
خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة
روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجده يحرسه العصا فقالوا ما
هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى ان لا يعارضوه والله خير وابقى
جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه الامر من يأت ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه
فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهناة ومن يأته مؤمنا
قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة
جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال
والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى من تطهر من
ادناس الكفر والمعاصي والايات الثلث يحتمل ان يكون من كلام السحرة حكاية عنهم وان يكون
لهم ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي من مصر
فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب
اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم
سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث يقال شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ
يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف
به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا

او

او لتعقده معنى فان جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اي
امنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف
على انه جواب الامر ولا تخشى استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف
للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق
فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك
فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني
وقيل فاتبعهم بمعنى تبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى
فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له
ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ
فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون
لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم في الدين
وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر
وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على
اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل بابائهم قد
انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة
موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين
المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما
رزقناكم لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على
التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب

ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف و
البطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين
اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع في
الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب
عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور
وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث
انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك
اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري
ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة
قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة
الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك
من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم
مع هارون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا
واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم
ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين
ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا
الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الاية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله
له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في
علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها

السامرة

السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر
وكان منافقا فرجع موسى الى قومه بعد ما استوفى الاربعين واخذ
التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوه قال يا قوم الم يعدكم ربكم
وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها نور وهدى افطال عليكم العهد
اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب
من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات
على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت
الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو
لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا
ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا
السامري لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي
بالضم وثلثتها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا
كسر فتح ضم
من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج
من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج
مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم ولانهم
فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم يكن تحل بعد
ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي فقذفناها في
النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان
العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم

من حلى القوم وهو حرام عليكم فالراى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا
ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرء ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر
ورَوح حمَلنا بالبناء للفاعل والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلى
المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعنى السامرى ومن افتتن به اول ما راه
هذا الهكم واله موسى فنسى اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور
او فنسى السامرى اى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان افلا يرون افلا
يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم
جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا يقع بعد افعال
اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم
ولقد قال لهم هارون من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامرى
كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر
تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعونى
واطيعوا امرى فى الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل
وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيده
الوجه الاول قال يا هارون اى قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا
بعبادة العجل الا تتبعنى ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به
او ان تأتى عقبى وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك الا تسجد افعصيت
امرى بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام
استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا

من اب

من اب وام لا تاخذ بلحيتى ولا براسى اى بشعر راسى قبض عليهما يجره
اليه من شدة تغيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا فى
كل شئ فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل انى خشيت ان تقول فرقت بين
بنى اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولى حين
قلت اخلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء و
الجماعة
المداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برايك قال فما خطبك يا سامرى
اى ثم اقبل عليه وقال منكرا له ما خطبك اى ما طلبك له وما الذى حملك
عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرا
حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا
له وذلك ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لا يمس اثره شيئا الا احياه
او رايت ما لم تروه وهو ان جبرائيل جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان ام
السامرى
القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرائيل يغذوه حتى استقل فقبضت
قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض واطلق
على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثانى
للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرائيل ولعله
لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرائيل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل
اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها فى الحلى المذابة او فى جوف العجل حتى
حيى وكذلك سولت لى نفسى زينته وحسنته لى قال فاذهب فان لك
فى الحياة عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك

احد فيأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس وتحاموك وتكون طريدا
وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا
في الآخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك في
الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الوعد اياه وستأتيه
لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون
من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظلت على عبادته مقيما فحذف اللام
الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار و
يؤيده القراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد و
يعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين
في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار
غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله
الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما
وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في
نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه
وان انتصب على التمييز في المشهور لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل با
لتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص
قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم
الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين

من

من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار
حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما
بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة
والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره
وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل
الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في
حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم
القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم
محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعل
ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا
ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ
الى الآمر تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير
اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة
وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا
زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى
العرب الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو
اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق
يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول
والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا

يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتاسفهم
عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم انما استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار
واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الايات نحن اعلم
بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان
لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسالونك عن الجبال
عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل
ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير
ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا
كان اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت
بالقياس الهندسي وثلثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث
باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت هو النتو
اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة
اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون
الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس
فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه
وخشعت الاصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا
ومنه الهمس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها
الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي
لا شفاعة الا شفاعة من اذن له او من اعم المفاعيل اي الا من اذن في ان يشفع له فان

الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية
وان يحتمل ان يكون من الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله
في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم
ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلون
ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير
لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا
منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم
الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها
وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما
وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت ومن يعمل من الصالحات
بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات
فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد وقرا ابن كثير فلا يخف بجزم الفاء
بغير الف ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره
ولم يهضم حقه وقرئ لا تخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل
ذلك الانزال او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلناه قرانا عربيا
كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم
يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا
حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث
الى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه

كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى
وعيده الحق في ملكوتيته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبرائيل عليه السلام
ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهى
عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم
بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال
تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب
قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على
ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا
الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز
عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة و
تصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان
يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت
احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما وقيل عزما على
الذنب لانه اخطا ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله
عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق
بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم مقدر باذكر حال او في ذلك الوقت ليتبين
لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول
به ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر

له

له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان معناه اظهر الاباء
عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا
يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان
الى اخراجهما من الجنة فتشقى فرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج
اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل
او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله
ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان
وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع و
الري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما
عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة
المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه حرف عامل
لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه
وقرا نافع وابو بكر وانك لا تظما بكسر الهمزة والباقون بفتحها فوسوس
اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة
التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانها سببه
بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما
للستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب
وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المامور به او عن الرشد حيث

طالب الخلد بأكل الشجرة وعن المأمور به اغترارا بقول العدو وقرئ فغوِي من غَوِي
الفصيل إذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم
للزلة وزجر بليغ لأولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة
والتوفيق له من جبى إلي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها وأصل
الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى إلى الثبات على التوبة
والتشبث بأسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحواء أو له
ولإبليس ولما كانا أصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو
لأمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب أو لاختلال حال كل من
النوعين بمخالطة الآخر ويؤيده الأول قوله فإما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول
فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن أعرض عن ذكري
عن الهدى الذاكر لي والداعي إلى عبادتي فإن له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف
به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لأن مجامع
همه ومطامح نظره يكونان إلى أعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها
بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان
كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ولو أن أهل
القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر
ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فإن له معيشة
لأنه جواب الشرط يوم القيامة أعمى أعمى البصر أو القلب ويؤيد الأول قال رب
لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا وقد أمالهما حمزة والكسائي لأن الألف من

منقلبة

منقلبة الياء وفرق أبو عمرو بأن الأول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير با
التغيير قال كذلك أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال أتتك آياتنا واضحة نيرة
فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها وكذلك ومثل تركك إياها اليوم
تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من أسرف بالانهماك في الشهوات
والإعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة
وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أي وللنار بعد ذلك أشد وأبقى من ضنك
العيش أو منه ومن العمى ولعله إذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله
من ترك الآيات والكفر بها أفلم يهد لهم مسند إلى الله أو الرسول أو ما دل عليه كم أهلكنا
قبلهم من القرون أي إهلاكنا إياهم أو الجملة بمضمونها والفعل على الأولين معلق يجري
مجرى أعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يشاهدون آثار هلاكهم
إن في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لكان
لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به
أو اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم وأجل مسمى عطف على كلمة
أي ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة
أو يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي العذاب ويجوز
عطفه على المستكن في كان أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين فاصبر على ما
يقولون وسبح بحمد ربك وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه
أو نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص حامدا له على ما ميزك

بالهدى معترفا بانه مولى للنعم كلها ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع إنى بالكسر والقصر
او أناء بالفتح والمد فسبح يعنى المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد
الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك
قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي
الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما
مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية
النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء
النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اى سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال
عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اى يرضيك
ربك ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون
لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير المفعول
منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا
منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمنه معنى اعطينا او بالبدل من محل به
او من ازواجا بتقدير مضاف او دونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب
بالفتح وهو لغة كالجهر في الجهر او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرة الدنيا
لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم
فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخره لك في الاخرة او ما
رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وأمر
اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل بيته او التابعين من امته بالصلوة

بعد

بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة
ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم لا نسألك رزقا
اى ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة
والعاقبة المحمودة للتقوى لذوى التقوى روى انه عليه السلام اذا
اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية وقالوا لولا يأتينا باية
من ربه باية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به
من الايات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذى
هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص
مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان
العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل و
نبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم
تأتهم بينة ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية
فان اشتمالها على زبدة ما فيها من العقايد والاحكام الكلية مع ان الاتي بها امي لم
يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان
لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد
على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء
وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او
البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا

ويجزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول قل كل اى واحد منا و
منكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون
من اصحاب الصراط السوى المستقيم وقرئ السواء اى الوسط الجيد والسوى
والسوأى اى الشر والسُوَيّ وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين
للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاول
لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على
ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي وعنه عليه
السلام من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار سورة الانبياء
مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم
بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولقوله ويستعجلونك
بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب
وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة واصله
اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص
الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اى في غفلة من الحساب
معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا
من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من
ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي
يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤون به
ويسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر

في

في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اى استمعوه
جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون
من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا
في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو
اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ
والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول
موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر
مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون بأسره في موضع النصب بدلا من النجوى
او مفعول لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة
لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق
كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط ما يهدم
امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض
جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ
حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم
فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه
بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه
كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء
باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر عليه من الآيات

الى تقاولهم في امر القرآن و الثانية و الثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت
اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام
شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون
الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه
مفترى لانه مشحون بالحقايق والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من
كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون
كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله نيفا واربعين سنة وما سمعوا
منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا
باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا و
ابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان
بالاية ما امنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الايات لما جاءتهم
افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح
للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب
لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسئلوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة
لتزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر
النبي ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرئ
حفص بالنون وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي
لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا امثالهم وقيل

جواب

جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير
له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة
الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو
جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم
ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم
ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او واحد من
ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي
لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم لقوله وانه لذكر لك
ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون
فتؤمنوا به وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم
الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه
وانشانا بعدها اي بعد اهلاك اهلها قوما اخرين مكانهم فلما احسوا
باسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف
اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط
اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان
الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه
من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا
من اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال
والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب

ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضورا من قرى اليمن بعث
اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى منادى
من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعويهم
فما زالوا يكررون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول
يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى
جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين
ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته
حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة
له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها
مشحونة بضروب البدايع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به
امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلطوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا
بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه
من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من
الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها
وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد
الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية
والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو و
تنزيه لذاته من اللعب اي بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل
الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي

البعيد

البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه
المودي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب
كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل
على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق
ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه
به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة
وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين
منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات
وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه والمراد به نوع من الملائكة متعال
عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته لا
يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي
هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر
منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما
لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استيناف او حال من ضمير قبله ام
اتخذوا الهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة للالهة
او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم
ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من
لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة
في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله

غير الله وصفت بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته
على ملازمة الفساد لكون الالهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه
حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على
الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما
من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت
فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل
التدابير ومنشا المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد
لا يسال عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية
وهم يسالون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للالهة او للعباد ام اتخذوا
من دونه الهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا
لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون دليلا من العقل
على معنى اوجدوا الهة ينشرون الموتى فاتخذوهم الهة لما وجدوا فيهم من
خواص الالهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة
للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل
على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا
يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها
الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحة بعثة
الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي من الامم

المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن
الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا
يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتوكيد
بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك و
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود
بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرا حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون
وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة
حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث
انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم
وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن
العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول
محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله
وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه
بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو
كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم
ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم
من خشيته عظمته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك

خص بها العلماء والاشفاق خوف مع الاعتناء فان عدى بمن فمعنى الخوف
فيه اظهر وان عدى بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق
انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة
وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم
بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير
واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم و
الالتحام اى كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت
السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون
واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات واقاليم وقيل كانتا بحيث
لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات
فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات باسرها
على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به
نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من
العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة
الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اى مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض
وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان لقوله والله خلق كل دابة من ماء
وذلك لانه من اعظم مواده ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء
حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف
لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي

ثابتات

ثابتات من رسا اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد
فحذف لا لامن الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة
وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك
او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من
التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع
بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب
وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي
حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون
غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك
الآيات كل في فلك اى كل واحد منهما التنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس
كقولك كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على
سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم
اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة
فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا
نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون
كما لقينا والفاء لتعليق الشرط بما قبله والهمزة لانكار بعدما تقرر ذلك كل
نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه
ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبرين بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء
مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر

والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب
تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا مهزوا به ويقولون اهذا
الذي يذكر الهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء
وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقران
هم كافرون منكرون فهم احق ان يهزا بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص والحيلولة
الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك
خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك
قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي انها نزلت في النضر
بن الحارث حين استعجل العذاب سأريكم اياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الاخرة عذاب
النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن
مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب او القيامة ان كنتم صادقين
يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول لو يعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون
منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون
على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر
لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلانه حين لا يكفون وانما
وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة او النار
او الساعة بغتة فجاءة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم
وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد

بمعنى

بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ولا هم
ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون وعد له بان ما
يفعلونه به يحيق بهم كما حاق المستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاء فعل المستهزئين
من يكلؤكم من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفي لفظ
الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر
ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا
الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل الهم الهة تمنعهم
من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر
بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد
لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بابطال
ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره
بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان
ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن
الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا
وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه
ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا ناتي الارض ارض الكفرة
ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله على ايدي
المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنون قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي

ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تُسمع على خطاب النبي عليه السلام وقرئ
بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على
تصامّهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء و
التقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامّهم وتجاسرهم ولئن مسّتهم نفحة
ادنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب
رايحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط
العدل يوزن بها صحايف الاعمال وقيل وضع الميزان تمثيل لارصاد الحساب السوي
والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم
القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم
نفس شيئا من حقها او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل
او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا
بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم
بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا
حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى
للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات
الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرايع وقيل الفرقان
النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون
ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول

وهم

وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة و
تعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له
منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا ابرهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح
واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رَشَده وهو لغة من قبل من
قبل موسى وهرون ومحمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حين قال اني وجهت
وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال
وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه
متعلق باتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه
التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال
صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية
العكوف بعلى والمعنى وانتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان تأول بعلى او يضمن
العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب
عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم
انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد
الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا
اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما
قاله على وجه الملاعبة فقالوا ابالجد تقوله ام باللعب قال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن
للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على

وذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد
من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة
منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من
التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين
الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام
من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف
وقرئ بالفتح وجُذُذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره
واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون
الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او
لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل
العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا
حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجراته على آلهة الحقيقة بالاعظام
او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم
فلعله فعله ويذكرهم ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو
ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به
الاسم قالوا فاتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن
الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا
أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله قرئ بمعنى فلعله فعله
كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما راى

من

من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت
على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق
انت كتبت هذا فقلت بل كتبته انت او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه
في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى
او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا ابتداء وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي
انه عليه السلام قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت
صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم
لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع
لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة
بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا
على اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون من دون الله
ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات
لا ينفع ولا يضر فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر
منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا
واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة
لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا آلهتكم
بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل
من اكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا

وسلاما ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة
لقدرته مامورة ومطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى
انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا
به فيها فقال له جبرائيل هل لك حاجة اما اليك فلا قال فسل ربك فقال حسبى
من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه
فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة
وكف عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة
ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت
النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم
السمندر دابة تكون اذا خرج مات ولم يحترق بالنار
وارادوا به كيدا مكرا فى اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم
برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم
اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام
وبركاتها العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرايعهم التى هى
مبادى الكمالات والخيرات الدنيوية والدينية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب وروى
انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة عطية فهى حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق
فيختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة وكلا جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح
وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق

بامرنا

بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل
الخيرات ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان يفعل الخيرات
ثم فعلا الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص
على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف
اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة
ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغى
علمه للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التى كانت تعمل الخبائث
يعنى اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها
مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل وادخلناه فى
رحمتنا فى اهل رحمتنا او فى جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى
ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين
فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه
والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اى جعلناه منتصرا من القوم
الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين
تكذيب الحق والانهماك فى الشر فانهما لم يجتمعا فى قوم الا واهلكهم الله
وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث فى الزرع وقيل فى كرم تدلت عناقيده
اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين
والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ
فافهمناها روى ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو

ابن عشرة سنة فغير هذا ارفق بهما امر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها
واولادها واشعورها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان
ثم يترادان ولعلهما قالا بالاجتهاد والاول نظير قول ابي حنيفة رح في العبد الجاني
والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا زمانا
عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك
قضى النبي عليه السلام لما دخلت ناقة البراء حايطا وافسدته فقال على اهل الاموال
حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان
يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا اتينا حكما وعلما
دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف
مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار
ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان
الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة و
هو حال او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن والطير
عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على
ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه
صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها لنحصنكم
من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود او للبوس
وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع وفي قراءة
ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في

صورة

صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل اللام دون
الاول لان الخارق فيه عايد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال
والطير مع داود وبالاضافة اليه عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه
في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة
وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيته حال ثانية
او بدل من الاولى او حال من ضميرها وكنا بكل عالمين فنجريه الى الارض التي
باركنا فيها الى الشام رواحا بعدما سار به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه
على ما يقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في التجارة ويخرجون نفايسها
ومن عطف على الريح او مبتدا خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون
عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع
الصنايع الغريبة كقوله يعملون ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين
ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه
اني مسني الضر باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء
معناه والضر بالفتح شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال
وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى
بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من اولاد عيص بن
اسحق استنباه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت
عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة او سبعا
وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امراته ماخير بنت ميشا بن يوسف

او رحمة بنت افرايم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة
الرخاء فقال ثمانين سنة فقال استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة
رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه اهله ومثلهم
معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من
عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا
كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم
واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ
من الله او تكفل امته او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب
والكفالة والضعف كل من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوب
وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الاخرة انهم من الصالحين الكاملين
في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون صاحب
الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم
مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم
يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المبالغة للمبالغة او لانه
اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر
عليه لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ
مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه
في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمي
ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى
في

في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا
اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي
بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له
فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات
كان في بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي
المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي فلذلك اخفى
الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر
بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في
تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى و
لا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين
مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض
مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر
والمفعول مذكور والماضي لا يسكن اخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا
وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها
او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين من
الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون الى الخير ويدعوننا رغبا ورهبا
ذوي رغب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة خائفين العقاب
او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائبين الوجل والمعنى انهم نالوا

بهذه الخصال والتي احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها اى
في عيسى فيها اى احييناه في جوفها وقيل ففعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح
الذى هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرائيل وجعلناها وابنها اى قصتهما او
حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع
تعالى ان هذه امتكم اى ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان يكونوا
عليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع
وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئ على انهما خبران وانا ربكم
لا اله لكم غيرى فاعبدون لا غيرى وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى
على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة تقبيح فعلهم الى غيرهم كل
الينا من الفرق المتحزبة راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله
ورسله فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه
ونفى نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا نضيع بوجه
ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي
وحرم بكسر الحاء واسكان الراء اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم
لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو
مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم
او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اى
وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر
وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج

متعلق

متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمر الامتناع او الهلاك
او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج وماجوج
وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرا ابن عامر ويعقوب
فتحت بالتشديد وهم يعني ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض
مرتفع
وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين
واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب
الشرط واذا للمفاجاة وتسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت
معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم يفسره
الابصار ياويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة
من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر
انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم
لهم في حكم عبدتهم لما روى انه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى
قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح
وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم
بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب
ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا
شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد
من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او للتخصيص تاخر عن الخطاب
حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء

وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب
جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون
لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة
فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها
لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة
او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي
ان عليا رضي الله عنه خطب وقرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر
وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت
الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون
او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به
وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف
للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله ويوم
ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار
او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقيهم الملائكة تستقبلهم
مهنئين هذا يومكم الذي يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول كنتم توعدون
في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم
او حال مقدرة من العايد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر

او

او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني
ادم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي
السجل للكتب كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل
عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة
فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان
لرسول الله وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدانا
اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما
ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة
بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة
القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل
يفسره نعيده او موصول والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد
مثل الذي بداناه واول خلق ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول المحذوف
وعدا مقدر بفعله تاكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي
علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود
من بعد الذكر اي التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر
اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون
يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
او امة محمد عليه السلام ان في هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد
لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح
معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب
الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله
واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر
الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على ما
يقتضيه الوحي المصدق بالحجج وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان
تولوا عن التوحيد فقل اذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء مستوين
في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعادات او ايذانا على
سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل او استقامة رأي في البرهان البين
وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه
كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما
تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما
ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم وامتحان لينظر كيف تعملون
ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيته قل رب احكم بالحق اقض
بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرئ حفص
قال على حكاية قول رسول الله صلعم وقرئ ربُّ بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم
من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة
على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن
وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله

عليهم

عليهم وعن النبي عليه السلام من قرا اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم
عليه كل نبي ذكر اسمه في القران الا سنة ايات من هذا خصان الى صراط الحميد سورة الحج
مكية وهي ثمان وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا
ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء
فيها فاضيف اليها اضافة معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى الظرف على
اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها
واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى
بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى
التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم
منتصب بتذهل وتُذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب
والايلة عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت
التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية
وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى
على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب
تمييزهم وقرئ تُرى بالضم من اريتك قائما او رايتك قائما بنصب الناس ورفعه
على انه مناب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة
يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرا حمزة والكسائي سكرى
كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت

في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث
بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد
للفساد العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر
لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير
فشانه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على
حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب
السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه
وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء
خلقكم فانه يزيح ريبكم من تراب بخلق آدم منه والاغذية التي يتكون منها المني
ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من
مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة
لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة
لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون
مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا وحذف
المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر
ونقر في الارحام ما نشاء اي نقره الى اجل مسمى وقت الوضع وادناه بعد ستة
اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا
عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام
حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر

بالياء

بالياء ونقر بالضم من قررت الماء صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد
او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل
جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها في الاصل شدة في الامور ومنكم من
يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى
ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه
وينكر من عرفه والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه
من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره
وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ وربأت اي ارتفعت
وانبتت من كل زوج بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في
كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار
مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ
خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء وانه يحيي
الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء
قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على السواء فلما دلت المشاهدة على قدرته
على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة آتية لا ريب
فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور
لمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم كرر

للتأكيد ولما ينطق به من الدلالة بقوله وهدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال
او وحي والاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح
عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر
كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا وقرئ بفتح العين اي مانع عطفه ليضل
عن سبيل الله علة للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان
اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى
الضلال وانه من حيث انه مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم
بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك
على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما
اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجاز لهم على اعمالهم
والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات
له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمأن
به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة
وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا و
كثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان
الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب
فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال
فنزلت خسر الدنيا والاخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب
على الحال او الرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه

على

على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعوا من دون الله ما لا
يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد
عن المقصد مستعار من ضلال البعد من ابعد في التيه يدعوا لمن ضره اقرب بكونه
معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة من نفعه الذي يتوقع بعبادته
وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعوا من حيث انه بمعنى يزعم
والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول
اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره او مستأنفة على ان يدعوا تكرير
الاول ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره
الله في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن
كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد
بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله
الممتلي غضبا والمبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق
فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع
به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه وقرا ورش وابو عمرو
وابن عامر ثم ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله
ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه والذي يغيظه
من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم

على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات واضحات
وان الله يهدى ولان الله يهدى به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته
انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق
منهم عن المبطل او الجزاء فيجازى كلا بما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت
ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شئ شهيد عالم به مراقب
الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض يتسخر لقدرته ولا يتابى
عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم
على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا
لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرا الدواب بالتخفيف كراهة التضعيف
او الجمع بين الساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد
فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الاخر الى اخر
فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدا خبره محذوف
دل عليه خبر قسيمه اى حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اى يسجد له كثير من الناس
سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل
وكثير تكريرا للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين
بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حُقَّ بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله
بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل
ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اى فوجان مختصمان ولذلك قال
اختصموا

اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون فى ربهم
فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن
احق بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا
بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة قطعت لهم قدرت على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار
نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير فى
لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما فى بطونهم والجلود اى يؤثر من فرط حرارته
فى باطنهم تاثيره فى ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من
الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط
منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف كلما ارادوا
ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها
اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار
فترفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اى وقيل لهم
ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة فى الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله
تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت المراة
اذا لبست الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف
واساور جمع اسورة وهى جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على

ذهب لانه لم يعهد السؤال منه الآن يراد الترصيع به ونصبه نافع وعاصم عطفا
على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وترك ابو بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة
الاولى وروى حفص همزتين وقرئ لؤلؤا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما
واوين ثم قلبت الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير
غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على
هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا
او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة
او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا و
يصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد به استمرار الصد منهم كقولهم
فلان يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا
وخبر ان محذوف دل عليه اخر الاية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على سبيل الله
واوّل الحنفية رح بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد
اي المقيم والطارى على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارَض
بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشراء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء
خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن
فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ بالفتح العاكف
بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ
بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان
او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف

الانام

الاثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا لابرهيم مكان البيت اي واذكر
اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل
رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها
فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوانا من حيث انه تضمن معنى تعبّدنا
لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك
بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبّر
عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد
اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذّن في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن وقرا نافع وحفص
وهشام بيتي بالفتح بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها
حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين
المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله عليه السلام امر
بذلك في حجة الوداع ياتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء
مهزول اتعبه بعد السفر مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي و
ركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله ياتين صفة لضامر محمولة على
معناه وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس من كل
فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا
ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص
بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى

بالاكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله
في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام
علق الفعل بالمرزوق بينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر
فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج
فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب و
اطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب
وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر
في حجهم وقيل مواجب الحج وقرا ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا
طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع
بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة
فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن
الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو واشباهه يطلق
للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرام
وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام
والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى
عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله
فلا تحرموا منها غير ما حرم الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان
فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما يجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة في النهي

عن

عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان
عبادة الاوثان رأس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت
الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم
بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك
بالله ثلثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف
فان الكذب منحرف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان
من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض
الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان
سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب
او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن
على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد
هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين وقرا نافع فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء
ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا
لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا
سمانا غالية الاثمان روي انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من
تقوى القلوب فان تعظيمها منه من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة
بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع

درّها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اى ما يليه
من الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة اى لكم فيها منافع دنيوية
الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث
الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل
مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذى ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها
وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت
المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة
لكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرا حمزة والكسائى
بالكسر اى موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه علل الجعل
تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها
وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب
او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات
صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها و
الصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ
المقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة
كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من
بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة
عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل
يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدا من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها

الله

الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند
ذبحها لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن
وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث قوائم وطرف سنبك الرابعة
لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وصوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق
عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن اليا مطلقا
كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية
عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة
ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال والمعتر
المعترض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما
وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تاخذونها منقادة
فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا
عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهرقة
بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من
تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل هو
التكبير عند كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله
فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله
لتكبروا الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء
وقيل هو التكبير عند الاحلال والذبح على ما هديكم ارشدكم الى طريق تسخيرها و
كيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى

الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ان الله يدافع عن الذين امنوا
غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اى يبالغ فى الدفع
مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان فى امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب
الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرأ ابن كثير
وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين
والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى
الذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب و
مشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر
فانزلت وهى اول اية نزلت فى القتال بعدما نهى عنه فى نيف وسبعين اية وان الله
على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا
من ديارهم يعنى مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله
على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين
منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع
وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع
وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل
اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم
الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله

ص

من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على
صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله
لقوى على نصرهم عزيز لا يمانعه شىء الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة
واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء
قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم
من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه
تاكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم
ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو ليس
باوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير
فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه
القبط ولان تكذيبه كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين
فامهلتهم حتى انصرمت اجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكارى عليهم
بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها
باهلاك اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهى ظالمة اى اهلها فهى خاوية
على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت سقوفها
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها
فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى هى خالية وهى على
عروشها اى مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة والجملة معطوفة
على اهلكناها لا على وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خرابها فلا محل لها ان تنصب

كائن بمقدر يفسره اهلكناها ان رفعه بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف
على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف
من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه من ساكنيه وذلك يقوى
ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر فى سفح جبل بحضر
موت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح
فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا فى الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا
مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب
يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل من الاستبصار والاستدلال او اذان يسمعون
بها ما يجب ان يسمع من الوحى والتذكير بحال من يشاهد اثارهم فانها لا تعمى الابصار
الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه
ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور عن الاعتبار اى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما ايفت
عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفى التجوز
وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزل ومن كان
فى هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا فى الدنيا اعمى افاكون فى الاخرة
اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع
الخلف فى خبره فيصيبهم ما وعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان لتناهى صبره وتانيه حتى استقصر
المدد الطوال او لتمادى عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء وكاين من قرية وكم من قرية فحذف المضاف

واقيم

واقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم
والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف
كان نكير وهذه فى حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة
وان تاخيره لعادته تعالى امليت لها كما امهلتكم وهى ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب
والى المصير والى حكمى مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم
ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام
وسياقه للمشركين وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة فى غيظهم فالذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم ورزق كريم هى الجنة والكريم من كل
نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا بالرد والابطال فى اياتنا معاجزين مسابقين
مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه
فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرا ابن كثير و
ابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة و
قيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الرسول من بعثه الله بشريعة
مجددة يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بنى
اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم
فالنبى اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل
من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى يقال غير الرسول من لا كتاب له وقيل
الرسول من ياتيه الملك بالوحى والنبى يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام الا اذا

تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله
بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة
فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد
الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة والله
عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدثت نفسه بزوال المسكنة
فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به
ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة
الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد
في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل فاغتم
فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت
على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى
داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته
بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي عم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن
ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله
والاية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان
علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة
للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين
يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق

بعيد

بعيد عن الحق وعن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القرآن
هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه
مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم فيؤمنوا به بالقرآن او بالله فتخبت
له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم
وهو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية شك
منه من القرآن او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير
ثم ارتد عنه حتى تاتيهم الساعة القيامة او اشراطها او الموت بغتة فجاءة او ياتيهم عذاب
يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن
كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها
اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا
او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره او على
وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي
دلت عليها الغاية اي يوم يزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير للمؤمنين والكافرين
لتفصيله بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء في الخبر الثاني دون الاول
تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب
من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في العذاب والذين هاجروا في سبيل
الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى
بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل

العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم
الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير
الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه
وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك الامر
ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب
الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه
الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام عما ندب
الله تعالى اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث
على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره
بذلك اولى وتنبيه على انه الله قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده
ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله
قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة
ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة
الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع
يسمع قول المعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال
القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب
وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدءا لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما
عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما بذاته وان ما يدعون
من دونه وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين

وقرئ

وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم
في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون
له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء
استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطف على انزل اذ لو نصب
جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته
وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله
لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة
له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل
شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في
الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم
ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك
السماء ان تقع على الارض من ان تقع بان خلقها على صورة متداعية
الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها
فانها مساوية لسائر الاجسام الجسمية فيكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها
ان الله بالناس لرءوف رحيم حيث هيا لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم المنافع
ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا
ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الاخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع
ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل
عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين

اوالنساك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع
وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية
الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم
لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المبالغة للتلازم وقيل نزلت في كفار
خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا
ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته
اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق
الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله اعلم بما
تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق
الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم
القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون في امر الدين
الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض ولا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب
هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك ان
الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق
بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل وقد ظهر
الحق ولزمت الحجة على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة
العقل او استدلال وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذه الظلم من نصير
يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم اياتنا من القرآن بينات واضحات
الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار
لفرط

لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة و
للاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر بهم
يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل افأنبئكم
بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب
ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون
مبتدا وخبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا
من شر فيكون الجملة استئنافا كما اذا وقعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار
يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها
او جعل لله مثل اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او لشانه
استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام وقرأ
يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على
الاولين لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من
تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب
وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع حال جيء بها
للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا
منفردين وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل
بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها
تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء
واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل وتعجز عن ذبه
دفع

عن نفسها او استنقاذ ما يختطفون من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل
ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فتاكله ضعف الطالب
والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من
الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ
منه ما يسلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره
ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشيا عنه مناسبة
ان الله لقوي على خلق الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شي والهتهم التي يدعونها
عاجزة عن اقلها مقهورة عن اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون
بينه وبين الانبيا بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم
ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاته
بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتدا بهم الى عبادة الله
سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقرير للنبوة
وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك
ان الله سميع بصير مدرك للاشيا كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم
بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها
بالذات لا يسال عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسالون يا ايها الذين امنوا
اركعوا واسجدوا في صلوتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام
او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا
واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تاتون

وتذرون

عنه وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون
افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم
والاية اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت
سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا في الله اي لله ومن
اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام
انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده
اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو
حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول
لوجه الله ومن اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى
للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف
ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة
في اغفال بعض ما امرهم حيث شق عليهم كقوله عليه السلام اذا امرتكم بشي فاتوا
منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في
المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش
والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابرهيم نصب على المصدر بفعل دل عليه
مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء
او الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب
لامته من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان
اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل

القران في الكتب المتقدمة وفي هذا او في القران والضمير لله ويدل عليه انه قرئ
الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم بمسلمين في القران وان لم يكن منه كان بسبب تسميته
من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان
تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم
بانه بلغكم فيدل على شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان
من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا
الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا
بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصر الا منه هو موليكم ناصركم
ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى
ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي
من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي سورة
المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على
ثباته اذا دخل الماضي ولذلك يقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين
ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء
حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على
الابهام والتفسير وقرئ افلحُ اجتزاء بالضمة عن الواو وأُفلح على البناء
للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون خايفون من الله متذللون له
ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء
فلما

فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه عليه السلام راى رجلا يعبث بلحيته فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل
معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه
جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه
واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا و
حضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون
وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية
والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى
والعين فالمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على
تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما
ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان
فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج والتسري وانما قال
ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم
قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها
خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها
لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك
هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لما يؤتمنون عليه
ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرا
ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر

والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل
فيها لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا
لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها
بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان
يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد
اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان
لمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم
لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم
للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر
من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة
فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم
خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه و
السلالة نطفته ثم جعلناه جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا
السلالة نطفة وتذكير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني
الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا
النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة
لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما
انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها
في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع

وقرئ بافراد احدهما وجمع الاخر ثم انشأناه خلقا آخر وهو صورة البدن او الروح
او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة
على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله
فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة
الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت
الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ بهما ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سبع سموات لانها طرق (طورق) بعضها فوق بعض
مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها
مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات
غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى يبلغ
منتهى ما قدر لها من الكمال حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وانزلنا من
السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم
فاسكناه في الارض فجعلناه ثابتا مستقرا فيها انا على ذهاب به على ازالته بالافساد
او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي
تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله
قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشأنا لكم به بالماء جنات
من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات
ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان
ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع

من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام صح
تأكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشأنا لكم به شجرة تخرج
من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين
فلا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم
له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف
لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق
بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة كوفيين
والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم
وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز
ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوي الحاجات
عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا
بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج
الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف
احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج
منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ
وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها
من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها
منافع كثيرة في ظهورها واصوافها واشعارها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها

وعليها

وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي
المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر
تحت خدي زمامها فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك
تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر
سوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها
ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ
افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى
عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه
لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم
ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره
او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان
هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا
حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم
او بانجاز ما اوعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او
يفسده عليك مفسد ووحينا امرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا
بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح اذا فار الماء من
التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله

في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه
وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره وقال تعالى
ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحد من زوجين وقراء
حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك او من
آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله بهلاكه لكفره وانما جيء بعلى
لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء بانجائهم انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك
والمعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امر بالحمد على النجاة
منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا
من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل
رب انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ
عن ابي بكر منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق
لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به
ان استوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم
فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولوا
الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين
عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشانا من بعدهم قرنا
اخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو صالح او هود وانما جعل القرن
موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين
اظهركم

اظهركم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول
اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا ولعله ذكر
بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استونف به
فعلى تقدير سؤال بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او معادهم الى الحيوة
الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا
الا بشر مثلكم في الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة
وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه
ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط
وجواب للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم
والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول
اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدا خبره الظرف المقدم او فاعل
للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم
وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون
الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون
اي بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد
قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو
مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع
هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف
وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا فاقيم

الضمير بمقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعيينها
مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حيوة الا هذه الحيوة
لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي
ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعضنا وما نحن بمبعوثين
بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من الرسالة له
وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم
وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة
لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب
فاخذتهم الصيحة صيحة جبرائيل صاح عليهم صيحة هائلة انصدعت منها قلوبهم
فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل
من الله كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم
بغثاء السيل وهو حميلته كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم لل
الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك من المصادر التي تنصب
بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع
ضميرهم للتعليل ثم انشأنا من بعدهم قرونا اخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب
وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق
وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر
وهو فرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة
وقرأ ابو عمرو وابن كثير بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء

امة

امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال
الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في
الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث
احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه
هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم و
يجوز ان يراد به المعجزات وان يراد العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت
بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء
ودلوا وان يراد به المعجزات وبالايات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها ايات
للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي عليه السلام الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان
والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر
لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من
البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان
قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة
في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت
في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما كما ترى في جانب
النقصان اغبياء لا يعود عليهم التفكر برائحة ويمكن ان يكون في طرف الزيادة
اغنياء عن التفكر والتعلم في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك
غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم

يوحى الى انما الهكم الوحد وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون
كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد اتينا
موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون
وقومه لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام و
جعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف
اليهما او وجعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات وامه آية بان
ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة
ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان
قراها على الربى وقرا ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر
ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها
يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار على وجه الارض فعيل
من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من الماعون وهو المنفعة
لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف
ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم
ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته
عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء الكلام تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم
لم يكن له خاصة وان اباحة الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما
الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم

الطيبات للانبياء شرع قديم و
احتجاجا على الرهبانية في رفض صح

و

والطيبات ما يستلذ به من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى
الله تعالى فيه والصافي ما لا ينسى الله تعالى فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل
واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فيجازيكم
عليه وان هذه اى ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل
انه معطوف على ما تعملون وقرا ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف
امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اى متحدة في العقائد واصول الشرائع او جماعتكم
جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم
فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم
وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او
التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لهم زبرا قطعا جمع زبور الذى
بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من
الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب
فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في
رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم
على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون
فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون
انما نمدهم به انما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا
له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليهم اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره
نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان الذى نمدهم به

نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا
شعور ليتأملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم
على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا
للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم
بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم
لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من
الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة
خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون
لان مرجعهم اليه او لان مرجعهم وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في
الخيرات يرغبون في الطاعات اشد رغبة فيبادرونها او يسارعون في نيل الخيرات
الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها لقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا
فيكون اثباتا لهم ما نفى عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق
او سابقون الناس الى الطاعات او الثواب او الجنة او سابقونها اي ينالونها قبل
الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر
طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا
كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف
الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة
في غمرة في غفلة غامرة من هذا من هذا الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة
ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من

الشرك

الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم منعميهم بالعذاب
يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول عليه السلام اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف
والعظام المحرقة اذا هم يجأرون فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط
والجملة مبتدأ بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر با
القول اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه
لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي
تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها
وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للتكذيب
او للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره او لآياتي
فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم
على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر القرآن و
الطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع
سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون
عن القرآن او تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع
تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي القرآن
ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت
اباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا
كما خاف اباءهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه

ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم
الى غير ذلك مما هو صفة الانبيا فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له
غير هذا فان انكار الشئ قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص
او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا
يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف
شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان
استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق
اهواءهم بان كان في الواقع الهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن
كما سبق تقريره في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل ولو اتبع الحق
اهواءهم انقلب باطلا شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه او لو
اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية
ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم
بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان
عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه
ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك
رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم
والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض
ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله تعالى اياه
وقرا ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير

الرازقين

الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول
السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه وتعالى الزمهم الحجة
وازاح العلل في هذه الايات بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها
ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط
السوي لناكبون لعادلون عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك
طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا النبعوا واللجاج التمادي
في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين
يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله
عليه السلام وقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت
الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من
الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون فاشبعت فتحته وليس من
عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني
الجوع فانه اشد من القتل والاسر اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى
جاءك اعتادهم يستعطفك وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتحسوا بها
ما نصب من الايات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من
المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان
العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك
وهو الذي ذراكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل

واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف
الليل والنهار ويختص به تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد لا يقدر عليه غيره فيكون
ردّ النسبة الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد
الاخر افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث
من جملتها وقرئ بالتاء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة
مثل ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون استبعاد ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا
نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع
اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع
سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك
استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لم يمكن
لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله
لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعدما قالوه
افلا تذكرون فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان
بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قل افلا تتقون عقابه ولا تشركوا به
بعض مخلوقاته ولا تنكروا اقتداره على بعض مقدوراته قرا ابو عمرو ويعقوب بغير اللام فيه
وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل
خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه

تعديته

وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون
فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم
بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد
لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض جواب لمحاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان
معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الاخرين
ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء
واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب
واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم
الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر ويعقوب وحفص
على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المنفرد بذلك ولهذا
رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني لان
ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب في الدنيا والآخرة فلا تجعلني في القوم
الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق
بمن وراءهم لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن الحسن
انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء
وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت
فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر

او في جمعك ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن
بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو
الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنى السيئة لما فيه من التنصيص
على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلافه حالك واقدر
على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل
الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي
والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك ان يحضرون فيحوموا
حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران وحلول الاجل لانها احرى
الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض
لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله تعالى عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام
او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامور
رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل
في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان و
اعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك
الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب
ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره
والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه
ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم
القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما

الرجوع

وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الاخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح
الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد ان الصور ايضا جمع صورة فلا انساب بينهم تنفعهم
لزوال التعاطف والتراحم لفرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسال
بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار فمن ثقلت
موازينه موزونات عقايده واعماله اي فمن كانت له عقايد واعمال صالحة يكون لها
وزن عند الله تعالى وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات ومن
خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم
القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها
وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك
تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من
شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي
تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما
استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت
مجامع احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح
كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها
من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا
سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسات الكلب اذا زجرته فخسئ ولا

ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة
ربنا اسمعنا وابصرنا فيجابون حق القول مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين
فيجابون انكم ماكثون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فيقولون الفا يا مالك
ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم
تكونوا اقسمتم فيقولون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون
الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق و
عواء انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل
اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا هزوا وقرا نافع والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسبة
للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزو والمضموم بمعنى السخرة بمعنى الانقياد
والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في اوليائي
وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم
الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرا حمزة
وابن كثير والكسائي بالكسر استئنافا قال اي الله او الملك المامور بسؤالهم وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي قل على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض
احياء او امواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا
لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور
قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسأل العادين الذين يتمكنون
من عد اياما ان اردت تحقيقها فانا بما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها و

احصائها

واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم العادين بالتخفيف
اي الظلمة فانهم يقولون ما يقولون او العادين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا
يستقصرون قال وفي قراءة حمزة والكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون
تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال
بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على
اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا
وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بكسر الجيم وفتح التاء فتعالى الله الملك الحق الذي
يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه و
في حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط
بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى
اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها اخر يعبده لا برهان
له به صفة اخرى لالها لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتاكيد وبناء الحكم عليه
تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض
بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح
الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة
بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفر و
يسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي عليه السلام
من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما يقر به عينه عند نزول
ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح

المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث ايات من اولها
واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح سورة النور مدنية وهي ستون او اربع
وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة
انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا للناصب فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او
دونك او نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو
لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها ايات بينات
واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما
فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على
اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية
لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق
بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد
المحصن هو الرجم وزاد الشافعي رحمه الله تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام وليس في الاية ما يدفعه لينسخ احدهما بالاخر نسخا مقبولا او
مردودا وفي العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح
صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولا
يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال
عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئ

بالمد

بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله
والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان
يكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع
يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او
مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب
فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق
وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال
الرجال في الرغبة فيهن لان الاية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا
يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم
ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء القالة والطعن في النسب
وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي
وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله
وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال
اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطي فيؤول الى نهي
الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات
يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار
اربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف
بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا

بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى
وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع
ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر شهادة القاذف خلافا لابي حنيفة
رحمه الله ولكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده
ولا تقبلوا لهم شهادة اى شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف
ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة رحمه الله تعالى فان الامر بالجلد والنهي عن
القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف
وحال القاذف قبل الجلد اسوء مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة رحمه الله الى آخر عمره واولئك
هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا
اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء
وقيل الى النهي ومحله الجر على البدلية من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب
لانه عن موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية
راى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم
اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب
على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات
لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اى فيما رماها به من الزنا واصله
على انه بحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها باللام تاكيدا والخامسة والشهادة
الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي وقرا نافع ويعقوب

بالتخفيف

بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب بعد لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف
عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان
لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة رحمه الله ونفي الولد
ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المراة لقوله ويدرؤ عنها العذاب اى الحد ان تشهد
اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من
الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد
ونصبها حفص عطفا على اربع وقرا نافع ان بتخفيف النون فيهما ورفع التاء وكسر
لعنة الله وان غضب الله عليها
الضاد من غضب ورفع الهاء من الله والباقون بتشديد النون ونصب التاء وفتح
الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب
للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من
الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على
عائشة رضي الله عنها وذلك انه عليه السلام استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة
في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجتها ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد
من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج
فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثم احدا فجلست كي يرجع اليها
منشد وكان صفوان بن معطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها
فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة
منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد بن
رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي

خبران وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستأنف والخطاب للرسول وابي بكر وعائشة
رضي الله عنهم وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم
وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة اية في براءتكم وتعظيم شانكم وتهويل
الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرا يعقوب
بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدا به اذاعه عداوة لرسول الله
او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم
في الاخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان
اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل
فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير
بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز
الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك
يتسع فيه فاذ لم ياتوا بالشهداء فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان
التحضيض على ان لا يخلو باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال
لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا
لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله تعالى اي في حكمه ولذلك رتب عليه الحد
ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه الذين رموه لامتناع الشيء لوجود غيره
والمعنى لولا فضل الله تعالى عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة
ورحمته

ورحمته في الاخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم عذاب
عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم
من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل
وتُلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على
بعض وتلقونه من الولق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته و
تقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة
من القلوب ما ليس لكم به علم لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار
العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم
والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص والى ان يكون
الى نوعه فان قذف آحاد الناس ما ينبغي وما يصح لنا محرم شرعا وفضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق
حرمة رسول الله عليه السلام سبحانك هذا بهتان عظيم تعجب ممن يقول ذلك واصله ان
يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه
لله تعالى عن ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف
كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة
الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا او في ان
تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين يعظكم الله ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه
تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا

وتتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره لا يجوزون الكشف عنه على بينة ولا يقرره
عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب
اليم في الدنيا والاخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما في الضمائر وانتم لا تعلمون
فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من
حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب
للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وان الله رؤف رحيم لله لا لتكرير حصول
فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين
امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ
نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها ومن يتبع خطوات
الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط
قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا اخر الدهر
ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم ولا
ياتل ولا يحلف من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتألّ
وانه نزل في ابي بكر رضي الله عنه وقد حلف انه لا ينفق على مسطح بعدُ وكان ابن خالته
وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل
ابي بكر وشرفه رضي الله عنه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على
الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد
اى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها

فيكون

فيكون ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون
ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع
كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه وروى انه عليه السلام قرأها على ابي بكر رضي الله عنه
فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات
مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله عليه السلام استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول و
المؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والاخرة كما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم
ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي عليه
السلام ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القران لم تجد اغلظ
مما نزل في افك عائشة رضي الله عنها يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار
لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله تعالى اياها
بغير اختيارهم او بظهور آثارهم عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ
يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو
الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الالوهية لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب
والعقاب سواه او ذو الحق المبين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من
الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب
فيكون كالدليل على قوله اولئك يعني اهل بيت النبي او الرسول وعائشة وصفوان
مبرؤن مما يقولون اذ لو صدق لم يكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات

من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤن مما يقولون
فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم
يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وبرأ موسى
من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات
مع هذه المبالغات وما ذاك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن
حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره
فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذي هو
خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خايف ان لا يؤذن فاذا اذن استأنس او تتعرفوا
هل ثمة انسان من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عليه
السلام التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم
خير لكم اي الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية كان الرجل
منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع
امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي عليه السلام استأذن على امي قال نعم قال لا خادم لها
غيري استأذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم
تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا
بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى
يأتي من يؤذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما
يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض

فيه

فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا فارجعوا هو
ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة
وترك المروة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما
تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير
مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر
والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت
المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد
او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي عما يكون نحو محرم
ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ
النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج
ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة
ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم
وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل
للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال
ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا
ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا من مواضعها لمن لا يحل ان يبدى له
الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشيا كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد
بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو
الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن حرة

عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة
وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام
بضم الجيم ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن
فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن
او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني
اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة
من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند
المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط
ان يستترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات فان
الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف
او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روي انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه
لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها
فقال عليه السلام انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء
وعبد المرأة كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اولي الحاجة الى النساء وهم
الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس
لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب
على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى
الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع
الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع

خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي
عن اظهار الزينة وادل على المنع عن رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
اذ لا يكاد يخلو احد منكم عن تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم
تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على
الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وقرأ ابن عامر ايه المؤمنون
وفي الزخرف يا ايه الساحر وفي الرحمن ايه الثقلان بضم الهاء في الوصل في الثلاثة والباقون
بفتحها ووقف ابو عمرو والكسائي عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الالف
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى يفضي الى السفاح
المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد
الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بامر النكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه
دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة
والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايايم
كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال فان تنكحي
انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم
والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب
والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله
تعالى بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الاية لكنه مشروط بالمشيئة لقوله
تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة

لا ينفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته وليستعفف
وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح
ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون
به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا
من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او
من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت
ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول مضمر
هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة
معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز
الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها
كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف
وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو
شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذي آتيكم امر للموالي
كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو
للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضه يحط الربع وعن ابن عباس
الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة
المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا
لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها
صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن
ابي

ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه
وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي
بامتناع المنهي عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا
عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن
او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولقراءة ابن مسعود من بعد اكراههن لهن
غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة
بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات
مبينات يعني الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود
وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي في الموضعين هنا وفي الطلاق بالكسر لانها
واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها
بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي
قصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين
يعني ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد
بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور
في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من
النيرين على الاجسام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله
تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات
والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملائكة

والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في
الامور او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما
ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به
يدرك او يدرك بها اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها في توقف
الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات
والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب
والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها
عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الانبياء والملائكة ولذلك سموا انوارا
ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما
للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات
البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان
واضافته الى ضميره سبحانه دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكاة كصفة مشكاة
وهي الكوة الغير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط
القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها
كوكب دري مضيء متلالئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر فعيل كمريق من الدرء
فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلب همزته ياء ويدل
عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ
بها مقلوبا توقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون
المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة
عنها

عنها تفخيم لشانها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد
وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء وكذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد
بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية
يقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع طول النهار كالتي تكون على قلة او
صحراء واسعة فان ثمرتها يكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها
بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس
عليها دائما فتحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة
ولا في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء اي يكاد يضيء بنفسه
من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه ولو لم تمسسه نار نور على نور متضاعف فان نور
المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر
في معنى التمثيل وجوه الاول تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها
وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف
بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه
وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف
والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن
او تمثيل لما منح الله تعالى لعباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي منوط بها المعاش
والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور
تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعقلية التي تدرك الحقائق
الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة

القدسية التي تتجلى فيها لوايح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية
بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة
في الاية وهي المشكوة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكوة لان محلها
كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية
كالزجاجة في قبول صور المدركات عن الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما
يشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف
الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتاديها الى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة المثمرة
للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق
الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين
والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير
تفكر ولا تعلم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية
عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس
الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلالئة في نفسها
قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونية وان كان
بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد
تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول
تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كا
كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من
يشاء فان الاسباب دون مشيته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول

من

من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا
وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض
بيوت او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل
المساجد يكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع
البيوت وحدة المشكوة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة
او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله
او بمحذوف مثل سبحوا في البيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلايمها وقيل
المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء والتعظيم ويذكر فيها
اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها
بالغدو والاصال رجال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو
مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال
والدخول في الاصيل وقرا ابن عامر وابو بكر يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف
الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا
على اسناده الى اوقات الغدو لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع
عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعارضة او بافراد
ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل
المراد بالتجارة الشراء فانه اصلها ومبداها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه
يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيه
الاضافة من التاء المعوض عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر

الذى وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما
مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير
من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن
تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية
يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون
احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله
اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب
تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم
التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب
وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء
يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار
وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة يحسبه الظمآن ماء اى العطشان و
تخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه
ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده
محاسبا اياه فوفيه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله
حساب عن حساب روى انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية
والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير
فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور

الحق

الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم
ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين
فانها كالظلمات فى الدنيا والسراب فى الاخرة فى بحر لجى عميق منسوب الى اللج
وهو معظم الماء يغشيه موج يغشى البحر من فوقه موج اى امواج مترادفة
متراكمة من فوقه من فوق الموج الثانى سحاب غطى النجوم وحجب انوارها
والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اى هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ
ابن كثير ظلمات بالجر على ابداله من الاولى وباضافة السحاب اليها فى رواية اخرى
اذا اخرج يده وهى اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها
كقوله اذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضمائر
للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له
الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذى له نور على نور
الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالوحى او الاستدلال ان الله
يسبح له من فى السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات
والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلين بما يدل عليه من مقال او دلالة
حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك
قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف فى الجو
صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع
ولطف تدبيره كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه اى قد علم الله
دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حال

في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله
الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي
اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات
والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله
المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوقه ومنه البضاعة المزجاة
فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار
صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق
المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء
من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها
او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من
جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع
المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر
وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة
فبلغت الطبقة الباردة من الهوى وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم
يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها
نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل
منه المطر او الثلج وكل ذلك لا بد ان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على
انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به
من يشاء ويصرفه عن من يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ

بالمد

بالمد جمع سناء بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع بُرقة وهي
المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين
اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من
الضد وقرئ يُذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص
احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك
ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة على وجود الصانع وكمال قدرته
واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة
والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرا حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة
من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة
الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس
صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة
او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم
والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع
وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة
والترتيب تقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر
بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع و
القوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء
لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق
للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك

الحق والفوز بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا
فدعاه الى كعب الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة بن
وائل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول واطعنا اى واطعناهما ثم يتولى
فريق منهم بالامتناع عن قبول حكمه من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك
بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان امنوا
بلسانهم لم يؤمنوا بقلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف
فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون
عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اى ليحكم النبي فانه الحاكم ظاهرا والمدعو
اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون
فاجا فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو
شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اى الحكم لا عليهم ياتوا اليه مذعنين
منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص
افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم
بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون
اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم
او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط
امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل
لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادة الله تعالى في اتباع

ذكر

ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم
على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله
ورسوله فيما يامرانه او في الفرايض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب
ويتقه فيما بقي من عمره وقرا يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو بكر وابو عمرو
وخلاد بخلاف عنه ويتقه باسكان الهاء وقالون وهشام بخلاف عنه باختلاس
كسرتها والباقون بصلتها وحفص باسكان القاف واختلاس كسرة الهاء المشبه
تقه بكتف وخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم الفائزون بالنعيم
المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج
عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب
طاعة معروفة اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة
او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة
ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر
تبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على
محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا
الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم وقد ادى وانما بقي
ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض
ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم
مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم

كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ
ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدأوا كسروا
الالف وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم
من بعد خوفهم من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف امنا منهم وكان رسول
الله واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون
في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد
الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة
الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف
من العذاب والامن منه في الاخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على
التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من
الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك
بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا
بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
واطيعوا الرسول في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل
وعد على المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتأكيد وتعليق الرحمة بها
او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق بها الهدى لا تحسبن الذين كفروا
معجزين في الارض ولا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي
الارض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد والمعنى كما هو في
القراءة بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى ولا تحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله

فيكون

فيكون معجزين في الارض مفعوليه او ولا يحسبنهم معجزين فحذف المفعول الاول لان
الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث ومأويهم النار عطف
عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأويهم النار لان المقصود
من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى يا ايها الذين
امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ
عن الالهيات الايات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد
عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال
لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة
ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى
اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى
النبي فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين
لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات في اليوم
والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس
ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي من
قبل وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين
ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلث
عورات لكم اي هي ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ خبره ما
بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي

بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات
في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك
المدخول عليه وتلك في احرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استيناف ببيان
العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل
الاحكام وكذا الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها عورات بعضكم على
بعض بعضكم طايف على بعض او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله لكم الايات الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما يشرع لكم واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم من الذين بلغوا قبلهم في الاوقات
كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون
الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم
كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض
والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن
ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او
لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة بما امر باخفائه في قوله ولا يبدين
زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء
عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء
الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من
الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مواكلة

الاصحاء

الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم
التبسط فيه اذا خرج الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او
من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان
يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان
في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام و
قيل نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلايم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم
ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت
الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما
ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او
بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او
بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت
ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح
جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم
ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله
انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد
التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع
بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او
متفرقين نزلت في بني ليث ابن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل
وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم تحرجوا

عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام في القرارة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من
هذه البيوت فسلموا على انفسكم اي على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله
ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحيوة وهو من
عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير
والثواب طيبة يطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام متى لقيت احدا من امتي
فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة
الضحى فانها صلوة الابرار والاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات كرره ثالثا لمزيد
التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما
هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور انما المؤمنون اي الكاملون
في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة
والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع
لم يذهبوا حتى يستأذنوه يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم واعتباره
في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل
والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه
ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستأذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن
ليس كذلك فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا
مبالغة وتضييق للامر فأذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى رأي الرسول واستدل به
على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشية بان يكون تابعة

لعلمه

لعلمه بصدقه وكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان
الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات
العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا
دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع
بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا
نداءه وتسميته كنداء بعضكم باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن
بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت
او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه
موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان
دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يتسللون قليلا قليلا من
الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض
حتى يخرج او يكون بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ
بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون
سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين
من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بالذكر ان تصيبهم
فتنة بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول
فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم
في الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتضى
لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك

يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها
المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتاكيد
الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب
ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال
بالتوبيخ والمجازات عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن
ومؤمنة فيما مضى وما بقي سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن كل
شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة يتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان
لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه
البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر
فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القران لفصله بين الحق والباطل بتقريره
او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده
وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس
للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين نذيرا للجن والانس منذرا
او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها
اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل من الاول
او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك
كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه

على ما

على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته
كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره و
هيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر
والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره
للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون
المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه
آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا
يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون
لا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا
ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن
كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه
تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان
هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتريه اختلقه واعانه عليه قوم آخرون
اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر
ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاءوا ظلما بجعل
الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه
اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين
ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول
لانه في اصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه

كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا
ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او لتكتب قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات
مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير
الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال
قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم صبا وقالوا مال هذا الرسول ما لهذا الذي
يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لطلب
المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم
وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية
وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى
الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه
بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون
له جنة ياكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان
كالدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون
وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون
ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا
لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك
الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه
وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى

الرشد

الرشد والهدى تبارك ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن
اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل
لك قصورا بالجزم عطفا على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط
اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب
مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه
جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان
الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن
الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة
او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا
شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم واذا
كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث يكون
احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو
اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها
بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن
مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل
ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان
ومنها بيان تقدمه ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض مقرنين
قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي
يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعالى فهذا حينك لا تدعوا

اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة
كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد
التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع
مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد
للمدح او للدلالة على خلودها او التميز عن جنات الدنيا كانت لهم ينقلبون اليه
ولا يمنع كونها جزاء لهم في علم الله او اللوح او لان وعد الله في تحققه كالواقع
جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل
بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في
مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة
على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه
تنبيه على ان المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك
وعدا مسؤلا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا
بان يسأل ويطلب او مسؤلا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب
لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود
مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ
ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه
واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به

الوصف

الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها
او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله
او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على
تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا
السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع
وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود
بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه محقق لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب و
حذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء
معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه
وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي
لنا يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح
لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نُتَّخَذ على البناء للمفعول من اتخذ
الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء
ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم
فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك
والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما
فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة
وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد
والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج

والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما يقولون في قولكم انهم
آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير
بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اى المعبودون
وقرا حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة
من قولهم انه ليتصرف اى يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها
المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه
في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة
اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق اى الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه
واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا
اكتفى بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في
الاسواق وقرئ يمشون اى تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم لبعض ايها
الناس فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم
ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله عليه السلام على ما قالوه بعد
نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة لنعلم ايكم تصبرون فقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث عليكم الصبر على او حث على الصبر نسخ
ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وغيره وقال
الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر
على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي

والمراد به

والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل
علينا الملائكة فيخبرونا بصدق محمد وقيل فيكونوا رسلا الينا او نرى ربنا
فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اى في شانها حتى ارادوا لها ما
يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم وما هو اعظم
من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث
عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه
مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستيناف بالجملة حسن
واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا
غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب
باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها
ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام
او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول
حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي
البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا
على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون
حجرا محجورا عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة و
طلبا من الله تعالى ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او
هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ
حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك

وتحجرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجور للتاكيد كقولهم
موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اى وعمدنا
الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه
لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وحال اعمالهم بحال قوم استعصوا
سلطانهم فقدم الى اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى فى شعاع
الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط فى
حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم
التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا
قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه فى اكثر الاوقات
للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع
بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم فى الجنة
وفى احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصورة وغيره من التحاسين ويحتمل
ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من
الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين
فى الدنيا روى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل
النار فى النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير
ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور
فى قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة
تنزيلا فى ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت

وانزل

وانزل ونُزّل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل
يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه وهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ومعمول الملك لا الحق
لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا
ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان
ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة
ابن ابى معيط كان يكثر مجالسة النبى عليه السلام فدعاه الى ضيافته فابى ان ياكل طعامه
حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال
لا ولكن ابى ان ياكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى
منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل
ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم
بدر فامر عليا بقتله وطعن ابيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتنى
اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق
لم تتشعب بى طرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا
يعنى من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هن كناية عن الاجناس لقد اضلنى
عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءنى و
تمكنت منه وكان الشيطان يعنى الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة
الرسول او كل من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا يواليه حتى
يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد يومئذ
او فى الدنيا شاكيا الى الله تعالى يا رب ان قومى قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا

بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه السلام من القران وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم
ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني
وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله
مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف
لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل
الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القران اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة
واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف
بنزوله جملة واحدة او متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك
لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه
لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي
اليه جملة لتعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان
نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا نزل منجما و
هو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل
حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القراين
الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف
والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القران جملة ويحتمل
ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة

واللام

واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقراناه عليك شيئا بعد شيء على
تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها و
لا يأتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك
بالحق الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا بما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او لا
يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق
لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم
اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم
اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف صنف على الدواب
وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره
اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه
الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل
سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا او وصف السبيل بالضلال
من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون
وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي مشاركته في النبوة لان المتشاركين
في الامر متوازرون عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني فرعون
وقومه فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على
حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل
واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم

فقرا انهم على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل اى كذبوا نوحا ومن
قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا
كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة
واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر
موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمود عطف على هم فى جعلناهم او على الظالمين لان المعنى
ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهى البئر الغير المطوية
فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود
فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها
حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله بطير عظيم
كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له
فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت
مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها صاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا
نبيهم ورسوه اى دسوه فى بئر وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل
سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله و
وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا
فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب
والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ ولقد
اتوا يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام على القرية التى امطرت مطر السوء

يعنى

يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا يرونها فى
مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون من اثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل
كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها
كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب او لا
يخافونه على اللغة التهامية واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا
موضع هزؤ او مهزوا به اهذا الذى بعث الله رسولا محكى بعد قول مضمر والاشارة
للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية
الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذى زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد
ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد
وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها
ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون
اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد
ليضلنا فانه يفيد نفى ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم
وان امهلهم ارأيت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة
ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثانى للعناية به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا
يمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذه فالاستفهام الاول للتقرير والتعجب والثانى
للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدى لهم الآيات
او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع فى ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب
بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر

استكبار او خوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم
وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها
تنقاد من يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء وتطلب ما ينفعها وتتجنب
ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان
ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي اشد المضار
ولانها ان لم تعتقد حقا ولم يكتسب خيرا لم يعتقد باطلا ولم يكتسب شرا بخلاف هؤلاء
ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس
عن الحق ولانها غير متمكنة عن طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء
مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع
كيف مد الظل بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان
المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه
النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس
منه او الم ينته علمك الى ربك كيف مد الظل وذلك فيما بين طلوع الفجر والشمس
وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس
يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء
لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة
على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع
ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا
اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته

بالقبض

بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسب ما ترتفع الشمس
لتنتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين
لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء
بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم
خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل
الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه
من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس
في ستره والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا
كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار
نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات
فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمن عليه السلام
يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير
على التوحيد ارادة الجنس بشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن عامر بها
بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به و
عاصم بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بين يدي رحمته يعني قدام المطر
وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء
والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور
اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا كاملا

في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول
وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء
الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت
مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا
لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى
الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحياء
ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار
والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في
طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم
القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية
معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض
فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له
سقيا واناسي بحذف ياءه وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله
اناسين فقلب النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن
وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة
من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك
بين عباده على ما شاء وتلا هذه الاية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا
كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم
فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا
مطرنا

مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من
خلق الله تعالى والانواء وسائط او امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل
قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك
اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد
في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج للمؤمنين
وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون
في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان
مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم
فيما بين اظهركم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث
الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث
لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط
عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ مَلِح على فَعِل ولعل اصله مالح فخفف
كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا
كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة
تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر
العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول
بينهما من الارض فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى
طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي
خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر

لتجمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا
اى قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر
بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة
واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق
من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا
يضرهم يعنى الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع
والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يعاون الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر
الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف
ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه من اجر على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا
مبشرا ونذيرا الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اى يتقرب اليه
ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث
انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة
حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا
وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود اليه بالثواب
من حيث انها بدلالته عليها وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحى الذى لا يموت فى استكفاء
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء
الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه

عن

عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر
على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا
عليك ان آمنوا او كفروا الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة
ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير
لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات
والتأنى فى الامر فانه تعالى على كمال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كل مراد خلق الاشياء
على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذى اى جعلته مبتدأ او للمحذوف ان جعلته
صفة للحى او بدل من المستكن فى استوى وقرئ بالجر صفة للحى فسئل به خبيرا فاسأل
عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله او جبرائيل او من
وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا
اطلاقه على الله فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه
فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما
يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه
صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا
يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما
تأمرنا اى للذى تأمرنا يعنى تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان و
قيل لانه كان معربا لم يسمعوه وهو قراءة حمزة والكسائى وقرأ الباقون
يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اى الامر بالسجود للرحمن
نفورا عن الايمان تبارك الذى جعل فى السماء بروجا يعنى البروج الاثنى

عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها
واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس كقوله وجعل
الشمس سراجا وقرا حمزة والكسائي سُرُجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا
منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقُمْرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى
القمر كالرشد والرُشُد والعَرَب والعُرْب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان
يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة
لمن اراد ان يذكر ان يتذكر الاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم
واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم
او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته وِرْدُه في احدهما تداركه في الاخر
قرا حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد
الرحمن مبتدا خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم
الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عبادا
جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم
يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسليما منكم
ومتاركة لكم لا خير بيننا وبينكم ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من
الايذاء والاثم ولا ينافيه اية القتال لتنسخه فان المراد هو الاغضاء عن
السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل اشق وابعد من الرياء وتاخير القيام

للروي

للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم
مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب
مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على
استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير
مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به يرتبط الجملة باسم
إن او احزنت (اي في) وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة
الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا
تضييق الشحيح (بخل) وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب
وقرا الكوفيون وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر
ولم يُقتِروا من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما
وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ با
لكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال
مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر بين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته
الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه
والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي
حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا
يزنون نفى عنهم مهمات المعاصي ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال

ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة با
باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء
اثم باضمار الجزاء وقرئ اياما اى شديدا يقال يوم ذو ايام اى صعب يضاعف له
العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه فى معناه كقوله متى تاتنا تلمم بنا فى
ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقراه ابو بكر بالرفع على الاستيناف
او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر
بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف فى يضعف وقرئ يخلد على بناء المفعول
مخففا وقرئ مثقلا ويضعف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية
الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله
سياتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق
طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية فى النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد
ما سلف منه بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو
عن السيات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصى بتركها والندم عليها وعمل
صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة فانه يتوب الى الله
يرجع اليه بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب
متابا الى الله الذى يحب التوابين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه
مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون
الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا
مروا باللغو ما يجب ان يلقى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن

الوقوف

الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب
والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ او القراءة
لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها
كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية
فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لا يلقانى زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى
المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله فى طاعة
الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم
به فى الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك اسدا وقرا ابن عامر
والحرميان وحفص وذريتنا بالالف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما
وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين
اماما يقتدون بنا فى امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده اما لدلالته
على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر فى اصله او لان المراد واجعل
كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع
آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة
اعلى مواضع الجنة وهى اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم فى الغرفات آمنون والقراءة
بها وقيل هى من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض
الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة
اى يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة

وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لايموتون
ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما
يعبؤا بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم
لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات
سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية
فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبأ يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث
خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ
فقد كذب الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم
من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة
او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه
مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما
بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الفرقان لقي
الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب صدق رسول الله

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى اخرها وهي مائتان وست او سبع
وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر
بالامالة ونافع بين بين كراهة للعود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه
في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة
الى السورة او القرآن على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع
ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ
بغان بالتركي اوكرغه سلكي

باخع

٩٨

باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة ان لا يكونوا
مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية
دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليها فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين
واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر
على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء
او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت
عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم
من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد
انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا
عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في
تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء المخبر عنه ضمنا في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم
عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة انباء ما كانوا به يستهزؤن من انه كان حقا
او باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا
الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود
كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وها هنا يحتمل ان تكون مقيدة
لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة لانه فعل حكيم
اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات
تلك الاصناف او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة
والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال

هذه الايات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة
الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى
ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اى ائت او بان ائت القوم الظالمين
بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف
بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استئناف
اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء
على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيابا اجروا مجرى
الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم
مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتامل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء
بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا
قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل
الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب
وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن
القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى
قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى لا يختل دعوته ولا ينبتر حجته
وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله و
تمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون
فيكونان من جملة ما خاف منه ولهم على ذنب اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى
باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة

في

في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو
استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا
فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم
اخيه اليه في الارسال فالخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل
الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته
انا معكم يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه
فاظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا
لامداد اوليائه منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي
هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان
او الخبر وحده ومعكم لغو فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد
الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد
كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثنى تارة
النمامون
وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان
كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل اى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال
لا يجوز ان يكون بمعنى القول لان مقوله انا رسول رب العالمين
المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال اى فرعون
لموسى بعدما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا
سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة
ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقي بعد الغرق
خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما اياه بعد
بما جرى على يده من قتل جباره

ماعدد عليه نعمة وقرئ فِعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن يكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعاشرهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه بان من الكافرين بالهيئة او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فعلتها اذا وانا من الظالمين من الجاهلين وقرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدده عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه وراى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض

على

على دعواه فبدا بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه واثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء المحققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدا واجب لذاته وذلك المبدا لابد ان يكون مبدا لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر احواله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التامل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا

ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه
بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان من ملك
قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في من المسجونين
للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى
يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل
ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة
على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة
بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت من الصادقين في ان لك بينة او في دعواك
فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته
واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما رأى الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال
ما فيها فادخلها في بطنه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق
قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم
فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان
المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى
واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما
وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل
سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم
معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل

للناس

للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقوله تأبط شرا
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا
سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي
باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة
فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا
لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم
الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذن على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ
نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي
واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم
فاعلون لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم
باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرأ حفص
تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم
وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين
لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا
لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على
انهم لما رأوا لم يتمالكوا انفسهم فكأنهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم
بما خولهم من التوفيق قالوا آمنا برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال او حال باضمار
قد رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب

لايمانهم

لايمانهم ما اجرى على ايديهما قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم
شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على
قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
وروح آمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون
بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب
من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان
كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير
او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة
او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا الى موسى ان اسر
بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم
يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى
وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء
اي اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم
الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم
فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المداين حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة
قليلون على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده
اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب
شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وانهم لنا

لغايظون

لغايظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال
الحزم في الامور اشار اولا الى ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه
من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شانهم حثا عليه واعتذر بذلك الى اهل المداين كيلا
يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني
للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا
وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه
من بغضها وهو حادر اي تام السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم فاخرجناهم
بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام
كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر
او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف
واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت
شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان
قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع
ففني اي انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم
الخلاص منهم ان معي ربي بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روي ان مؤمن
آل فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون
قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك فكان كل
فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوها في شعابها كل سبط في

[illegible] ازلفنا وقربنا ثم الاخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا
موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا الاخرين باطباقه
عليهم ان في ذلك لاية اية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها
احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعدما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا
العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم
باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
سالهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا وافتخارا ونظل هنا بمعنى ندوم و
قيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم
او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يُسمعون
اي يُسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا
اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع
والتجؤا الى التقليد قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان
التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم عدو لي يريد انهم
اعداء العابدين من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة
عدوه او ان المغري بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر
في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة
بدأ بها نفسه لتكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى

النسب

النسب الا رب العالمين استثناء منقطع على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من
ابائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور
المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى
اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبداؤها بالنسبة الى الانسان هداية
الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها
والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون
اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين
على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول
على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت
فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة
والمرض في الاغلب يتبعان الماكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان
مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث
انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال
وصلة الى الحياة التي يستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن
والبلية ولان المرض في غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه
ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ
اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي
يميتني ثم يحيين في الاخرة والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك
هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلبا لان يغفر لهم

ما يُفرط منهم واستغفاراً لما عسى ان يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته
الثلث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها معارض وليست خطايا
رب هب لي حكماً كمالاً في العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني
بالصالحين ووفقني الكمال في العمل انتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب
صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاهاً وحُسن صيت
في الدنيا يبقى اثره الى يوم القيمة ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه
او صادقاً من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد
صلى الله عليه وسلم واجعلني من ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة
فيها واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان لابي انه كان من الضالين طريق الحق وان
كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يُخفي الايمان تقية من نمرود
ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على
ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة
وجواز التعذيب عقلاً او بتعذيب ولدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي
بمعنى الهوان من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون
او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم لا ينفعان
احداً الا مخلصاً سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان
الا من هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق و
حثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة
وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع

والمعنى

١

والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث
يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم محشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين
فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم مسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين
ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اين آلهتكم
الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون
بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم و
الغاوون اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي
في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عُصاة
الثقلين او شياطينه اجمعون تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده والا للضمير
وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده
الخطاب في قوله اذ نسويكم برب العالمين في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون
الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع
تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهم كانوا في الضلالة متحسرون عليها وما
اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق
ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا
صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق
ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق

على الجمع كالعدو لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمنى للرجعة
واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من
المؤمنين جواب التمنى او عطف على كرة اى لو ان لنا ان نكر فنكون ان فى ذلك
فيما ذكر من قصة ابرهيم لآية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها
جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها
من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلايلها وحسن دعوته للقوم
وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر فى نفسه واطلاق الوعد
والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع
والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين وان ربك لهو العزيز القادر
على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكى يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت
قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر قويمة وقد مر الكلام فى
تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله
فتتركوا عبادة غيره انى لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا
الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسئلكم عليه على
ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله
واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب
طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو
وحفص بفتح الياء فى اجرى فى كلمات الخمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون
الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع

تابع

تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم على
الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباعهم المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم
بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة
وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمى بما كانوا يعملون انهم عملوه
اخلاصا او طمعا فى طعمة وما على الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربى ما حسابهم
على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون
فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء
طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا
نذير مبين كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى
سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما
على الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا على ان اطردهم لاسترضائكم
قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقولون لتكونن من المرجومين من المشتومين او
المضروبين بالحجارة قال رب ان قومى كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله
وهو تكذيب الحق لا لتخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بينى وبينهم فتحا
فاحكم بينى وبينهم من الفتاحة ونجنى ومن معى من المؤمنين من قصدهم او شوم
عملهم فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه
الباقين من قومه ان فى ذلك لآية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو فى
الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله

واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين تصدير القصص
بها للدلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب
المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وان الانبياء متفقون على ذلك وان
اختلفوا في بعض التفاريع مبرؤن عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية
اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة
تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها
او بروج الحمام او بنيانا تجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليكم او قصورا
تفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا
لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم
جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة
فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه
من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه
بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها
اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال
امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام
قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن
عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه

ان

ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا
هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر
وحمزة وعاصم خُلُق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين من الانبياء كانوا
يلفقون مثله وما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم
ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة
لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم
بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين اتتركون فيما هاهنا آمنين انكار لان يتركوا كذلك
او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم امنين ثم فسره بقوله
في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان
النخل انثى وطلع اناث النخل وهو الطلع ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه
شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار
الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين
بطرين او حاذقين من الفراهة فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع
وابن كثير وابي عمرو فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا
امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر او نسب حكم
الامر مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم فلذلك عطف

ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين
الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوى السحر وهي الرية اى من الاناسي
فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت من الصادقين في دعواك
قال هذه ناقة اى بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب
نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب
يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء بضرب
وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من
تعظيم العذاب فعقروها اسند الفعل الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك
اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند
معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اى العذاب الموعود ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء
بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن
مثله ببركة من آمن منهم وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
اى اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او تاتون
الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزتكم فالمراد با
العالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم
من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح

منهن

منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون
متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون
في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه
الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من
المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف
وسوء حال قال انى لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار
عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم
مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اى من شومه وعذابه فنجيناه و
اهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب
بهم الا عجوزا امراة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر
في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن
بقيت في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم
قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم مطرا فساء مطر المنذرين اللام فيه
للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو
مطرهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب
اصحاب الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين
تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال
اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم
الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها

على اللام وقرئت ليكة بفتوحة على انها ليكة وهو اسم بلدهم وانما كتب ههنا وفي ص
بغير الالف اتباعا للفظ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من
اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق
الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا
فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا حمزة والكسائي وحفص
بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا اشيا من حقوقهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين
وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسا له
مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من
السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرا
حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون
وبعذابه منزل عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم
عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى
غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول
الله وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل
به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات

فلكية

فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القران ونبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب
ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على
الروح ثم ينتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم يتصعد منه الى الدماغ فينتقش
بها الروح المتخيلة والروح الامين جبرائيل فانه امين الله على وحيه وقرا ابن عامر وابو بكر
والكسائي بالتشديد ونصب الروح والامين لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب
من فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه
متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهو
هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام وانه لفي زبر الاولين وان ذكره
او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم اية على صحة القران او نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير
لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء واية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان
يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او الاسم ضمير القصة واية خبر
ان يعلمه والجملة خبر يكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه
او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع
السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه
بقوله ما كانوا مؤمنين فيدل الاية على انه بخلق الله وقيل للقران اي ادخلناه فيها

فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم
الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا
هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا
حجارة فاتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرايت ان
متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر
لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى
لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير
الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعمت المشركون انه من قبيل
ما يلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون
وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة
في صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم
خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقران مشتمل على حقائق ومغيبات
لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين
تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين
الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روى انه لما نزل صعد الصفا
فناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل
خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض

جناحك

جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر
جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض
على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك
ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على
العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط
الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح
احوال المتهجدين كما روي لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت
اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام
والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله
التي بها يستاهل ولايته بعد وصفه بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه
تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه
هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القران لا يصح
ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم
لا يصح ان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير
الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد
عليه السلام على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون
اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات

لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما
جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من
مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى
وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم
على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين
اي يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات و
يوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون
فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور
فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد عليه السلام
ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم في كل واد
يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب
بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب
والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون
ما لا يفعلون وكانه لما كان اعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى وقد قدحوا في المعنى
بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين
وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال اربابهما وقرأ نافع
يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر

شعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا
به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة (معارضة) هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان
بن ثابت والكعبين فكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن
كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد
عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد
لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي
منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاهما ابو بكر لعمر
رضي الله عنهما حين عهد اليه (بالخلافة) وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات
وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتون من عذاب الله وسيعلمون
ان ليس لهم وجه من الوجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به و
هود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق محمد عليهما السلام

سورة النمل مكية وهي تسعون وثلث او اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين الاشارة الى آي السورة والكتاب
المبين اما اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين
فيه وتاخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او
القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على
القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب
بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين

حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منهما او خبران آخران او خبر
ان المحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات
من الصلوة وهم بالاخرة يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير
النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباتهم وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية
كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة فان
تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير
للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زين اعمالهم القبيحة
بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم
ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها
من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الاخرة
هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة وانك
لتلقى القران لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان
العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان
علوم القران منها ما هي حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك كا
القصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال
موسى لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم
سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن
معه غير امراته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد
بالاتيان وان ابطاء او آتيكم بشهاب قبس شعلة نار واضافة الشهاب اليه لانه يكون

قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه
بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد
للدلالة على انه لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله
لانه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها
والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك اي بورك فان النداء فيه
معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان
اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام
كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة
في قوله تعالى في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في من في تلك
الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء
وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل
المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي
له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام
ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر وتعجب
من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة
مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان
لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا
حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اي نودي
ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد

قوله ان يا موسى انى انا الله بتكرير ان فلما راها تهتز تتحرك باضطراب كانها
جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من وجد في الهرب من التقاء الساكنين
ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان
ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله
انى لا يخاف لدى المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس
اى من الله او لا يكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سوء فانى غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفى
الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما
يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى
وقيل متصل وثم بدل مستانف معطوف على محذوف اى من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة
وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب
اى يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها
على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع
ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في
تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاول
هى يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما
جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا
بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات

تبصر

تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا ان يهدى او مبصرة كل من
نظر اليها وتامل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين
واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها
لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا من الايمان وانتصابهما على العلة من
جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في
الاخرى ولقد اتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم
والشرائع او علما اى علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه الحمد
لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعنى من لم يؤت علما او مثل علمهما
وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم
يعتبرا دونه مما اوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على
ان يحمد الله على ما اتاه من فضله وعلى ان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على
كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام
مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شئ تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس
الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه
والنطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا
وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه
الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة
للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف

الاعراض بحيث يفهم بها ما من جنسه ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت
حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك
ما حكي انه مر ببلبل يتصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى
الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله
كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم
قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة
قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد و
يعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر لسليمان و
جمع جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون يحبس اوائلهم
على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية
الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من علو او لان المراد قطعه من قولهم اتى
على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت
نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت
عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها
من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا
مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمن وجنوده
نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك
ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله في السعة
وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة

الانبياء

الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون
فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها
او سرورا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل
توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
وان اعمل اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث
لا انفك عنه وادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما
نعمة عليه يرجع نفعها اليه سيما الدينية صالحا ترضيه تماما للشكر و
استدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة و
وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر
او غيره فقال ما لي لا ارى الهدهد ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك
واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف
ريشه والقائه في الشمس او حيث النمل يأكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه
ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف
في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد
الامور الثلثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير او ليأتينني بالنونين
الاولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة
رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبا
وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به

ليتحقق اليه نفسه ويستصغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير
اطباق وجئتك من سبأ وقرأ ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير مصروف
على تأويل القبيلة او البلدة بنبأ يقين بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء
بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من
مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء
وكان الهدهد رائده لانه يحس طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل
سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم
رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده
اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت
امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل ابن مالك بن الريان والضمير لسبأ او
لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك ولها عرش عظيم عظيمة بالنسبة
اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين
من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من
مقابح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا
لله فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم
او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف
على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت
الا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعا فانطق واصيبي وعلى هذا صح ان يكون

استئنافا

١١٤

استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى
الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها
وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذي
يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصف له بما يوجب
اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده
وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق
الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة
الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم
انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا
اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين
العظيمين بون عظيم قال سننظر سنعرف من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت
من الكاذبين ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا
فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا
يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعدما القي اليها يا ايها
الملأ اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة
شأنه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد في كوة والقاه
على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استئناف كانه قيل لها ممن هو وما هو
فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من سليمان وانه اي المكتوب او المضمون وقرئ
بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا

علی ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف ای هو او المقصود ان لا تعلوا
او بدل من كتاب واتونی مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا الكلام فی غاية الوجازة مع
كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا
والتزاما والنهی عن الترفع الذی هو ام الرذايل والامر بالاسلام الجامع لامهات
الفضايل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد
فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالات قالت يا ايها الملاء افتونی
فی امری اجيبونی فی امری الفتی واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا
ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة
قالوا نحن اولو قوة بالاجساد والعدد واولو بأس شديد نجدة وشجاعة
والامر اليك موكول فانظری ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع
رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم من
الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح
مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعمارتهم
ثم ان الحرب سجال لا يدری عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب
ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم
وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل وانی
مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه فی المصالحة والمعنى انی مرسلة رسلا بهدية
ادفعه بها عن ملكی فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روی انها
بعثت منذر بن عمرو فی وفد وارسلت معهم غلمانا على زی الجواری وجواری

فی جمع وافد من الوفود الرسالة الى الامير

على

على زی الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا
ميز بين الغلمان والجواری وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فی الخرزة خيطا فلما و
صلوا الى معسكره ورأوا عظمة شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه
وقد سبقهم جبرائيل بالحال طلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت
فی الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت فی الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية
تاخذ الماء بيدها فتجعله فی الاخرى ثم تضرب به على وجهها والغلام كما ياخذه يضرب
به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان ای الرسول او ما اهدت اليه وقری فلما جاؤا
قال اتمدوننی بمال الخطاب للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب
بالادغام وقری بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما اتانی الله من النبوة والملك
الذی لا مزيد عليه خير مما اتيكم فلا حاجة لی الى هديتكم ولا وقع لها عندی بل انتم بهديتكم
تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدی اليكم حبا
لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال
عليه وتعليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فی قصور الهمة
بالدنيا والزيادة فيها ارجع اليهم ايها الرسول الى بلقيس وقومها فلناتينهم
بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقری بهم
ولنخرجنهم منها من سباء اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسرا
مهانون قال يا ايها الملاء ايكم ياتينی بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه
الله تعالى به من العجايب الدالة على عظيم القدرة وصدقه فی دعوى النبوة ويختبر
عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان ياتونی مسلمين فانها اذا

انت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال
للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
مجلسك للحكومة وكان يجلس نصف النهار واني عليه على حمله لقوي امين لا اختزل منه
شيا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل
او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه
الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه
استبطاه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتاتى له ما لا
يتهيا لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح
وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع
موضعه ولما كان يوصف بارسال الطرف كما في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل
طرفك نحو شي فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه
فلما رآه راى العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة
المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن
من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في
امكان مثله قد مر في اية الاسراء ليبلوني ءاشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول
مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه و
محلها النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب لها دوام
النعمة ومزيدها ويحط عنها عباء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر

فان

فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير
هيئته وشكله ننظر بالجزم لجواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي ام تكون من
الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله
اذ رات تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس
فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت
عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من
كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد
بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى
وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الايات وقيل انه كلام سليمان
وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت
ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها
غير الله ولا يظهر الا على الانبياء اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء
من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث
بما انعم الله عليهم بالتقدم في ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله
اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها
بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل
صد على الاول اي صدها نشوها بين اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي
الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي
انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه

حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت
عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق وأسؤق
قال انه ان ما تظنينه ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت
نفسي بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة و
اسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها
او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا
الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا
التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فيقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة
فتؤخرونها الى نزول العذاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ
لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل ح قالوا اطيرنا
تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم
دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب
عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان
طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة
رهط تسعة انفس وانما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من
الثلاثة او السبعة الى العشرة والنفر من ثلاثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون
اي شأنهم الافساد الخالص عن شوب الاصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا
بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن

صالحا

صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء
على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك
اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك
في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا
وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد
للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك
ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلنا
سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب
يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا
الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا
ثم وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرنا
استيناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ
الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان
او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة
منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم يعلمون
فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي
فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد

ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول وظرف على الثاني اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون
تعلمون فحشها من بصر القلب واقتران القبايح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها
بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتاتون الرجال شهوة
بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في
المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم
تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح
او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا
او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين
قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله عليه السلام بعد
ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظمة شانه وما خص به رسله
من الايات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده
شكرا على ما انعم عليهم وعلما بما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم
واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من
اصطفاهم بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير اما يشركون
الزام لهم وتهكم به وتسفيه لرايهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه راسا
حتى يوازن بينه وبين ما هو مبدا كل خير وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالياء امن بل امن خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات

ومبادي

ومبادي المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم من
السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد
اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة
الانواع المتباعدة الطبايع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه
بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق
وهو الاحاطة االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد
بالخلق والتكوين وقرئ االها باضمار فعل مثل اتدعون او تشركون وتوسيط
مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق
الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق السموات و
جعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتاتى استقرار الانسان
والدواب عليها وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي
جبالا تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين
العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان
االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن يجيب المضطر اذا
دعاه المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجاء الى الله تعالى من الاضطرار وهو
افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر
ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوؤه ويجعلكم خلفاء في الارض
خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم االه مع الله الذي حفكم بهذه
النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة

والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفايدة وقرا ابو عمرو وهاشم بالياء وحمزة
والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر
بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر
للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريق ظلماء وعمياء التي لا منار بها ومن يرسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة
الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب
الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب االه مع الله يقدر
على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق
امن يبدؤا الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج
الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية االه
مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم
صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفايقة العامة اتبعه
ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى
على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض من تعلق
علمه بها واطلع عليها ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان
المراد بمن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها
فانه يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون
ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل

للكفرة

للكفرة بل ادارك علمهم في الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم
بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب
علمهم من الحجج والايات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في
شك منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها
لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى
جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل
الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الاخرة
تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لان تلك غايتها
التي عندها تعدم وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى
تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك
وابو عمرو وابن كثير وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين
وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وام ادرك وما فيه
استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير
له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان
شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار وقال الذين
كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا
ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام
مانعة عن عمله فيما قبله وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج
من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة وقرا نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة

وقرأ ابن عامر والكسائي اننا لمخرجون بنونين على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
من قبل من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث
اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل
ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم
ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن
كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان
الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين
قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن
معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون
حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما
يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى
وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة
الافضال وجمعهما فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة
فيه فلا يشكرون بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم
ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اذا سترته وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم
عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة و
التاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية
الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة

ان هذا

ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه
واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به
ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه
انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل
على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق
بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه
من متابعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى
عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم
في هذه الحالة ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما انت تهدي العمي ان تسمع
اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون
مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو
ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان
طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها
طالب وروي انه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله
يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها
تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء
فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا
باياتنا خروجها وسائر احوالها فانها من ايات الله وقيل القرآن وقرأ الكوفيون

ان الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول
الله او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة يعني يوم القيمة
فوجا ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان
امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على
آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاءوا الى
المحشر قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الرأي غير
ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتكذيب او للعطف اي اجمعتم
بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي شيء
كنتم تعملون بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون
ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم
في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فهم لا
ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى
تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين
بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة
قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا
من اسباب لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا
الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه
بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلثة ويوم ينفخ في الصور والصور او القرن

وهي وحدة الصانع وجواز الحشر وبعثة الرسل

وقيل

وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات
ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع
بان يثبت قلبه قيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة
العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه
حاضرون للموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص
اتوه على الفعل وقرئ اتاه للتوحيد للفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين
وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة و
ذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها صنع
الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي
اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر
الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت
له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحد وقيل خير منها اي خير حاصل
من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء
والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول
ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر و
المؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم
وآمن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله فامنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع
يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم
في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت با

بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات
او باضمار القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها
امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدا والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا
بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة
ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التي حرمها
وله كل شي خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة
الاسلام وان اتلو القران وان اواظب على تلاوته لينكشف لي حقايقه في تلاوته شيا
فشيا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي
لنفسه فان منافعه عايدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فما علي
من وبال ضلاله شي اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة
النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم اياته القاهرة في الدنيا كوقعة
بدر وخروج دابة الارض او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله و
لكن حين لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير
عذابكم لغفلة عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان
وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا
الله سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا
نبتغي الجاهلين وهي ثمانون وثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم
طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك نقرؤه عليك بقراءة جبرائيل

ويجوز

ويجوز ان يكون بمعنى نتنزله مجازا من نبا موسى وفرعون بعض نباهما مفعول
نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض
استيناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه
فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف
في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة
منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله
يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد
مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق
لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك اجترا على
قتل كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على
ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبا او حال من يستضعف ولا يلزم
من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به
تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان
تجري مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدارين ونجعلهم الوارثين
لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل
التمكين ان تجعل للشي مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري
فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب
ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرا حمزة والكسائي ويرى بالياء وفرعون

وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع واوحينا الى ام موسى بالالهام او الرؤيا ان ارضعيه
ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا
تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين
عليه وجاعلوه من المرسلين روى انه لما ضربها الطلق دعت قابلة من الحبالى من
الموكلات ببني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه
فارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته
ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت
له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل
لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرا حمزة
والكسائي حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه
ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم
على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به و
قرئ خاطين تخفيف الخاطئين او خاطئين من الصواب الى الخطا وقالت امرات
فرعون اى لفرعون حين اخرجه من التابوت قرة عين لي ولك وهو قرة عين
لنا لانهما لما رايا اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لها ابنة برصاء و
عالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت
وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها
لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل
اليمن

اليمن ودلائل النفع وذلك لما رات من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا
وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون
حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اى وهم لا يشعرون انهم على الخطا
في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميرى نتخذه على ان الضمير
للناس اى وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا
صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
كقوله وافئدتهم هواء اى خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم
دماؤهم بينهم فرغ اى هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها
ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اى
بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر
او الثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او الواثقين بحفظه
لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء
همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله
وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد
وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته
وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو
الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصصها اثره فقالت هل ادلكم
على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه
وتربيته روى ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر بحاله

فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون ان تاتي بمن يكفله فاتت
بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها
فقال من انت منه فقد ابى ثدي الا ثديك قالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن
لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها
وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد
الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان
الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها
حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه
وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا
على راس الاربعين واستوى قده او عقله آتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او علم
الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو
اوفق لنظم القصة لانه استنباه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي
فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر
آتيا من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة
من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل
بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه
احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والاخر مخالفيه وهم القبط والاشارة
على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة
ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ
فلكزه

فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه
ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا
فيهم فلم يكن له اغتياله ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطاء وانما عده من عمل الشيطان
وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل
مبين فاستغفره انه هو الغفور ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله
فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال
رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي المغفرة وغيرها
لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني
فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى الجرم وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة
اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة
اعدائك فاذا الذي فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذي
استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوي
مبين بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل اخر فلما ان اراد ان يبطش
بالذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا
اعداء بني اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله
الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي فكانه توهم من قوله
انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا
في الارض تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين
بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى

الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء
رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة
صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملا يأتمرون
بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ايتمارا لان كلا من المتشاورين
يأمر الآخر ويأتمر فاخرج انى لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق
طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما
توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم يكن
في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان الليال قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق
فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه واخذوا في الآخرين ولما ورد ماء مدين و
صل اليه وهو بئر يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس
جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم امرأتين في مكان
اسفل من مكانهم تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء لئلا تختلطا باغنامهم قال ما
خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم
عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال فحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل
على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف
وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرجال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع
ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت

الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان
به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها و
استقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي لاي شيء انزلت من خير
قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل
معناه اني لما انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون
والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشي على استحياء
اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفراء
وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر ما سقيت لنا
جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته
لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت
لا نبيع ديننا بالدنيا قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هيهنا وان
من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص
قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احديهما يعني
التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي الامين تعليل
شائع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما
وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب معروف روي ان شعيبا قال لها
وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته
وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ان تأجر
نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين

ومفعوله الثالث بإضمار مضاف أي رعية ثماني حجج فإن أتممت عشرا فعمل عشر
حجج فمن عندك فإتمامه من عندك تفضلا لا من عندي إلزاما عليك وهذا استدعاء
العقد لا نفسه فلعله جرى على أجرة معينة ومهر آخر أو برعية الأجل الأول ووعد له أن يوفي
في الأخير إن تيسر له قبل العقد وكانت الأغنام للمزوجة مع أنه يمكن اختلاف الشرائع
في ذلك وما أريد أن أشق عليك بإلزام إتمام العشر أو المناقشة في مراعاة الأوقات
واستيفاء الأعمال واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك يشق عليك
اعتقادك في إطاقته ورأيك في مزاولته ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن
المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك أي ذلك الذي عاهدتني
فيه قائم بيننا لا نخرج عنه أيما الأجلين أطولهما أو أقصرهما قضيت وفيتك إياه
فلا عدوان علي لا يعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا
أطالب بالزيادة على الثماني أو فلا أكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا إثم
علي وهو أبلغ في إثبات الخيرة وتساوي الأجلين في القضاء من أن يقال إن
قضيت الأقصر فلا عدوان علي وقرئ أيما كقوله تنظرت نصرا والسماكين
أيهما من الغيث استهلت مواطره وأي الأجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة
لتأكيد الفعل أي أي الأجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما
نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله بامرأته
روي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا أخر ثم عزم على الرجوع
آنس من جانب الطور نارا أبصر من الجهة التي تلي الطور قال لأهله امكثوا إني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق أو جذوة عود غليظ سواء كان في رأسه

نار

نار أو لم يكن قال باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر
والفعلة قبس من النار جذوة شديدة العلب ما حرتها والتهابها ولذلك بينه بقوله
من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون
بها فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن أتاه النداء من الشاطئ الأيمن لموسى
في البقعة المباركة متصل بالشاطئ أو صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل
الاشتمال لأنها كانت نابتة على الشاطئ أن يا موسى أي يا موسى إني أنا الله رب
العالمين هذا وإن خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وأن ألق
عصاك فلما رآها تهتز أي فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز
كأنها جان في الهيئة والجثة أو في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب
ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين من المخاوف
فإنه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك أدخلها تخرج بيضاء من
غير سوء عيب واضمم إليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف
الفزع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب فيكون
تكريرا لغرض آخر وهو أن يكون في وجه العدو ظاهر الجرأة ومبدأ لظهور
معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة
من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه من
الرهب من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما
وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك إشارة إلى العصا واليد وشدده

ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان من ربك حجتان وبرهان فعلان لقولهم
ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء
وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن الى فرعون مرسلا
وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال
رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخى هرون هو افصح
منى لسانا فارسله معى ردءا معينا وهو فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء
وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقنى بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة
انى اخاف ان يكذبون ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق
القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم
وحمزة يصدقنى بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك
باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر
عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون
اليكما باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بمحذوف اى اذهبا باياتنا او بنجعل
اى نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او
بيان للغالبون فى قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا
بينات بمعنى انه صلة لما بينا او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى قالوا
ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله
او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء
النبوة فى اباءنا الاولين كائنا فى ايامهم وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى

فيعلم

من عنده فيعلم انى محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا
لمقالتهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما
من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها
الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب
والعقاب وانما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء انه لا يفلح
الظالمون لا يفوزون بالهدى فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى وقال فرعون
يا ايها الملاء ما علمت لكم من اله غيرى نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن
عنده ما يقتضى الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع على الحال
بقوله فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى كانه
توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال وانى لاظنه من
الكاذبين او اراد ان يبنى له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها
ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله
اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا
من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها
انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الاجر فرعون ولذلك امر
باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان
باسمه بياء فى وسط الكلام واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق بغير استحقاق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء
وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم

لشان الآخذ والعقاب بأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم في كف فطرحهم في اليم و
نظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها
وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل في الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها
من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة
هم من المقبوحين من المطرودين او من قبح وجوههم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس
انوار القلوبهم تتبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرايع
التي هي سبيل الله ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا
على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفته وما كنت بجانب الغربي
يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي منه
والخطاب لرسول الله اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر
الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون
المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات
التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشانا قرونا فتطاول
عليهم العمر اي ولكنا اوحينا اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت
عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك

واقام

واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم
تقرؤ عليهم تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك و
المخبرين لك بها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما
اعطاه التورية وبالاول حين استنباه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة
من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه لتنذر قوما متعلق بالفعل
المحذوف ما اتيهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي
خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت
مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم
مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها
لانها لما اجيبت بها الفاء تشبيها بالامر مفعول يقولوا بالمعطوف على تصيبهم
بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا
لانتفاء ما تجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى يلجاهم العقوبة والجواب محذوف
والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت
الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما
ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فلما جاءهم الحق يعني الرسول
المصدق بنوع من المعجزات من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من
الكتاب جملة واليد البيضاء والعصا وغيرهما اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا
بما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الراي والمذهب وهم كفرة زمان موسى

وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون موسى وهرون او موسى
ومحمد عليه السلام تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين
وقرا الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما
الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرين
اى بكل منهما او بكل الانبياء قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل
على موسى وعلى محمد اضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد
اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام
والتبكيت ولعل مجى حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان
بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء
وباللام الى الداعى فاذا عدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب
الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا
حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفى بغير هدى من الله
فى موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس قد توافق الحق ان الله لا
يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى ولقد
وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير او فى النظم ليتقرر
الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون
الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت فى مؤمنى اهل
الكتاب وقيل فى اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة
وثمانية من الشام والضمير فى من قبله للقران كالمستكن فى يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا

امنا به

امنا به اى بانه كلام الله تعالى انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به
انا كنا من قبله مسلمين استيناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه
حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره فى الكتب المتقدمة وكونهم على دين
الاسلام قبل نزول القران او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة اولئك
يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقران
بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقران قبل
النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما
رزقناهم ينفقون فى سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا
للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء
لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغى الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد انك
لا تهدى من احببت لا تقدر ان تدخله فى الاسلام ولكن الله يهدى من يشاء فيدخله
فى الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى
ابى طالب وقال البيتين ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا فانه لما احتضر جاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك
عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال خرع عند
الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت
فى الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال

نحن نعلم على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس
ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل
مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون
يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء ثمرات
كل شىء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف
يعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم
لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله
من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما
خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها
بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقا بان يخافوا من بأس الله على ما هم
عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اى وكم من اهل قرية كانت
حالهم كحالكم فى الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم
فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما
او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن
الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر متصرفاتهم
وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى
مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت
وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث فى امها فى اصلها التى
هى اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلوا عليهم آياتنا لالزام

الحجة

١٢٠

الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل
والعتو فى الكفر وما اوتيتم من شىء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا
وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية وما عند الله وهو
ثوابه خير فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدى
افلا تعقلون فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرئ بالياء وهو
ابلغ فى الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فانه حسن الوعد
بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك
عطفه بالفاء المعطية السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذى هو مشوب
بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من
المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع
فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل فى هذه الاية
كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم فيقول اين
شركائى الذين كنتم تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان
لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول
مؤداه وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات
الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى هؤلاء الذين اغويناهم فحذف الراجع الى
الموصول اغويناهم كما غوينا اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو
استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة
وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به

فافاده زيادة على الصفة وهو وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك
منهم ومما اختاروه من الكفر هوى عنهم وهى تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت
عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا
يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن
الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من
الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى اى تمنوا
انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول
فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء
يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء
لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج
فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل
او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون (التردد فى الكلام) فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون
العلم الى الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى
الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم
بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل
فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترجى من
التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه
ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا

والامر

والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى بدواع
لا اختيار لهم فيها وقيل المراد به انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا
عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل فى قولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وقيل ما موصولة ليختار والراجع فيه محذوف والمعنى ويختار
الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد
ويزاحم اختياره وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه وربك
يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقده وما يعلنون كالطعن فيه
وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد فى الاولى
والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه
فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده
ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ فى كل شىء واليه ترجعون
بالنشور قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة
والميم مزيدة كميم دلامص (الدرع البراق) الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض
او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء وكان حقه هل اله فذكر
بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع
تدبر واستبصار قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها
فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه
استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى
ذاته مقصودة بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن

به افلا تسمعون بالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته
من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار
بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها
ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع
للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رايهم
والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهي وهوى ونزعنا واخرجنا
من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا
برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا
يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من
الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى
وكان ممن آمن به فبغى عليهم وطلب الفضل وان يكونوا تحت امره او تكبر
عليهم او ظلمهم قيل ذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روى انه
تعالى قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة (الامامة) وانا في غير شيء الى متى اصبر واتيناه
من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر
وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة
خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى امالته والعصبة
والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء
المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب لتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح
بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها او الرضى بها والذهول عن ذهابها فان

العلم

العلم بان ما فيها من اللذة مفارق لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في
سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتيكم وعلل
النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا
وابتغ فيما آتيك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود
منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي واحسن الى عباد الله
كما احسن الله اليك فيما انعم اليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك
بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض بامر يكون علة للظلم والبغي ان الله لا يحب
المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي فضلت به على الناس
واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم
التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر
المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا
عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من
هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع
علمه بذلك لانه قراه في التورية وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه
العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى
ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد
قارون بذكر هلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم
يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة

نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تاخذ منها ما يكفيك صح

فخرج على قومه في زينته كما قيل انه على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من
ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة
الناس من الرغبة فيها يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن
الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين
ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله خير في الآخرة لمن آمن
وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة التي
تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان او العمل الصالح فانهما
في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره
الارض روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى
نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد ان يفضح موسى
بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام
رشوة
موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنا غير محصن جلدناه ومن زنا محصنا
رجمناه فقال قارون ولو كنت فقال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك
فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون
جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض
بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه الى وسطه ثم قال خذيه
فاخذته ثم قال خذيه فاخذته فاخذته ثم قال خذيه فخسف به وكان قارون الى عنقه صح
يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه افظاظة استرحمك مرارا فلم
ترحمه فوعزتي وجلالي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه

فدعا الله

فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة اعوان مشتقة من فاوت
رأسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين
من الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين
تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيته لا لكرامة
تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي
للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الرزق وقيل من ويك
بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا
ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله وقرا حفص بفتح
الخاء والسين ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا
لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت
خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون
والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا
وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر
موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون
اي الا مثل ما كانوا يعملون وحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما
فيه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك

فيه أو بلدة التي اعتدت بها على انه من العادة ردة اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة
للمتقين وآكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى
في الدارين روى انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت
قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل
يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني به
المشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك
الكتاب اى سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة
من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال
وما القى اليك الكتاب الا رحمة فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم
والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ
انزلت اليك وقرئ يُصِدّنك من اصدّ وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده
ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما قبله
للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شيء هالك
الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم له الحكم القضاء
النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي عليه من قرأ سورة طسم
القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات
والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا سورة العنكبوت مكية وهى
تسع وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه فوقوع
الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان

مما

مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين
او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فان معناه و
أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين
من تمامه ولقولهم هو الثاني لقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين
غير مفتونين لقولهم امنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة
ورفض الشهوات ووظايف الطاعات وانواع المصايب في الانفس والاموال
ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها
عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود
في العذاب روى انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل في مهجع
مولى عمر بن الخطاب رض رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه
وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك
سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين
صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى
وليميزن وليجازين وقرئ وليُعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او ليسمنهم
بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون
السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان
يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وام
منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله

ساء ما يحكمون اى بئس الذى يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان
يرجوا لقاء الله فى الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت
والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد
اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط منها
فان اجل الله فان الوقت المضروب للقاء لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء
كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضاء
وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقايدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر
على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله
لغنى عن العالمين فلا حاجة الى طاعتهم وانما كلفهم عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصى بما
يتبعها من الطاعة ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم ووصينا
الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى
يجرى مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن بوالديه حسنا وقيل
حسنا انتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى قلنا اولهما او افعل بهما
حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسَنا واحسانا
وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم بالالهية عبر عن نفيها بنفى العلم بها
اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه
فلا تطعهما فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول
ان لم يضمر قبل الى مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق

فا

فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والآية نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها
لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت
ثلثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمن والاحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
فى الصالحين فى جملتهم والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله و
المرسلين او فى مدخلهم وهى الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله
بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم فى الصرف عن الايمان
كعذاب الله فى الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم
فى الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين
ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن
الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازى الفريقين وقال الذين كفروا
للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا الذى نسلكه فى ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان خطيئة وان كان
بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق
الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار
رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون من الاولى
للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن
اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخرى معها لما
تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ
وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل
التى اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما

بعد البعث اذ روي انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد
الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة و
خمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع
فان المقصود من القصة تسلية رسول الله وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف
المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف
بكثرة من السيل او الظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب
السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين
وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة آية
للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابرهيم عطف على نوح او نصب باضمار اذكر
وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا
اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال
ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون
ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها
عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث
انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف
وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون
الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا
يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم

فابتغوا

فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم
بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون
وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا اكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل
فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم
وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب
فالآية وما بعدها من جملة قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان
تكون اعتراضا بذكر شأن النبي عليه السلام وقريش وهدم مذهبهم والوعيد
على سوء صنيعهم توسطا بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول
عليه السلام والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك
القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابرهيم عليه السلام في قومه اولم يروا كيف يبدئ
الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول
وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ
فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يؤول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما
كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة
الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا
في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد عليهما السلام فانظروا كيف بدأ الخلق
على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى
التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع بعد العدم والافصاح
باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس عكسه للدلالة على ان

المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على
الاعادة لانها اهون والكلام في العطف على مامر وقرأ ابن كثير النشاءة كالرأفة
ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على السواء فيقدر
على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم
من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين في الارض ربكم عن ادراككم
ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها او
التحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن
يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
يحرسكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات
الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون
منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا لانكار البعث
والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم وقرئ
بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم
لكن لما قيل فيهم او رضي به الباقون اسند الى كلهم ان ذلك في انجائه منها لآيات
لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص وهي حفظه من اذى النار واخمادها مع
عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها وقال انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون المودة المفعول الثاني
بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأ

نافع

نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن وابو عمرو والكسائي
ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة او سبب مودة
بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف
وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد
تقطع بينكم وقرأ ابن مسعود انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم النار اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين
الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخته ابرهيم واول من آمن به حين رأى النار لم تحرقه
وقال اني مهاجر من قومي الى ربي [illegible] الى حيث امرني ربي انه هو العزيز
الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من
كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام
فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين
آيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة
فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره
على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار
النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه آخر الدهر وانه في الآخرة
لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما
عطف عليه وهو نوح اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ
الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام
الانشاء

واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر
لفحاشتها من حيث انها مما اشمازت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى
اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون
السابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل
بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتاتون في ناديكم في مجالسكم العامة ولا
يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبايح
وعدم مبالاة بها وقيل الخذف بالحصا والرمي بالبنادق فما كان جواب قومه الا
ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في دعوى
النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين
بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العقاب
واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة
بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية
لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم في ظلمهم
الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم
يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم
بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا
غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تاقيت الاهلاك
باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب الا امراته كانت من الغابرين الباقين
في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم

مخافة

مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم
ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه
رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير
الذراع وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك
واهلك الا امراتك كانت من الغابرين وقرا حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك
بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جر على المختار
ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه
القرية رجزا من السماء عذابا منها وسمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا
ارتجس اي اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب
فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة هي حكايتها الشايعة او اثار الديار الخربة وقيل
الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او اية والى مدين
اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر وافعلوا ما ترجون
به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض
مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرائيل لان القلوب
ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم ولم تجمع لامن اللبس جاثمين
باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبل
مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير منصرف على تاويل القبيلة وقد
تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم

اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم
عن السبيل السوي وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا
او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون
وفرعون وهامان معطوفون على عاد وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فايتين بل ادركهم امر الله من
سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته
الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا
كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم
بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض
للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا حقيقة
وانتفاعا او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص
والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع
على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا
بيت اوهى واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا
ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان المراد بيت العنكبوت دينهم
سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى ان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله
يعلم ما تدعون من دونه من شيء على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله يعلم وقراه

عاصم

عاصم وابو عمرو ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون
ويعلم متعلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية
وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عايده المحذوف والكلام
على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل
على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد
بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم
وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظايره نضربها
للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفايدتها الا العالمون
الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه السلام انه تلا هذه الاية فقال
العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض
بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افاضة الخير والدلالة
على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها
اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه
فان القاري المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم
الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان يكون سببا للانتهاء عن المعاصي
حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية
منه روى ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان الصلوة ستنهاه فلم يلبث
ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من ساير الطاعات وانما عبر عنها به

للتعليل وان اشتمال ما ذكره هي العمدة في كونها مشغلة على الحسنات ناهية عن
السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما يصنعون
منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب
بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه
انه آخر الدواء وقيل المراد به ذو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداد
والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا
آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة التي هي احسن وعن النبي عليه
السلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان
قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن
له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا
لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به هم
عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من اهل الكتاب ومن هؤلاء
ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن
وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون
في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة
الى الرسول كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة

والتعلم

والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا
لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب
الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه
الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم
فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات
في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد تحريفه وما يجحد باياتنا
الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى
لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى
ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل انما
الايات عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فاتيكم بما يقترحونه و
وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار وابانته فيما اعطيت من الايات
اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوا انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم
تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم اية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر
الايات او يتلى عليهم بغني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك
ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة بينة لرحمة وذكرى
لنعمة عظيمة وتذكرة لقوم يؤمنون لمن همه الايمان دون التعنت وقيل
ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود
فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم
فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او تبليغي

ما ارسلت به اليكم ونعصى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات
والارض فلا يخفى عليه حالى وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبدون من دون
الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان
ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل
عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجاة في الدنيا كوقعة
بدر او الاخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب
وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيط
بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع
الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم
الجنس على حكمهم يوم يغشيهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت
وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض
ملائكته بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم
تعملون اى جزاءه يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون
اى اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى
حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان
شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد والفاء جواب شرط محذوف
اذ المعنى ان ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة في ارض فاخلصوها في غيرها
كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته
ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرا ابو بكر بالياء والذين امنوا وعملوا الصالحات

لنبوئنهم

لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالى وقرا حمزة والكسائى لنثوينهم اى لنقيمنهم
من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه
الظرف الموقت بالمبهم تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين
وقرى فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية
المشركين والهجرة الى غيره لكثير من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون
الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما
تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع
قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب
لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم
كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم
بضميركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر
المسئول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات
الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم
بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له
والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير
موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم
ومفاسدهم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم
يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك

من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون
حيث يقرون بانه المبدء للكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما
تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا فهي لا تزن
عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه
ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الاخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة
الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او جعلت هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان
مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من
الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها
ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة
فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم
اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين
كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجئوا
المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين
بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام
الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع و
ليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل
مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل
والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله

في

في تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها
مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث
اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني
الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم
بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير
لثوائهم كقوله ألستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها و
قد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم
اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين جاهدوا
فينا في حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه
لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية
الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة قال عليه
السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين
والمنافقين سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون آية او تسع
وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض
العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل
من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم و
هو لغة كالجلب والجلب سيغلبون في بضع سنين فما روي ان فارس غزوا

الروم فوافقوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى روم الارض من الفرس
فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى
اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم
فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على
فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه
فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر
رسول الله فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
قفوله من احد فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة
ابي وجاء به الى رسول الله فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة
في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والاية من دلائل النبوة لانها اخبار
عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف
الشام والمسلمين سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون و
فتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن
بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين مغلوبين
ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين
يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف
اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون
بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم

فيما

فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل
بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعضهم اعداءهم بعضا حتى تفانوا
ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده
بالنصر عليهم ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله
في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة التي هي غايتها والمقصود منها
هم غافلون لا يخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره
والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة
لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقرير لجهالتهم وتشبيها لهم
بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظواهرها فان من العلم بظاهرها
معرفة حقايقها وصفاتها وخصايصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها
منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الاخرة
ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي
يختص بظاهر الدنيا او لم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او الم يتفكروا
في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى
في الممكنات باسرها ليتحقق بقدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق
الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل
الكلام عليه واجل مسمى تنتهي عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء

ربهم بلقاء جزائه عند انقضائه قبل الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون
يحسبون الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى آثار
المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها
لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها اكثر مما عمروها
اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط
لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم
اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف
في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤون الى واد لا ينتفع به وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل
بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان
عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة
على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤوا بمثل افعالهم والسوأى تأنيث
الاسوأ كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت به ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها
يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر
اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على
قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوأى صلة
الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان يكون

ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة
معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى
وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم
ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابو عمرو
وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون
متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وآيس من ان يحتج ومنه
الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكنه ولم يكن لهم
من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله
ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين
يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعوا
وعلموا بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف
الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون
والكافرون لقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض
ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما
الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون
مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله
الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر
بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته
وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة

بتنزيهه واستحقاق الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح
بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو
آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد
النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد
في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون
صلوة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة
الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين
في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه
من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون الاية وعنه من
قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته
في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا
تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة اي
يعقب الحيوة الموت والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة
اي يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها بيبسها و
كذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرأ
حمزة والكسائي بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق
اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض
ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر
النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها

لتميلوا

لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم
اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق
وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف
على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع و
الرحمة عن الولد كقوله ورحمة منا ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ما
في ذلك من الحكم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم
بان علم كل صنف لغته والهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله
فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده
او تخطيطات الاعضاء وهيئتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف
حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق
يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لايات للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل
من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون
ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة
القوى النفسانية وتقوية القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل
وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا
من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر
الآيات الواردة فيه ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار
فان الحكم فيه ظاهرة ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة

المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية
يريكم بها البرق كقوله ، فما الدهر الا تارتان فمنهما ، اموت واخرى ابتغي العيش
اكدح ، خوفا من الصاعقة للمسافر وطمعا في الغيث للمقيم ونصبهما على
العلة لفعل يلزم المذكور فان ارائتهم يستلزم رؤيتهم او له على تقدير
مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف بالاخافة والاطماع كقولك
فعلته رغما للشيطان او على الحال كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد
فيحيي به الارض بعد موتها يبسها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع و
حكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته
لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال
القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على
ان تقوم على تأويل مفرد كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض بامره ثم
خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول يا ايها الموتى اخرجوا والمراد
تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم
عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما للتراخي زمانه او لعظمه
فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون
لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجاة ولذلك نابت مناب الفاء في
جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون
عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة

سهل

اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء
ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى
ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن
فسره بقوله لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره
ما يساويه او يدانيه في السموات والارض يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا وهو
العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى
حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل
لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم
فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها
معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي تخافونهم ان تستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف
الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الايات نبينها فان التمثيل
مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع
الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع
هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم
من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن افاتها فاقم وجهك للدين
حنيفا فقومه له غير ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة على الدين والاهتمام
به فطرة الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس
عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم

لو خُلّوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته لا تبديل
لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين المأمور
باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب
اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير الناصب
المقدر لفطرة الله او قم لان الاية خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا
الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له
من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف
اهوائهم وقرا حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا
فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون
ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس
الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه
رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجاء فريق منهم بالا شراك
بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد
لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل
ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم
بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون
في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها

وان

وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون
فاجئوا القنوط من رحمته اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم
لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج
الحنفية به على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف
لهما من الزكوة والخطاب للنبي عليه السلام او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء
ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا
او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط
لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع
بها مزيد مكافاة وقرا ابن كثير بالقصر ما جئتم به من اعطاء ربا ليربو في اموال
الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك
فيه وقرا نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربا وما آتيتم
من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون
ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار
او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره
عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به
الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك
هم المضعفون به والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون
به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم

ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها موكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي فكل منها مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام للعلة او العاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في النار

السعير من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن اياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه السلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام

الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف
يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك
ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرا ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع
كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب
به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول
عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين
لآيسين فانظر الى اثار رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار
ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها
وقرئ بالتاء تحيي على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء
الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فيها
من القوى في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها
من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون
من مواد تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شي
قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه
مصفرا فراوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان
مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده
يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الايات ناعية على
الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رايهم

فان

فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلجؤوا اليه بالاستغفار اذا احتبس
القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة
اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم
بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق
مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد
استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات [شيئا]
وقرا ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم
سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرا حمزة
وحده تهدي العمي ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي
اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تامرهم
به الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتداكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم
كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد
ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد
قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها
والضم اقوى لقول ابن عمر قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فا
قرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتاخر
ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة وهو العليم
القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم
تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا

او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون
ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم
وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام
والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الآخرة
او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف من الصدق او التحقيق كانوا يؤفكون
يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة او الانس
لقد لبثتم في كتاب الله في علمه وقضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح
او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث الذي انكرتموه ردوا
بذلك ما قالوا وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم
لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب الشرط تقديره ان كنتم
منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع
الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر
او لان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون
الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا
من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفنا لهم فيه بانواع الصفات التي هي
في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم
من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد
والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم باية من ايات القرآن ليقولن الذين

كفروا

كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين
الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا
يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب
يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله حق بنصرتك
واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك
على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون
لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا
يزيغونك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء
والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية وقيل الا آية هي
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف
لانه ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو انما في الارض من شجرة وقيل ثلاث وثلثون اية
اقلام وهي اربع وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات
الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان من
الايات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر
المحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون
بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها
وتكرير الضمير للتوكيد ولحيلولة بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس

من يشترى لهو الحديث ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير
التى لا اعتبار فيها والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية
ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحارث
اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم
بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل
كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه ليضل عن سبيل الله
دينه وقراءة كتابه وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله
ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة
القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى ويعقوب
وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار
الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبا بها كان لم يسمعها
مشابها حاله حال من لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا مشابها من فى اذنيه ثقل لا يقدر
ان يسمع والاولى حال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز ان تكونا فى ولى او مستكبرا
والثانية بدل منها او حال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين
فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرا نافع فى اذنيه وذكر
البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اى لهم
نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير فى لهم او من جنات
والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى
لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذى لا يغلبه

شى

شى فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذى لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته
خلق السموات بغير عمد ترونها قد سبق فى الرعد والقى فى الارض رواسى
جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهية ان تميد بكم فان تشابه اجزائها يقتضى تبدل
احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشىء من لوازمه بحيز
ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها
من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التى
هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها
بقوله هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه هذا الذى ذكر
مخلوقه فماذا خلقت آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او
ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وارونى معلق عنه بل الظالمون فى ضلال
مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لا يخفى على ناظر
ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد
آتينا لقمن الحكمة يعنى لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب او
خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعثه والجمهور
على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية
باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة
على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم
يساله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم
وقليل فاعله ان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت فى يد غيرى

وانه امر بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد
ايام امر بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب
شي اذا طابا واخبث شي اذا خبثا ان اشكر لله لان يشكر او اي اشكر فان ايتاء
الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عايد اليها وهو دوام
النعم واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد
وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمن لابنه
انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقراه ابن كثير يا بني لا تشرك
بالله باسكان اليا وقنبل يا بني اقم الصلوة باسكان اليا وحفص فيهما وفي يا بني
انها ان تك بفتح اليا والبزي مثله في الاخير وقراه الباقون في الثلثة بكسر اليا
لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله
قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه
ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن
اي تضعف ضعفا فوق ضعف بتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ
بالتحريك يقال وهَن يهِن ووهِن يوهَن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في
انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة
الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه
بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا
ومن ثم قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك
ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك

بي

بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به
نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه
الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص
في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك
على ايمانك واجازيهما على كفرهما والايتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمن
تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر
الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة
لا يجوز تقليدهما في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص
وامه مكثت لاسلامه ثلثا لم تطعم فيها شيا ولذلك قيل من اناب الي ابو بكر
فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة
او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير
القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله كما شرقت صدر
القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات
او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله
كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطاير اذا استقر في وكنته يات بها الله
يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني
اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر
على ما اصابك من الشدايد سيما في ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به
من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق
للمفعول من معزومات الامور

للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اى جد ولا تصعر خدك
للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو
الصيد داء يعترى البعير فيلوى عنقه وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى
ولا تصاعر وقرئ ولا تُصعِر والكل واحد مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش فى الارض
مرحا اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله
لا يحب كل مختال فخور علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال
للماشى مرحا ليوافق رؤوس الآى واقصد فى مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع
وعنه عليه السلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة كان اذا مشى اسرع
فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه
نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها
لصوت الحمير والحمار مثل فى الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل
الاذنين وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة
شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس فى النكير دون الاحاد او لانه مصدر
فى الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات بان جعلها اسبابا محصلة لمنافعكم
وما فى الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها
فى الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار فى كل سين اجتمع مع الغين او الخاء
او القاف كصلخ وصقر وقرا نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة
ومن الناس من يجادل فى الله فى توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا

هدى

هدى راجع الى الرسول ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع صريح من التقليد
فى الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم الى عذاب
السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه
والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل
بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد حيث عدى
باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن فى عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى
تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى
شاهق جبل فيتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل
صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك فى الدنيا والاخرة وقرئ فلا يُحزِنك
من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم فى الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك
والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما فى الظاهر نمتعهم
قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم
الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل
المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم
والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان
ذلك يلزمهم لله ما فى السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله
هو الغنى عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما فى الارض

من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد الشجر لان المراد تفصيل الآحاد
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى
عن ذكر المداد بيمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها
ويمده حال او للابتداء على انه مستانف او الواو للحال ونصب البصريان بالعطف
على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء ما نفدت
كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك
لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته
امر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله
وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان عن شان لانه يكفي لوجود الكل
تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك
بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل
مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة
والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثم غرضه حقيقة
او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك
الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها بان
الله هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته

وانما

وانما تدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله
او الباطل الالهية وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي
الكبير مترفع على كل شيء ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه
في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء
للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله
الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله ان في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق
فيتعب نفسه في التفكر في الآفاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها
او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم و
غطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة
كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى و
التقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم
على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار
وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر
والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف
محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن
والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع
من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب
والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة
علم وقت قيامها لما روي ان الحرث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
متى قيام الساعة واني قد القيت حبا في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي ذكر
ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الاية وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في
علمه وقرا نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى
ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء و
تفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت
روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه
فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان يحملني ويلقيني
بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا اذ امرت ان اقبض روحه بالهند
وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق
بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلته وانفد فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به
من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه
تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها
كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام من قرا سورة لقمن كان له لقمان رفيقا
يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القران فمبتدا خبره تنزيل الكتاب

على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدا محذوف
او مبتدا خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر
لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض
والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتريه فانه انكار لكونه
من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا
انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي
الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجبا
منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود
من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة
لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
ما لكم اذا جاوزتم رضاء الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا
شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع
متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ
الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة
وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه
موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان
متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره
في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة

نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة
سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج اليه بعد الالف
لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيمة
وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي
ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال
الخلص وقرئ يعرج ويعدون بالياء ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما
على وفق الحكمة العزيز على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي
المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده
ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم
كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان
وقرا نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل
وعلى الثاني بمتصل وبدا خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله من
سلالة ذرية سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من ماء مهين ممتهن ثم سواه
قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا و
اشعارا بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من
عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا
لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا
ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا غايب
فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر

اذا

اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد
خلقنا وقرا نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر والقائل فيه ابي بن خلف
واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت
وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفيكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا
او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته
وتعجله واستعجله ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم
ثم الى ربكم ترجعون للجزاء والحساب ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا
منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق
لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز
ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا
يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك يا محمد رؤية في هذا الوقت او يقدر
ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها
ما يهتدي به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني
ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسببة عن سبق الحكم بانهم من اهل
النار ولا يرد فيه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم
فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسايط ولا
سباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة في العذاب ترك المنسي و

وفي استئنافه وبناء الفعل على انّ والضمير تشديد في الانتقام منهم وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله
وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر
العاقبة والتفكر فيه دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا
الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا
نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما وفقهم
للاسلام واتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل
من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع
النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي
عليه السلام في تفسيرها قيام العبد في الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله
الاولين والاخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل
الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن
المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين يحمدون الله في
البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب
سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت
فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا
ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه السلام
يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس

ما اخفي

ما اخفي والفاعل للكل هو الله تعالى وقرئ اعين لاختلاف انواعها والعلم
بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا
يعملون اي جوزوا جزاء واخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا
لقوم اخفوا اعمالهم فاخفي ثوابهم فمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا
عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع للحمل
على المعنى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها
المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من
الجنان نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على
اعمالهم واما الذين فسقوا فمأواهم النار مكان الجنة المأوى للمؤمنين
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من
العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل
والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون
يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الاية
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد
الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير
بها عقلا كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت
ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف بمن كان اظلم من كل ظالم ولقد
آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية شك من لقائه من لقائك

الكتاب كقوله وانك لتلقى القران فانا لقيناك من الكتاب مثل ما لقيناه منه و
ليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك
موسى وعنه عليه السلام رايت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا
كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة
يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم او بتوفيقنا لهم لما صبروا
وقرا حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا
وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم
القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون
من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما
دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير
قرئ نهد بالنون
الله بدلالة القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم
وقرئ يمشّون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت
لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه من الزرع انعامهم كالتبن و
الورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون
متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين
في الوعد قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم
القيمة فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح
مكة والمراد بالذين كفروا المقتولين منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل

ولا

ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم
فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم
ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون
الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه
عن النبي عليه السلام من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما
احيا ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان في بيته
ثلثة ايام سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى
والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين و
المنافقين فيما يعود وهنا في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل
وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن
ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة
وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما
يقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما
تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو بالياء على
ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل
على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني
المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل

ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية
والامومة فى امراة ولا الدعوة والبنوة فى رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم
من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر او جميل بن اسد الفهرى ذو القلبين
والزوجة المظاهر عنها كالام ودعى الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة
الكلبى عتيق رسول الله ابن محمد او المراد نفى الامومة والبنوة عن المظاهر عنها و
المتبنى ونفى القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف
لادائه الى التناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة
والدعى الذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه الذين بينهما وبينه ولادة وقرا
ابو عمرو واللاى بالياء وحده على ان اصله اللائى بهمزة فخففت وعن الحجازيين
مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت
التاء الثانية فى الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف
وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من اظهر بمعنى تظاهر كعقد بمعنى عاقد
وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت على كظهر امى ماخوذ
من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه
كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى
آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان
ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة
وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعى على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل
فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له

فى

فى الاعيان كقول الهاذى والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدى
السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة
وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل
قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق فان لم تعلموا
آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فى الدين فهم اخوانكم فى الدين ومواليكم واو
لياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التاويل وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به
ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على النسيان او سبق
اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن فيما تعمدت
فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبنى لا عبرة له عندنا
وعند ابى حنيفة رح يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب المجهوله الذى يمكن الحاقه به
النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فى الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه
صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس وامره انفذ عليهم من امرها وشفقتهم عليه
اتم من شفقتهم عليها روى انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج
فقال ناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى فى الدين فان كل
نبى اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة
وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا
ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء واولو الارحام
ح ولذلك ان التحريم لم يتعد الى بناتهن ولم يثبت سائر احكام الامهات
وذوو القرابات بعضهم اولى ببعض فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام
من التوارث بالهجرة والموالات فى الدين فى كتاب الله فى اللوح او فيما انزل

فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره ارجح

فهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان
لاولي الارحام او صلة لاولى اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين
بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الآن تفعلوا الى اولياءكم معروفا استثناء عن
اعم ما يقتدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك
في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل التورية واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء
الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر لانهم
مشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا
عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسئل الصادقين
عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم
عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم
فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم
على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من حيث
ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه قال
فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ
جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا
زهاء اثني عشر الفا فارسلنا اليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها الملائكة
روى انه عليه السلام لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة الاف من المسلمين
والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي

بالنبل

١٦٠

بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم و
سفت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل
بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي
اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما
تعملون من حفر الخندق وقرأ البصري بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب
والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب
قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت
القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من شدة الروع فيرتفع بارتفاعها
الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله
الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده
في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب و
المنافقون ما حكى عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي و
قد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها
ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون
مرض اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا
زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون و
الذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء
الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قايله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس

والروم وعدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة
منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض
وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص
بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى
لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم
بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم النبي للرجوع
يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة
من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون
الا فرارا وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة
او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء
المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه
ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها وقرأ الحجازيان
بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها اي بالفتنة اي باعطائها الا
يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا
رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله
مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من
الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق
به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا

فتمتع

فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي
يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم
رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في
العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا
يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله وهم
المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم
الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا
او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين
ولكن لا يقاتلون الا قليلا كقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم
ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة
عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر او الغنيمة جمع
شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف
رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي
عليه او كدوران عينيه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات
الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم
بألسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان اشحة
على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد
من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم
يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا

هنا لتعلق الارادة به وعدمها بما يمنع عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء
لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب
كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون
بين الاعراب يسئلون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا
فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من
التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يوتسى
بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدايد او هو في نفسه قدوة يحسن التاسي به
كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرا عاصم
بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ثواب الله او لقاءه ونعيم
الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله
فان اليوم الاخر يوم الله بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة
او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان الضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا
وقرن بالرجاء كثرة الذكر المودية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول صلى الله عليه وسلم
من كان كذلك ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله عليه السلام
سيشتد الامر باجتماع عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله انهم سائرون اليكم بعد
تسع او عشر وصدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة
والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسمين للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما راوا
او الخطب او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المومنين

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين
من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه
نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير
للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما
بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل
النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين
ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة
السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم
او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا
يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب
وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا
غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة
من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي
وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون
وتاسرون فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبرائيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح
ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر
الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم

تنزلون على حكمي فأبوا فقيل على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي وقال حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم الرقيع سماء الدنيا ونحو ستمائة أو أكثر وأسر سبعمائة وأورثكم أرضهم مزارعهم وديارهم حصونهم وأموالهم نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روي أنه عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال إنكم في منازلكم وقال عمر أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا إنما جعلت هذه لي طعمة وأرضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين أمتعكن أعطكن المتعة وأسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بإرادتهن الدنيا وجعلها قسيما لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك وإحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لأن الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة نفسها فإنه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لأنهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة من

طاهر

ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبي بكر والباقون بكسر الياء يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم لقوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله وأعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على أجرها يا نساء النبي لستن كأحد من النساء أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل إن اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على أنه نهي مرض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الأولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها إلى القاف فاستغني به عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت أقر لغة فيه ويحتمل أن يكون من قار يقار إذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الأولى تبرجا مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة وقيل هي

ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت المراة تلبس درعا من اللولو
فتمشي وسط الطريق وهو تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى
ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى
جاهلية الفسق في الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء انك امرؤ فيك
جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة واتين الزكوة
واطعن الله ورسوله في ساير ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك
عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم تطهيرا عن المعاصي واستعارة
الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت
بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله عنهم اجمعين لما روى انه عليه السلام خرج ذات
غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم
جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة
ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضي انهم
اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة
من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن اهل
بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان
والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا
خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح

للنبوة

١٦٤

للنبوة من يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم
المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق والقانتين
والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل
والصابرين والصابرات على الطاعة وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات
المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب
في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم
والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم
اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما
على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال
روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في
القران بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء
المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين
وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري
ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد
لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى
ورسوله اى قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاه قضاء
الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة خطبها رسول الله لزيد
ابن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت
نفسها للنبي فزوجها من زيد امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا

فسخطت هي واخوها وقالا
انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده

من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله
والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق
النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله عليه
بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك
الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه عليه السلام
ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب
وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها
فاتى النبي وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال زيد لا والله
ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له النبي امسك عليك زوجك
واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله
مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك
به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء
وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان
الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا
حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها
وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى
انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول
لسائر نساء النبي ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان

السفير

السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه زيد لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو
دليل على ان حكمه النبي وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله امره الذي يريده
مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم
سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج
عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين
يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع و
قرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد التصريح
وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد
ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة
المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابرهيم
لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم ولكن
رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح
لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة
وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ولكن بالتشديد على
حذف الخبر اي ولكن رسول الله عرفتموه انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم
النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له
ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام في ابرهيم حين

توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان
على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق
بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتحميد والتهليل
والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر
للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة
الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح
الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما
يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم
مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتمل
للانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم
للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم
من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان
بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين
تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت
او الخروج من القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد
لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمخالفة الفواصل والمبالغة فيما هو
اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم
ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به

و

وتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره واطلق له من حيث انه
من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه
وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله
معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج
له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذيهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك
اياهم مجازاة او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ باية السيف وتوكل على الله
فانه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه
بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة
لان ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة
الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله تعالى بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج
المنير بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا ان يكتفى به عن
غيره يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن
تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة ايام يتربص فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون
عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى
الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها
مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره
يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على
ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا للنطفة وفائدة ثم ازاحة ما عسى ان يتوهم

وقرأ حمزة والكسائي بالالف وضم التاء

ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يوثر في النسب يوثر في العدة فمتعوهن
اى ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز
ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض
لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير
ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير
المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن لان
المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل
له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك
فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه
في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك
ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية
فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها
للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال
فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب
مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعة ميمونة بنت
الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان
بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان
يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا يوجب له الا بارادته

نكاحها

نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم
الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته
وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان
اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح
والرغبة فيه والخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك على القيود
المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء
حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم
والجملة اعتراض بين قوله لئلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان
الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي
التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز
عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها
وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء
وقرا حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن
عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن
او قلة حزنهن ورضاهن جميعا لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن
ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر
بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين

وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان
الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك
النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقراء البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع
وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح
اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة
لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل
تبدل دون مفعوله فهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن
واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك
من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل
لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا
من اجناس اخرى الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء و
قيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم
الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على
الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته
او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا
على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقراه حمزة والكسائي
اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون

منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير
الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستانسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او
لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او لا تمكثوا
مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشغاله فيما لا
يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي
ان لا يترك حياء كما لا يترك الله ترك الحق فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف
الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به
فاسالوهن المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله قال يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه كان يطعم
ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اطهر
لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول
الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه
وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم
برجمها فاخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني
ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم لرسوله وايجاب
لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم
او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا
التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن
في اباءهن ولا ابناءهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استثناء لمن

لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول
الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة
الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحاق او لانه
كره الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفان لابنائهما ولا نسائهن يعني النساء المؤمنات
ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور
واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله
وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد
وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والاية
تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل يجب الصلوة كلما جرى ذكره
لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده
ولم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا
لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا
ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون
رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر ومجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له
ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم
الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت في المنافقين يؤذون عليا

رضه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات يا ايها
النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين
وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض
جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا
يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما
بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم
والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين
او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها
من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذب لكونه
متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم
الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة
جوار الرسول اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا
ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك
الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله ايما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد
اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا
في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها
او لا يقدر احد ان يبدلها يسئلك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء
او تعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما

يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه
على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين
واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد
خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب
وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ
تَقَلَّبُ بمعنى تتقلب وتُقلِّبُ ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله و
اطعنا الرسولا فلن نبتلي بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع
الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين
من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا كثير
العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم
يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله
كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هنالك
فحملته الملائكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته
او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه
برئ منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة (منزلة) وقرئ وكان عبد الله وجيها
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله
وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده

لحديث

كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها
بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول
والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا
حميدا وفي الآخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة
وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو
عُرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فان الراعي
لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها
جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة
الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب
الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن
ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فيبرأ ذمته فيكون الاباء
عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى
لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة
لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة
ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما
لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبتها ولعل المراد بالامانة العقل
او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن

الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته و
استعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية
وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوايد العقل ان يكون مهيمنا على
القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما
وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات و
يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتاديب
المضرب في ضربته تاديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا
في جبلتهم لا يخليهم من فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم
واثاب بالفوز على طاعتهم قال عليه السلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها
اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر سورة سبا مكية وقيل
الا قوله ويرى الذين اوتوا العلم وايها خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا
لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الاخرة لان ما في الاخرة ايضا كذلك
وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم با
لنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية
قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم الذي احكم
امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ في موضع
وينبع في اخر وكالكنوز والدفاين والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات
والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق

الفلز جسم جامع الجواهر كلها من الذهب والفضة وغيرهما

والاندية

والاندية والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة
وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الاخرة مع ما له من سوابق
هذه النعم الفايتة للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء
بالوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتاتينكم عالم الغيب تكرير
لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده
على ما مر غير مرة وقرا حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس
عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض وقرا الكسائي لا يعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة
بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه
فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير
في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون
المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق
كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا بالابطال وتزهيد الناس
فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين
عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز من سيء العذاب اليم مؤلم و
رفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولو العلم
من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك

القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي
يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات
وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا
كما علموه الآن برهانا ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس
التقوى وقال الذين كفروا يعني منكري البعث قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون
محمدا عليه السلام ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد
انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق بحيث تصير ترابا وتقديم
الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله
لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا
بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل
من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله
كذبا ام به جنة جنون يوهمه ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء
غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة
بالمخبر عنه وضعفه بين حيث ان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من
القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من
العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم
له والبعد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم

كسفا

كسفا من السماء وتذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة
لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزءا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا
الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ
نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة
والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك
ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما تدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه
فانه يكثر التأمل في امره ولقد آتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر
بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال
اوبي معه رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته
فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ
اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار
قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على
لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية او على فضلا او مفعول
معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان اصل النظم
ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا النظم لما فيه من
الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور
كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها والنا له الحديد جعلناه في يده كالشمع
يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآلة او بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل
وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو ابدال

من اتخذها وقدر في السرد قدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر

مسامیرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعهم لم تكن

مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود واهله

اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وقرأ

ابو بكر الريح بالرفع اي لسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها

شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له

عين القطر النحاس المذاب اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع

ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح

ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدا وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن

يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير

عذاب الاخرة يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت

به لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا او تماثيل للملائكة والانبياء على

ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير

شرع مجدد محمد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد

ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان

وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة

كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود

شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي

الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي

حقه

حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة او اعملوا له واعبدوه شكرا مع

حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور

من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان ما دلهم على موته

ما دل الجن الا دابة الارض اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح

الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت

الخشبة ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته عصاه

من نسات البعير اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة

قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءته على مفعالة

كميضاءة في ميضاة ومن سأته اي طرف عصاه مشتقا من ساة القوس وفيه لغتان

كما في قحة وقحة وقرا نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة

وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن

علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب

المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم

يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه

اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس

بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان

فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فعلم به واراد ان يعمي عليهم موته

ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه

فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه و

ارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا

فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو
ابن ثلث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ
لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه
صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى
كما وجب في مسكنهم مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء
مسيرة ثلث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ما شذ من
القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على
ما يشاء من الامور العجيبة مجازى المحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي
داود وسليمن جنتان بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف تقديره الاية جنتان وقرئ
بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين
بلدهم وجماعة عن شماله كل واحد منها في تقاربها وتضايقها كانها جنة واحدة او بستانا
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال
لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة و
رب غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة
طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكر وقرئ الكل بالنصب
على المدح قيل كان بلدهم اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا
عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل
فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل
لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على

مقدار

مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة
وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة
وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل
لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف
السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين
وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ ابو عمرو ذواتا اكل خمط بغير تنوين
اللام وقرأ الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم
بالرسل اذ روى انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا
للتخصيص وهل نجازى الا الكفور وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في
الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص نجازى بالنون والكفور
بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهى قرى
الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة
لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادى في قرية ويبيت الرائح في قرية
الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان القال او الحال فقالوا ربنا
باعد بين اسفارنا اشروا النعمة ليالى واياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا
يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان طالت مدة سفركم
فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد

بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسالوا الله ان يجعل بينهم و
بين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد
فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعّد و
يعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفيه
وعدم الاعتداد بما انعم عليهم ومثله قراءة من قرا ربنا بعّد او بعُد على النداء
واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة او لم يعتدوا بها فجعلناهم
احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم
كل ممزق ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام
بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز
ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون
بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى
وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما و
التخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني ادم
حين راى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق
المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط و
استيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق

علمنا

علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه
ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة ونظم الصلتين
نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا
الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني
لقيام صفته وهي من دون الله مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم
مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب
نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين
الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون بانفسهم واخبارهم مثقال ذرة من
خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان
آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية والجملة استئناف
لبيان حالهم كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية
والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا
وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم
شفاعتهم ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له
ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام
في قولك الكرم لزيد وقرا ابو عمرو والكسائي بضم الهمزة وعلى الثاني كاللام في
جئتك لزيد حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا
للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم
بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرا ابن عامر ويعقوب

فزع على البنا للفاعل وقرئ فرغ اى نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فنى قالوا بعضهم لبعض
ماذا قال ربكم فى الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة
لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اى مقوله الحق وهو العلى الكبير ذو العلو و
الكبريا وليس لملك ولا نبى ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السماوات
والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم
ان سكتوا او تلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم
لعلى هدى او فى ضلال مبين اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة
الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين
من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى
ومن هو فى الضلال ابلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب
ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على
اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشيا ويتطلع
عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشا والضال كانه منغمس فى ظلام مرتبك لا يرى شيا
او محبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل
عما تعملون هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم
والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم و
يفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفاصل فى القضايا
المنغلقة العليم بما ينبغى ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركا لارى باى صفة
الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة

عليهم

عليهم زيادة فى تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز
الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهولاء الملحقون متسمة بالذلة
متابية عن قبول العلم والقدرة راسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة
للناس الا ارسالة عامة من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا
جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا
من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم
على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر والمنذر عنه
او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله والمؤمنين
قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه
قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعنى لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاكم
وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسوالهم من التعنت والانكار وقال الذين
كفروا لن نومن بهذا القران ولا بالذى بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث
وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم
فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم اى فى موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون
القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للروسا لولا انتم لولا
اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مومنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم
كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا

عن الهدى واثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرامنا الصاد بل
مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل
له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع
وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر
الليل من الكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال
والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد
اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين
كفروا اى في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم
هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعدية
يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
مترفوها تسلية لرسول الله مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب
لان الداعي المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات و
الاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا
انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه
اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل رد لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان
ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون

ان كثرة

ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة
اموالكم واولادكم او لانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اى بالشيء الذي
يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال والاولاد لا تقرب
احدا الا المؤمن الصالح ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح
او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا
اى يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ
بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز
او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح
الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا
بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك
في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع
عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين
فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين
فان غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا المستكبرين
والمستضعفين والمتواضعين ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا
للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة
اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة

بينها وبينهم كأنهم يبتغون بذلك تبرأتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا
انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث
اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون ويخيلون اليهم انهم الملائكة
فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس والثاني للجن والاكثر بمعنى
الكل فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله له
لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب
النار التي كنتم بها تكذبون عطف على يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا عليه السلام الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القرآن
الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقرآن والاول باعتبار معناه
وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل
والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في
لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجب بليغ منه وما آتيناهم
من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من
نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم
هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال و
وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء
عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما

آتينا

آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين كذبوا
رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير
في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف
عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة وهي ما دل
عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول الله او الانتصاب في الامر خالصا
لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين وواحدا فان الازدحام
يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا في امر محمد عليه السلام وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله
(ان تقوموا) الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة
فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة
عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير
تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويسلم ويلقي نفسه الى الهلاك
فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي شيء به
من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث
في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد
نفي السؤال كأنه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي
عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل
ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا ولا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه
قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص

نيتي قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه
او يرمي به الى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة
محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ
بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرا حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت و
الباقون بالضم كالعشور وبالفتح كالصبور على انه مبالغة غايب قل جاء الحق اي الاسلام
وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق اثر ماخوذ من هلاك
الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي
ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا
لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن الحق فانما
اضل على نفسي فان وبال الضلال عليها فانه بسببها اذ هي جاهلة بالذات والامارة
بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان
الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان
اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف
مثل لرايت فظيعا فلا فوت من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب صح صح
صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا
على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا امنا به بمحمد وقد مر ذكره في قوله
ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان
بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان
بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع

في الاستحالة وقرا ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها او انه
من نأشت الشيء اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش اليك ناش القدر النؤوش
او من نأشت اذا تاخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور
امور فيكون بمعنى التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد او بالعذاب من قبل من قبل ذلك
اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول
من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو
الشبه التي تمحلوها في امر الرسول او حال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم
في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون
على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال
الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من
الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار
وقرا ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم
من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول
من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وآيها خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم
باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسايط بين
الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام

والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث
ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها او
يعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله
لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه عليه السلام رأى جبرائيل ليلة
المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على ان تفاوتهم في
ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف
والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور
المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن
الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء
بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم
ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك
لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول
مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت
غضبه من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه
فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف
فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم
احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في
ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض
لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به

ورفع

ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه
فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم
صفة لخالق او استئناف مفسر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق
مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فتأس
بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب
وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة والى الله ترجع
الامور فيجازيكم واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر
والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب
الآخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار
على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على
دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو
عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه
في مجامع احوالكم انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته
وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا
لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير
وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كله على
الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له اي افمن زين
له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا و
القبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها

على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل
تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات
على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلث للسببية غير ان الاوليين دخلتا
على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه
على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة لها
لان صلة المصدر لا يتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون
فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير
سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة
ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون
اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض
(وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بتشديد [illegible])
بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا
بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما من
مزيد الصنع كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية
اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل في
كيفية الاحياء ان الله تعالى يرسل ماء من تحت العرش ينبت منه اجساد الخلق من كان يريد
العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا اي فليطلبها من عنده فان كلها له فاستغنى
بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به
العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود
الكتبة

الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده
انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف
لما فيه من الكلفة وقرئ يُصعَد على البناءين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك
وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه السلام هو سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك فحيا بها وجه
الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات
يعني مكرات قريش للنبي عليه السلام في دار الندوة وتداريهم الرأي في احدى
ثلث حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به
ومكر اولئك هو يبور يفسد (لايتغير) ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا يتغير بها
دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها
ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة
له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من
عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره
بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح
فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحقه وقيل الزيادة
والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون
فيه ان حج زيد فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر
من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا
ينقص على بناء الفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة
يسير

ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوي البحران
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمنين والكافرين
والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق
بملوحته وقرئ سيّغ بالتشديد والتخفيف وملح على فَعِل ومن كل تاكلون لحما
طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم
او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان فيما من حيث اسما ونشا
هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال
فطرته فكذا لا يساوي المؤمن الكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات
كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على
الفطرة الاصلية دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب
من المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر
تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون
على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه
او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها
اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون
له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير
للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم

لا

١٨٢

لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم
قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم
باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل
خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به
على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي
ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف
الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان
افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان
ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات
حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين اطوع
منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا
تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن
اثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك
اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس اثقلها الاوزار
الى حملها يحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه نفي ان يحمل عنها
ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها
فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من
جعل كان تامة فانها لا تلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب
غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة

فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى تطهر من دنس
المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض
مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم
على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم والله
عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب
ولا العقاب ولا لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول
من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما تهب نهارا والحرور ما تهب ليلا ان الله
يسمع من يشاء وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين
ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته
فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح
لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك
الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك
بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا
اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها
نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما
وقد قرن به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد
كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم
وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون
الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا

فكيف

فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات
مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها اصناف مختلفة او هيأتها من
الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق ويقال جدة
الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين
وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود
عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب
متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد ان يتبع
المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي
مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده
العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان
اخشى منه ولذلك قال عليه السلام اني اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله
الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس
الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم
يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر
على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته
او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب
الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما

وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة
وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله
ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم
بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عدّ من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم
او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم
شكور لطاعتهم اي مجازيهم عليه وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان
ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القران ومن
للتبيين او للجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه
من الكتب السماوية حال موكدة لان حقيقته تستلزم موافقته اياه في العقايد
واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان
في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار
على ساير الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ثم
اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك فعبر عنه بالماضي لتحققه او اورثناه من الامم
السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية
التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة
باسرهم فان الله اصطفاهم على ساير الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به
ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم
والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل
الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته

بحيث

بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون
حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم
الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان
منهم
الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان
ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق جنات عدن
يدخلونها مبتدا وخبر والضمير للثلثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد
بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرا ابو عمرو
يُدخلونها على بناء المفعول يحلّون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يَحْلَوْن من
حليت المراة فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين
ولؤلؤا عطف على ذهب اي ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ
ونصبه نافع وعاصم عطفا على المحل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته
او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحُزْن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور
للمطيعين الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله
اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ
لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم
نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه
باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون
[illegible]

ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك الجزاء
نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرا ابو عمرو يجزى على بناء المفعول
واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من
الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور
للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم
لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه
متناول لكل عمر يتمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين
وعنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى
اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل
العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب
عنهم ~~انه عليم بذات الصدور~~ ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه
خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات
الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيره هو الذي جعلكم خلائف في الارض
ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع
خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا
مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء
الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد

بالمقت

بالمقت وهو اشد البغض مقت الله عز وجل وبالخسار خسار الآخرة قل ارايتم
شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم
شركاء الله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم
بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض
استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات
فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم
شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان
يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرا نافع وابن عامر ويعقوب
وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من
تعاضد الدلايل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع
الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او
الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه
لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان
امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة
سادة مسد الجوابين ومن الاولى زايدة والثاني للابتداء انه كان حليما غفورا
حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم

ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن
اهدى من احدى الامم اى من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من
الامة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة فلما
جاءهم نذير يعنى محمد عليه السلام ما زادهم اى النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا
تباعدا عن الحق استكبارا فى الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ اصله
وان مكروا المكر السيئ فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر
ثم اضيف وقرا حمزة وحده بسكون الهمزة فى الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيئ
الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اى لا يحيق الله
فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد
لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعل غير التعذيب تعذيبا
ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه مما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشام
واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من
شئ ليسبقه ويفوته فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا
عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصى ما ترك على ظهرها على ظهر الارض
من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده
بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبى عليه السلام من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية
ابواب الجنة ان ادخل من اى باب شئت سورة يس وعنه عليه السلام تدعى المعمة

نعم

نعم صاحبها بخير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة
وهى مكية وآيها ثلث وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم فى المعنى والاعراب
وقيل معناه يا انسان بلغة طئ على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة
النداء به كما قيل من الله فى ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب
على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة بمعنى الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا
على هذه يس واما لالياء حمزة والكسائى وابو بكر وروح وادغم النون فى واو
والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائى وابو بكر وورش ويعقوب وهى واو القسم
او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين
ارسلوا على الصراط المستقيم وهو التوحيد والاستقامة فى الامور ويجوز ان يكون
على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن فى الجار والمجرور وفايدته وصف الشرع بالاستقامة
صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر
بمعنى المفعول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار اعنى او فعله
على انه على المصدر وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او
بمعنى لمن المرسلين ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم يعنى اباءهم الاقربين لتطاول
مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى الرسالة او الذى انذر به او شيء
انذر به اباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار اباءهم على المصدر فهم
غافلون متعلق بالنفى على الاول اى لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين
على الوجوه الاخر اى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم
يعنى قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم

لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم
بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان
فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطاطئون رؤوسهم فهم مقمحون رافعون
رؤوسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه
ولا يطاطئون رؤوسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم
في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرا حمزة والكسائي
وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله
فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ
راس النبي فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر
بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا
الحجر فذهب فاعماه الله وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في
البقرة تفسيره انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اي القرآن
بالتأمل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او
في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم
انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا
من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة
كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني في اللوح المحفوظ
واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد

وهو

وهو يتعدى الى المفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف
اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من
الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون
رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله
وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقراه ابو بكر
مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به
بثالث وهو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل
اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما
فسالهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان
له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ
حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال
حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب
الملك حتى استانسوا به فاوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك
حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا
الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا فقالا يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله
حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما
فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف
قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر

الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال
اني دخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب
السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان فلما رأى شمعون
ان قوله اثر فيه نصحه فامن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرائيل فهلكوا قالوا
ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر
لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم
الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله
وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ
المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا
يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم صح
له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم
قالوا طائركم معكم سبب شومكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم
معكم ائن ذكرتم وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم
والتعذيب وقد زيدت الف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان
وان بغير الاستفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ
بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشوم او في
الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى
المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه
السلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل خرج

واظهر

واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا على النصح وتبليغ
الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني على قراءة
غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة
لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة
خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد
الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني
شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة اني اذا
لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر
على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع ويعقوب
وابو عمرو بفتح الياء اني آمنت بربكم الذي خلقكم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو
بفتح فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه
اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما
قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما
هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض
بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استيناف في حيز الجواب
عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصرة دينه ولذلك قال يا ليت
قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن
قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب
مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم

الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم في امره وانه
كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او
استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة
عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او
رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم
بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام وما كنا
منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا
ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة او معطوفة على جند اي وما كنا
منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة
او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبرائيل عليه السلام وقرئت بالرفع على كان
التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة والميت
كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها
ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين
المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف
على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم
على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها
لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد
بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا

الم

الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها
وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى لا على
اللفظ اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على
الاستئناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء وان مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة وما مزيد للتاكيد وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا
فيكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض
الميتة وقرا نافع بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر آية او صفة لها اذ لم
يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدا والآية خبرها او الاستئناف لبيان كونها آية واخرجنا
منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش
به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون
الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل
دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع
وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون
اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة
عند الاخفش لياكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة
الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرا حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة
فيه او جمع ثمار وقرئ بضم وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ
منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم
ويؤيده الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من

غيرها افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها
الانواع والاصناف مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما
لا يعلمون وازواجا مما لا يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه
ما سبق فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي
اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد
ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار
لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها
ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود
اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا
سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير
المتضمن للحكم التي يكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل
مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره
في منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة
الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء
السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة
سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم
الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا
يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع

دق وتقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون كالشمراخ
المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون
والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها
ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش
الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فيطمس نوره وايلاء حرف
النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار
يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق
القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملايم
لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار
فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها
في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين
يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع
عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم
فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم في الفلك المشحون المملو وقيل المراد
فلك نوح وحمل الله ذرياتهم انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم
وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم
من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق
وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة
كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا

لرحمة ولتمتيع بالحياة الى حين زمان قدر لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما
خلفكم الوقايع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوايب الارض
كقوله أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين
رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا
عنها معرضين كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا
عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني
معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيته
انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء
المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا
من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء
وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان
يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون الا صيحة واحدة هي
النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا
يخطر ببالهم امرها كقوله او تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله
يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى
ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء
حركة التاء اليه ابو عمرو وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان

و

وبالتشديد وكأنه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة
يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم
يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ونفخ في الصور اي مرة
ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث
وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا
من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا وفيه ترشيح
ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وقرئ من بعثنا ومن
هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر
وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف
او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق فهو من كلامهم و
قيل جواب للملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا
لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا
بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه
فانه ليس بعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال
ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان
التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث
والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم
نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود
وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون

في النعمة عن الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلثة وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقوله الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون

و

وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد بقلب الهاء حاء واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع تخفيف اللام والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او جعل المسبوق

اليه مسبوقا على الاستباق او بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره
ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم بحيث
يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا
رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل لا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مِضيا
باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعُتي والعِتي ومَضيا كالصَبي والعني
انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول
الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق
نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدو
امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون
ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على
تدرج وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب
قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن
فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة
والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على
ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد
منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور
من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع
وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اي ما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر

عظة

عظة وارشاد من الله وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر على انه ليس
بكلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول عليه السلام ويؤيده قراءة
نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا
في علم الله فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق
القول ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من
كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تاملهم اموات في الحقيقة
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه
غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص و
التفرد بالاحداث انعاما خصصناها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع
فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها
بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان
نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ
ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اي ذو ركوبهم
او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اي ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع
من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع
او المصدر افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف
امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها
به في العبادة بعدما راوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه
المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر

بالعكس لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون
لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في النار فلا يحزنك قولهم فلا يهمنك وقرئ بضم
الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم
ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان يتسلى به وهو تعليل للنهي
على الاستيناف ولذلك لو قرئ أنّا بالفتح على حذف لام التعليل جاز او لم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه
بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا
في الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه
ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما
بالعقوق والتكذيب روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال
يفتته بيده وقال أترى الله يحيي هذا بعد ما رمّ فقال عليه السلام نعم ويبعثك
ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء
مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو
نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه
خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من
العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رمّ الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث
او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيها الموت كسائر
الاعضاء قل يحييها الذي انشاها اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه
والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل شيء عليم يعلم تفاصيل المخلوقات

بعلمه

بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها و
مواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة
الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا
كالمرخ والعفار يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فينقد
ح منه النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار خرجت منه فمن قدر على احداث
النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة
الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى فمالئون
منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما
بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في اصول
الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد
النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات
انما امره انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن ان يكونه فيكون فهو يكون اي
يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور
من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة
وهو قياس قدرة الله على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه
معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين
والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل
يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الآية وعنه عليه السلام ان لكل شيء قلبا وقلب

القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين
وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها
عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون
غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس
وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من
الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو
ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان سورة
الصافات مكية وآيها إحدى أو اثنتان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا أقسم بالملائكة الصافين
في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الأنوار الإلهية منتظرين
لأمر الله الزاجرين الأجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها أو الناس عن
المعاصي بإلهام الخير أو الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا
قدسه على أنبيائه وأوليائه أو بطوائف الأجرام المترتبة كالصفوف المرصوصة
والأرواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون
الليل والنهار لا يفترون أو بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين
عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه أو بنفوس
الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل أو العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم
عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات أو الصفات والفاء لترتب الوجود
كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فإن الصف كمال والزجر

تكميل

تكميل بالمنع عن الشر أو الإساقة إلى قبول الخير والتلاوة إفاضة أو الرتبة كقوله عليه
السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير أنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس
وأدغم أبو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فإنها من طرف اللسان وأصول
الثنايا إن إلهكم لواحد جواب للقسم وفائدته تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه
على ما هو المألوف في كلامهم وأما تحقيقه فبقوله رب السموات والأرض وما بينهما
ورب المشارق فإن وجودها وانتظامها على الوجه الأكمل مع إمكان غيره دليل على وجود
الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر
محذوف وما بينهما يتناول أفعال العباد فيدل على أنها خلقه تعالى والمشارق مشارق
الكواكب أو مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم في
واحد بحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة
وأبلغ في النعمة وما قيل إنها مائة وثمانون إنما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال
إنا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والإضافة
للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على
إبدالها منه أو بزينة هي لها كأضوائها وأوضاعها أو بأن زانتها الكواكب فيه على
إضافة المصدر إلى المفعول فإنها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة
ويؤيده قراءة أبي بكر بالتنوين والنصب على الأصل أو بأن زانتها الكواكب على إضافته
إلى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست
المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا إن تحقق لم يقدح في ذلك فإن أهل الأرض يرونها
بأسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الأزرق بأشكال مختلفة وحفظا منصوب

باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة و
حفظا لها من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمى الشهب لا يسمعون الى الملاء الاعلى
كلام مبتدا لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان
فانه يقتضى ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام
كما فى جئتك ان تكرمنى ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى
فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء
مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص بالتشديد
من التسمع وهو تطلب السماع والملاء الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون
من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة للدحور وهو الطرد
او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو
ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة
له اى قذفا دحورا ولهم عذاب اى عذاب آخر واصب دايم او شديد وهو عذاب
الاخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه فاتبعه شهاب
والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة و
قرئ خطّف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف واتبع بمعنى تبع
والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين
ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا فى قوله انا زينا
السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل فى الجو العالى
فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان

يصير

يصير الحادث بما ذكر فى بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع
وما روى ان ذلك حدث بميلاد النبى عليه السلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او
مصيره دحورا واختلفوا ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب
الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال
ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من
التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على النار الضعيفة استهلكتها ثاقب
مضئ كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركى مكة او لبنى آدم
اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعنى ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما و
المشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه
بعد ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق
بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم
والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية
المادة ومادتهم الاصلية هى الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائى الى الجزء الارضى
وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه
اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه
بلا توسط مواقعة فيلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل
فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة سيما ومن ذلك بدؤهم
اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم للبعث ويسخرون
من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء اى بلغ كمال قدرتى

وكثرة خلايقي اي تعجبت منها وهو الله بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان
ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض
والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة يعتري الانسان عند استعظامه
الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبتُ واذا ذكروا لا يذكرون واذا
وُعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به
لبلادتهم وقلة فكرهم واذا راوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون
يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر
منها وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته أئذا متنا و
كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية
وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر
في نفسه وفي هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة
الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية او آباؤنا الاولون عطف
على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام
لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو
على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق
ما يدل على جوازه وقيام المعجزة على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله
او الرسول ونعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر
اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة وهي النفخة الثانية من زجر
الراعي غنمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة ككن في الابداء ولذلك رتب

عليها فاذا هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون
ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا
وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة
وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن
والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر
الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد
الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلثة
او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون
من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام
مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين
ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها
وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسئولون عن عقائدهم واعمالهم والواو
لا يوجب الترتيب مع جواز ان موقفهم بعد الهداية والتعريف للسؤال
ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم
اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم وتخذلهم واقبل
بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل
بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا
عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا
نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى

[illegible]

الجانبين واشرفهما انفعهما ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر
فتقسروننا على الضلال او عن الخلق فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق
قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين
اجابتهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم
ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا
قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا
غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا
محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي
فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو
كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في
العذاب مشتركون كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل
بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن
كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون
يعنون محمدا عليه السلام بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به
من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب
الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله
ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل وما تجزون
الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون
الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم

مضاعف

مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من
الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ
دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة
عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون نيله يصل اليهم من غير
تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم
وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك على سرر
يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق
بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس باناء فيه خمر او خمر
كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون
او خارج من العيون وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها
تجري كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع
الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكاس
ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال
ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة
كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون
يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي و
عطفه على ما يعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي
بكسر الزاي من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف
وتابعهما عاصم
المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف

قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون
شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى
صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف
على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت
من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فان الذ تلك
اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا
قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين
يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اي ذلك القائل هل
انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة
يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم
من منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه
جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب
به الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه او
شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم في وسطه قال تالله
ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة
ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين
عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ
بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد

الاحياء

الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما
نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة
جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو
الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله و
الاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل
العاملون اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة
بالالام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي
ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما
وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة
صغيرة الورق دفرة مرة يكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلنا
ها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا
انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق
الحيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه
من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع
الى دركاتها طلعها حملها استعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع
من الشجر كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل
كتشبيه الفائق بالحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها
اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون منها من الشجرة او من طلعها

فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اى بعدما
شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما فى
شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد
مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول
مصدر سمى به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم
والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه
جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد
الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم
ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء
فى الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه
اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم
قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا
الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله
لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم
وراوا آثارهم ولقد نادانا نوح شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها اى و
لقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اى فاجبناه احسن الاجابة فوالله
لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من
الكرب العظيم من الغرق واذى قومه وتركنا عليه فى الآخرين من الامم سلام على

وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا
متناسلين الى يوم القيمة اذ روى انه مات كل من كان
معه فى السفينة غير بنيه وازواجهم صح

نوح

نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام
من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء فى العالمين متعلق بالجار و
المجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك
نجزى المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه
من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة
امره ثم اغرقنا الآخرين يعنى كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه فى الايمان
واصول الشريعة لابرهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع او غالبا وكان
بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وبينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه
متعلق بما فى الشيعة من معنى المتابعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من
آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم
بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه
وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم أئفكا آلهة دون
الله تريدون اى تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول
له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون
افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك فى نفسها للمبالغة او المراد بها
عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو
حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم
من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوز
الاشراك به او يقتضى الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله

فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها او في علمها او كتابها ولا منع منه
مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم فقال اني سقيم اراهم انه
استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان
اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم
او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل
كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة
داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها
في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تأكلون
يعني الطعام الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم
مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ
عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين
للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف
وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابرهيم بعد ما رجعوا فرأوا
اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرح في قوله تعالى
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم يزفون يسرعون من زف النعام وقرأ
حمزة على بناء المفعول من ازفه اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اي يزف بعضهم
بعضا ويزفون من زفى يزفي اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم
يزف بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام
والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان

بفعلهم

بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من
الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث
فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك
وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما
فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة
من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به
كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم
الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل
النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام
او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما
بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال
موسى عليه السلام حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر
بصيغة التوقع فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد رب هب لي من الصالحين
بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان
لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ
اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين
عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل
ما نعت الله الانبياء بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما السلام وحالهما
المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه

في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا يتقدمه
ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان
الاب اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان
يومئذ ابن ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه راى
ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك
بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشياطين فلما امسى راى مثل ذلك فعرف
انه من الله ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولذلك سميت الايام
الثلثة التروية والعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب له اثر
الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام و
لقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عليه السلام والاخر ابوه
عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر بئر زمزم او بلغ
بنوه عشرة فلما سهل الله فخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك
سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا
معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة
يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه السلام سئل اي
النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله
ابن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الراي وانما شاوره

فيه

فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه
ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرا حمزة
والكسائي ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وابو عمرو
يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت وقرا ابن
عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او
امرك على ارادة المامور به والاضافة الى المامور ولعله فهم من كلامه
انه راى انه يذبحه مامورا به وعلم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون
عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال
ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني
ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله فلما اسلما استسلما لامر الله
او سلما الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا
خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض
وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا
يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر
فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات
وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف
تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما
لله تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما
لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك

نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ
قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا
لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة
فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة
سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين
وقيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير جبل بمكة وروى انه هرب منه عند
الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابرهيم
وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد واستدل
به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا
عليه في الآخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين
لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه ابرهيم
باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار
وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال
غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير
مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا
من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين
كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه و
صلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته
وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى

الكمال

الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى
اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا
عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على
نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي
ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما
لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما
بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من
الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم
فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ
في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق
والصواب وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك
نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثل ذلك وان الياس لمن
المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث بعده وقيل
ادريس لانه قرئ ادريس وادراسين مكانه وفي حرف ابي وان ابليس وقرأ
ابن ذكوان مع اختلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون
عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم
كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال الآن بعلبك وقيل البعل
الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين
وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح

به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقراد حمزة والكسائي ويعقوب و
حفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اى فى العذاب وانما اطلقه اكتفاء
بالقرينة اولان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى
من الواو لامن المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين
لغة فى الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه
ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين
وهو قليل ملبس وقرا نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما
فى المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل عليه السلام او القرآن او غيره
من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزى المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ
نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم
يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم فى متاجركم الى الشام فان سدوم فى
طريقه مصبحين داخلين فى الصباح وبالليل اى ومساء او نهارا وليلا ولعلها
وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون
افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين قرئ بكسر النون اذ ابق
هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن
اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين
فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه لما وعد
قومه بالعذاب خرج من بينهم قيل ان يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا

هنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى وزج بنفسه
فى الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل فى الملامة او آت
بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب فلولا
انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او فى بطن الحوت
وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث
فى بطنه الى يوم يبعثون حيا او قيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم شانه
ومن اقبل عليه فى السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه
بالعراء بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة
رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف
فى مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل
اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا
عليه اى فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجرة ينبسط على وجه الارض ولا
يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدبا
غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل التين
وقيل الموز يغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه الى مائة
الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال
ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون فى مرأى الناظر اى اذا نظر اليهم قال هم
مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فقصد قومه

او فجددوا الايمان به بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم
قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبار
واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله
اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا
لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة
حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء
زادوا على الشرك ضلالات أُخَر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان
الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث
جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم
ولذلك كرر الله انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين
لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما يدركه العامة بمقتضى طباعهم
حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون
وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم
ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط
جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله
لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولدُ الله
اى الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث

وهو تفضيل انفسهم واستهانتهم

اصطفى

اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشيء
وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على
الاثبات باضمار القول اى لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله
ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان
مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذى
انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعنى الملائكة
ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله
صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت
الجنة انهم ان الكفرة او الانس او الجن ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في
العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين
استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض
او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله بفاتنين
مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل
النار ويصليها لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غُلِّب فيه المخاطب على الغائب
ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اى انكم
من قبيل كل رجل وضيعته
وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين
على طريقة الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صالُ بالضم على
انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل
على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسى كما في قولهم باليت بالة

فان اصلها بالبيت كعافية وما منا احد الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة
بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى ما منا احد الا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة
والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله
سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة
ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين
تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم
اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة ومنازل الخدمة
وانا لنحن المسبحون المنزهون الله تعالى عما لا يليق به ولعل الاول اشارة
الى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف وما في ان واللام وتوسيط
الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة
دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام
معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة وانا لنحن الصافون له في الصلوة
والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اي مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا
من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا
العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف
الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين اي وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله انهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات

وانما

وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم
حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم
على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه
فسوف يبصرون ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف
للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون
قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه
بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار
والمجرور ونزل اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم
واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب
ولما كثر فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت
في وقت اخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد و
اطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر
من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة
سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قال المشركون فيه على ما حكي في السورة
واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له ولمن اعزه وقد ادرج فيه
جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين
تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض
عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد
تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي من احب ان يكتال

بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر
السورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والصافات أعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من
الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين سورة داود مكية
وآيها ست او ثمان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء
الساكنين وقيل لانه من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت
الاول اى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال
فعله اليه واضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة
وبالجر على تأويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسم حرف
ومذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد صلى الله عليه وسلم او السورة
خبرا لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه
ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل به او
ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين
كفروا به في عزة اى في استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا
به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد
بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع
والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اى غفلة
عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم استكبارا
وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اى ليس الحين

حين

حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على
رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اى
ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى حين مناص وقرئ
بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين
مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات
حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك
هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله
اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من
الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر
كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان
التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن
القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون
تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه
اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال
الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا
بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقوله
على الله اجعل الآلهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد
ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا وما نشاهده
من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ

كرام وكرام روى انه لما اسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك قريش فاتوا اباطالب وقالوا
انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا
وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله وقال هؤلاء قومك يسئلونك السؤال فلا
تمل كل الميل عليهم وقال عليه السلام ماذا يسئلونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر
آلهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم امعطى انتم كلمة
واحدة تملكون بها العرب ويدين لكم بها العجم قالوا نعم فقال قولوا لا اله الا الله
فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس
ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله أن امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا
واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق
عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا
من مشيت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ
يمشون ان اصبروا ان هذا النبي يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا
فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد ويقصده من الرياسة والترفع على
العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد او ان دينكم يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا
بهذا بالذي يقوله في الملة الاخرة في الملة التي ادركنا عليها آباءنا او في ملة
عيسى التي هي اخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي
ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة الاخرة المترقبة
ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه
بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا انزل هذا

القرآن

القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن
الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري من القرآن
او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون
به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لما
يذوقوا عذابي فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم
العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم
خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا
فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل
بها على من يشاء من عباده ولا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب
الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن
رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك بان ليس لهم مدخل في امر هذا العالم
الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا
في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج
التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي
الى من يستصوبونه وهو غاية التهكم بهم والبغي الاصل هو الوصلة و
قيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور
عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية او فلا تكترث

لما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزؤ
وهو لا يلايم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب
لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك
الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ
من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد
بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه
اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب
الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعني المتحزبين
على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند
اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على
استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع
او جعل تكذيب احد منهم رسل تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك
او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله الا صيحة
واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم
وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به
او الجنة التي تعدها للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال للصحيفة الجائزة
قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها
قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا

داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه
بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل
والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان
او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان
نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد وايادٍ بمعنى
انه اواب رجاع الى مرضات الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في
الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال
معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار
الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق
ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو
وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن
ام هانئ انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن
ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من
كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة
منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد
من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله
انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منهما ومن
داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة
الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن

البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه غيلة
واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته واتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم
واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او
الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان
الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار
ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد
والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع
ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤ الخصم
استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك
اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور
كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا
او بالنبأ على ان المراد به الواقع فى عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف
مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه
الرسول لم يكن حينئذ واذ الثانية فى اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف
لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس
على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزأ زمانه يوما للعبادة
ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه الملائكة
على صورة انسان فى يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان
على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد

التعريض

التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط و
لا تجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا
تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء
الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخى بالدين او الصحبة له تسع
وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن
المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع
وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته
اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى فى الخطاب
وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او فى مغالبته اياى
فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى
وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال
نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه
وتهجين طمعه ولعل داود قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعى و
السؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة
وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغى ليتعدى
وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم
طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين آمنوا و
عملوا الصالحات وقليل ما هم اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من
قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة

هل ينتبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا
لانه مبداه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه تحرم بركعة الاستغفار واناب
ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون
له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القضية فاستغفر واناب عنه وما روى
ان بصره وقع على امراة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح
فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد
واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر
ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هزء وافتراء ولذلك قال علي رض من حدث بحديث
داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه
فتسوروا المحراب فدخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم
فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه
مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة
بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين
بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس
وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسالته
فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل
الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم
عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء

والارض

والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين
اي عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل
الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع
بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر
مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون
فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية
بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله
ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين
ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار
الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية
تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب
فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال
اخرى يجازون فيها كتاب انزلنا اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال
ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات
الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ لتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت
وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذووا العقول السليمة
او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما
نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع

وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي نعم العبد سليمان انه اواب تعليل
للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ
عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد
الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو
من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد
او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد وروي انه
غزا دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها
منه فاستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد
كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله فقال اني احببت حب الخير عن
ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب
انبت عدي تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي
برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل
انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير
الى يوم القيمة حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخبأة
بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير للصافنات
فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق بسوقها و
اعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح
بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها

كموسى

كموسى وعن ابي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس
ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي
مرفوعا انه قال لاطوفن على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في
سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت
بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا و
قيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب
فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل
انه غزا صيدون من الجزاير فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها
جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح
مع ولايدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب
المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة
اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه
صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء
الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة
قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت
الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت
في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا
الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة
تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا وسجود الصورة بغير علمه

لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون
ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا
يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة
وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة رغبة وتقديم الاستغفار على
الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة
انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته
اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تتزعزع او لا تخالف
ارادته كالمأمور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب
والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين مقرنين في الاصفاد
عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص
ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة
صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران
في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما
فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعده واوعده وفي ذلك نكتة هذا
عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم تسلط به
غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من
المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من
العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره
وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم

في

في القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ماله من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب
هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحق اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب
عطف بيان له اني مسني بان مسني الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية
لكلامه الذي ناداه له ولو لم يحكه لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله تعالى
مسه بذلك بما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه
او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحان الصبر
فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه و
اخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم
البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر
وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك
حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها
فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك
وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له
اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم
ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب
وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله فيما يحيق به وخذ بيدك
ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به
ولا تحنث روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف
ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك

وهي رخصة باقية في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال
ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب
الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد انه اواب
مقبل بشراشره على الله واذكر عبدنا ابرهيم واسحق ويعقوب وقرا ابن كثير
عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان
له واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة
والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن
الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه
تعريض بالبطلة والجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم
خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم الآخرة دائما
فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون
جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار
الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر
بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين
من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير
على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب
استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رايت الوليد بن
اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من
اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل

فت

فر اليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي
كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم
ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولا
مثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن
مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب
وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى
الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف
متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او
متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف
لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار
بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ثم وعندهم قاصرات الطرف
لا ينظرون الى غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت
او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في
وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول
الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من
نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين
لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد
او المفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم
لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه

او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدا وخبره حميم وغساق وهو
على الاولين خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار
من غسقت العين اذا سال دمعها وقرا حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد
السين وآخر اى مذوق او عذاب آخر وقرا البصريان واخر اى ومذوقات او
انواع عذاب اخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد
الضمير على انه لآخر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر
وهي لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار و
الخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين
اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام الشدة و
الدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال
اى مقولا فيهم لا مرحبا اى ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون
النار باعمالهم مثلنا قالوا اى الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق
بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب
او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمتم من العقايد الزايغة والاعمال القبيحة
فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اى الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه
مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اى
الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين
الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا

وقرا

وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم
وتانيب لها في الاستسخار منهم وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق
مثله في المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا
لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم
ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار
منهم وتحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او
منقطع والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم
وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا
به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب
على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من
اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب
السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب
اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف
تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد
وتقديمه لان المدعو هو الانذار قل هو اى ما انبأتكم به من اني منذر من عقوبة من
هذه صفته وانه واحد في الالوهية وقيل ما بعده من نبإ آدم نبأ عظيم انتم
عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت
عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فهو قوله ما كان لي من
علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم

على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي
واذ متعلق بعلم او محذوف اذ التقدير ما كان لي من علم بكلام الملأ الاعلى ان يوحى
الي الا انما انا نذير مبين اي لانما كانه لما جوز ان الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود
به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع بالاسناد الى يوحى اليه وقرئ انما بالكسر
على الحكاية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين
له فان القصة التي دخلت عليها اذ مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم
واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك
واقتصارا على ما هو المقصود منها هنا وهو انذار المشركين على استكبارهم عن النبي عليه
السلام بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة
الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله والملائكة فاذا سويته
عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه
لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكريما وتبجيلا له وقد تم الكلام فيه
في البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين
باستكباره امر الله والاستكبار عن المطاوعة او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كأب وام والتثنية لما في خلقه
من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار
بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد
ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من
العالين تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت

الآن

الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها
او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابداء للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من
طين دليل له وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او من الصورة
الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين
قال رب فانظرني امهلني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم
لله على اختلاف القراءتين قال فالحق والحق اقول اي فاحق الحق واقوله وقيل
الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقولك ان عليك الله ان تبايعا
وجوابه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو
على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع
الاول على الابتداء اي الحق يميني او قسمي او الخبر اي انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف
الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية
لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيما اذا شاركه برفع الاول وجره بنصب
الثاني وتخريجه على ما ذكرناه والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد منك
من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تأكيد له او للضميرين قل ما
اسألكم عليه من اجر على القرآن او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما
لست من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة او اتقول القرآن ان هو الا ذكر عظة
للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيان

ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد و
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر
حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي
الاية وآيها خمس وسبعون او ثنتان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل
الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول
صلة تنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب
على الاول السورة وعلى الثاني القران وقرئ تنزيلا بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا
او الزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره
وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والريا وقرئ برفع
الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام
كما صرح به وكده واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال
الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فانه المتفرد
بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضماير والذين اتخذوا من دونه اولياء
يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع
واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدا خبره على الاول ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول ان الله يحكم بينهم وهو متعين
على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى
مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به
آلهتهم ونعبد بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق

الجنة

الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبودهم فانهم يرجون
شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب
كفار فانهما عادما البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق
ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين
ووجوب استناد ما عداه الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم
مقام الولد ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية
الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد
لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقاهرية
المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق الله
السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل
واحد منهما الاخر كانه يلف لف اللباس باللابس او يغيبه كما يغيب الملفوف باللفافة
او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل
يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل
ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع
من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال آخر
بما اوجده في العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب
وفيه ما ذكره ثلث دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام ثم خلق حوا من قصيراه
ثم تشعيب الخلق الفايت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس
مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها

او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل
اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حوا وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه
وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة
الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان
والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام
اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه غلب اولى العقل او خصهم بالخطاب لانهم
مقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام عارية من بعد مضغ
من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب
وهو الشئ يخرج مع الولد انتهى
والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك
له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته
الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم
به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع في رواية
وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك
وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم
مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا تخفى
عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع
العقل في الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد
او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعوا اليه اي الضر الذي كان
يدعوا الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثل الذي في قوله وما خلق الذكر
بمعنى من

والانثى

٢١٨

والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرا ابن كثير وابو عمرو
ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان
لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع
تشه لا سند له واقناط للكافرين عن التمتع في الاخرة ولذلك علله بقوله انك من
اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو قانت قايم بوظايف الطاعات
آناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت
او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن هو بضده وقرا الحجازيان وحمزة بتخفيف
الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقايما حالان من ضمير قانت
وقريا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة ويرجوا
رحمة ربه في موقع الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة
العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما
لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر
اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين
آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي
للذين احسنوا بالطاعة في الدنيا مثوبة حسنة في الاخرة وقيل معناه للذين
احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة وارض
الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن
منه انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان

لهم اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفي الحديث انه ينصب الموازين
يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء
بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له
وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا
والاخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش
ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان
العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه
لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في امرت لان افعل
فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف
ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والريا عذاب يوم
عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه ان يكون
مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على
المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من
دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم
بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم
جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروا
كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده
الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير

بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار
شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل الاخرين ذلك يخوف الله
به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد
فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية
الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت
ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها بدل اشتمال
منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على السنة
الرسل او الملائكة عند حضور الموت فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدا اجتنابهم
وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويوثرون الافضل فالافضل او
اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة
عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول
النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية
معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب
فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع من في النار
موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع
الخلف فيه وان اجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار
ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء
المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض

مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد
الله مصدر موكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف
نقص وهو على الله محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع
في الارض هي عيون ومجار كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع و
النابع ونصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر
وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم
جفافه حان له ان يثور عن منبته فتريه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في
ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحيوة الدنيا
فلا يغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام
حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متابية عنه
من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابل للاسلام فهو على
نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه الصلوة والسلام اذا دخل
النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي
من اجل الشيء اشد تابيا من قبوله من القاسي عنه بسبب اخر وللمبالغة في وصف اولئك
بالقبول والاول بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة
القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادنى نظر والاية نزلت
في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القرآن روي ان اصحاب

رسول الله

رسول الله ملوا ملة فقالوا حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل
عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من
احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى
والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف كتابا
باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب
او جعل تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار
الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير
رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان
رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمينان وذكر القلوب
لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء
هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجهم من الضلال افمن يتقي بوجهه
يجعله درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا
بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره
وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا
بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال
وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة
التي لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا

كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته
ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم
يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك
جاءني زيد رجلا صالحا او مدح لعربيا غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما وهو
ابلغ من المستقيم واخص بالمعنى وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد اتاك يقين
غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب والتخصيص به بعض مدلوله لعلهم
يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه
شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان
يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع
يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن
خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس
والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ
بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف
منها ذو ورجل سالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع
هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين
للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير
للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه
على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون

فيشركون

فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت
وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب
المخاطب على الغايب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت
على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد و
التبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا
ووجدنا آباءنا وقيل المراد الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما
دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه
وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه السلام اذ جاءه من غير توقف وتفكر
في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل
العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو
ضعيف لانه مخصوص بما فاجاه ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق
وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل
هو النبي عليه السلام والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك يقتضي اضمار
الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم
كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وقرئ صدق به على البناء
للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم
ليكفر الله اسوء الذي عملوا خص الاسوء للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى
بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون

مذنبون وان ما يفرط عنهم من الصغاير سهو وذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء
كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسوأ جمع سوء ويجزيهم اجرهم
ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها
في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار
للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة و
والكسائي عباده ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم
قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا بعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا الى كسر
العزى فقال له سادنها احذركها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها
فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه ومن يضلل الله
حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى
الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب
منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل افرايتم ما تدعون من دون
الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارايتم بعدما تحققتم ان خالق
العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبني ضر هل يكشفنه او ارادني برحمة
بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكها عني وقرا ابو عمرو كاشفات ضره وممسكات
رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع
الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريد من خير او شر روي
ان النبي عليه السلام سالهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات

عليها

على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم
بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا
وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار
والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام
قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ~~دايم وهو عذاب النار~~ فان خزي اعدائه دليل
غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دايم وهو عذاب النار
انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم
بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اي نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها
فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى
وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا
وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى
عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرا حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر
الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل
مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن
عباس رض قال في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها
العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت ويتوفى
النفس وحدها عند النوم قريب بما ذكرناه ان في ذلك من التوفي والامساك

والارسال لآيات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها
بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما
يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا
بعد حين الى توفي آجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع
لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون يشفعون ولو كانوا
على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا
لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم
والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم
قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان
يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له
ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون
لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى ذكر الغاية فيهما
فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ
غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجأة قل اللهم فاطر السموات و
الارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في كفرهم وعجزت
في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت
تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني
وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء

العذاب

العذاب يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين
تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه فاذا مس
الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله و
حده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله
وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون
من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه
نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم
على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه لما لي من استحقاقه او من الله بي واستيجابي
والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة
امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة
وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس
قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم عندي لانها كلمة او جملة
وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قال ورضي به قومه فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات
اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع
اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض
سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع

سنين وقتل بيد رصناديدهم وما هم بمعجزين بفائتين اولم يعلموا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في
ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد
تخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القران لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من
مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد
تقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به الاية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة
الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي
من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم
والنهي عن القنوط مطلقا من الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله
يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على
الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عليه السلام قال ما احب ان يكون الدنيا لي
وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك
ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير
حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في
عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا وعذبوا فافتتنوا او في الوحشي
لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم
لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب

لنفي

لنفي من التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم القران او المامور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص
او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو الانجى والاسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتداركون ان تقول
نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول
الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا يا حسرتي
وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه
وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى
عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى
في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في
قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين
باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله
هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين
ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل او للدلالة
على انها لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك
اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه
قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القراين وتاخير
المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحير بالتفريط ثم يتعلل بفقد
الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه

من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم
القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز عليه كاتخاذ الولد وجوههم
مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر
ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم ترى كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ
وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص باهم
اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرا الكوفيون غير حفص
بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي وقوله لا يمسهم
السوء ولا هم يحزنون حال او استئناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير
وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات
والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته و
حفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف
فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا لزمته وقيل
جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ وكذا اكاليد وعن عثمان رضه انه سال النبي صلى الله
عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده
واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده
الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد
بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات
الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض

للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار
بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين ان خسروا انفسهم و
للتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه والمراد بايات الله
دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص
الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب قل افغير الله تامروني اعبد ايها
الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد تامروني اعتراض للدلالة
على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم
ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله
تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب
وقرا ابن عامر تامرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها
تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل
واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام
الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من
خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف
الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة
التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه
اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته

في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته
وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة
على ان تخريب العالم اهون شي عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ومجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت
بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة يقبضها الله
وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها
الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغايرة وقرئ مطويات على انها حال
والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى
من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركا ونفخ في الصور
يعني المرة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض خر ميتا او مغشيا عليه
الا من شاء الله قيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة
كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قايمون من قبورهم
او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون
ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور
ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي
الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض
او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب

الحساب

الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال في ايدي
العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحايف وجيء بالنبيين
والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم
بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به
الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شي
من افعالهم ثم فصل التوفية فقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة
بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة وهي الجمع القليل جمع
زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة
زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها
وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرا الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال
لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم
النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان
الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله
بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم اهل النار ووضع الظاهر
فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم
القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص
بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثويهم في النار لتكبرهم عن الحق
او جهنم

ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم وان تكبرهم وسوء عاقبتهم
مسبب عنه كما قال عليه السلام ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة
حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله
بعمل اهل النار حتى يموت بعمل من اعمال اهل النار فيدخله النار وسيق الذين اتقوا
ربهم الى الجنة زمرا اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا
راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به
الوصف وان ابواب الجنة يفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت
بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم
من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم
سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان
الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم
وتمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء
اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية
لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من
حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم
ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله
واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق

في

في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم
الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب
العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم
او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي من قرأ سورة الزمر لم يقطع
الله رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عايشة رضه انه عليه السلام
كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر سورة المؤمن مكية وآيها خمس وثمان
وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم حم امال ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر
صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك
لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها
على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين
لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من
الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه
لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه
فحذف اللام للازدواج او من للالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش
للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول
التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان
الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن
لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب

المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله
الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل
في آيات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن و
ادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال لحل عقده
واستنباط حقايقه وقطع تشبث اهل الزيغ وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم
الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس
جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم
في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون
عما قريب بكفرهم أخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من
بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت
كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما
ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له
ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهم فكيف كان عقاب
فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة
ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار
بدل من كلمة ربك بدل الكل او بدل الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون
العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم
اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او كناية عن قربهم من
ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم

يذكرون الله

يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا
والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان
اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون
للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان العرش في معرفته سواء ردا
على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب
المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان يوجب النصح والشفقة وان تخالفت
الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة ربنا اي
يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما
اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة
في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصود بالذات هاهنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم
عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني
لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت
العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه حكمته
ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم
بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الاخرة كانهم طلبوا

السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية
او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى
الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه وقد فصل
بينه وبين اذ خبره اكبر فلا يجوز ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين
عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل
الحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا
اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة
ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر
الفيل وان خصها بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقوليه تصيير وصرف لهن الآخر
واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام
الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما في القبر والبعث اذ المقصود
اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا
بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم بالبعث فهل الى خروج
نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم
تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم اي الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي
الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم
بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث
حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير عن ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم

على من

على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم آياته
الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء
رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التي هي كالمركوزة
في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى
الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشيء
لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون
اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران اخران للدلالة على
علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من
ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو اصل
العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب
المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ
رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده خبر رابع
للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحي
وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير
او مبتدأه والامر هو الملك المبلغ ليختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية
لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد
الثاني يوم التلاق يوم القيمة فانه فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء
والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من
قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان

او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من اعمالهم واعيانهم واحوالهم
وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه
ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسايط واما حقيقة الحال فناطقة
بذلك دايما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس
يكتسب بالعقايد والاعمال هيات توجب لذاتها والامها لكنها لا تشعر بها في الدنيا
لعوايق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوايق وادركت لذتها والمها لا ظلم
اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شيء
عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اي القيمة سميت
بها لازوفها اي قربها او الخطة الازفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب
لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا
ولا يخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب حملا على المعنى
لانه على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال
العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال
مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع لا شفيع مشفع
او انذرهم مقدرين الكظم
والضماير ان كانت للكفار وهو الظاهر وكان وضع الظالمين موضع ضميرهم
للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خاينة الاعين النظرة الخاينة
كالنظرة الثانية الى المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور
من الضماير والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم

والجزاء

والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا
وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد
لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرا نافع وهشام بالتاء على الالتفات
او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخاينة الاعين وقضائه
بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مال
حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة
وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من
للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرا ابن عامر اشد منكم بالكاف واثارا
في الارض مثل القلاع والمداين الحصينة وقيل المعنى واكثر اثارا كقوله متقلدا
سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب
عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الاحكام
الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد
العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني
المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين
او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا
فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم

اى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى وما
كيد الكافرين الا فى ضلال فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم
الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذرونى اقتل موسى كانوا يكفونه عن
قتله ويقولون انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت
عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا فى اهون شئ دليل على انه
تيقن انه نبى فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه
فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه انى اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير
ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك والهتك او ان يظهر
فى الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم
بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير
وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح التاء والهاء ورفع الفساد وقال موسى
اى لقومه لما سمع كلامه انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ
بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم
حثا لهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون
وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل
له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى عذت فيه وفى الدخان بالادغام
وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله
يكتم ايمانه والرجل اسرائيلى او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا

اتقصدون

اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتامل فى امره
ربى الله وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد وقد جاءكم بالبينات
المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر
البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج
من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه
فيحتاج فى دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم فلا اقل من
ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب
ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم بعض ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض
مواعيده وكانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول
لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه
اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث بعلة
ذات وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما
عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله
ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثانى ليلين شكيمتهم وعرض به لفرعون
بانه مسرف كذاب لا يهديه سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين غالبين عالين فى الارض ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا
فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا
منه احد وانما ادرج نفسه فى الضميرين لانه كان منهم فى القرابة وليريهم
انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم

الا ما ارى والتصويبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب
وقلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد
على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور
على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم
في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم و
جمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح وعاد وثمود
مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط
وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير
انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي
حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة
ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى
اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند
بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف
مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم
من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب
على ان فرعونه فرعون موسى او على ان نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبطه
يوسف بن ابرهيم بن يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث

بعده

بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث
الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله
في العصيان من هو مسرف في العصيان مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم
والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول لانه بمعنى
الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة اتيهم كبر مقتا
عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون
الذين مبتداء وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا
او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استينافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقراء
ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم
رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون
يا هامان ابن لي صرحا بناء عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب
الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها و
تشويق للسامع في معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقراء حفص
بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد
منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها
ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله
السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء
وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه والى الاطلة

كاذبا فى دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن
السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح
وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامى وابو عمرو وصد على ان فرعون صد
الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون
الا فى تباب اى خسار وقال الذى آمن يعنى مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعونى
اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه
فرعون وقومه سبيل الغى يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة
زوالها وان الاخرة هى دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من
الله وفيه دليل على ان الجناية تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل
بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة
بلفظ الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة
على انه شرط فى اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لى ادعوكم الى النجوة
وتدعوننى الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له
ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطف على النداء الثانى الداخل على ما هو
بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا
او تعريضا او على الاول تدعوننى لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية
فى التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لى به علم بربوبيته والمراد نفى المعلوم والاشعار
بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى

العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف
عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم
لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى
الدنيا ولا فى الاخرة اى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس
لها ما يقتضى الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله
مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء فيما اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور
بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد
وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اى لا ينقطع فى وقت ما
فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا
الى الله بالموت وان المسرفين فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم
اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب
ما اقول لكم من النصيحة وافوض امرى الى الله ليعصمنى من كل سوء ان الله بصير
بالعباد فيحرسهم فكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقيه الله سيئات ما
مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بال فرعون بفرعون وقومه واستغنى
بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى
جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم
سوء العذاب الغرق او القتل او النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة
مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون
حال منها او من الال وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره

يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى
على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم في اجواف
طير سود يعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص
والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اى هذا
ما دامت الدنيا فاذا اقامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد
العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرا نافع وحمزة
والكسائى ويعقوب وحفص أدخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون
في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء
للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او ذوى تبع مصدر
بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع
او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيا في قوله
لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا فيكون من صلة مغنون قال
الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن
انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لان بمعنى كلنا وتنوينه عوض المضاف اليه ولا يجوز
جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم
كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اى لخزنتها ووضع
جهنم موضع الضمير للتهويل ولبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون جهنم
ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما

قدر يوم من العذاب شيا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف
المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به
الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة
قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن في الدعاء لامثالكم وفيه
اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا يجاب انا لننصر
رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحيوة الدنيا
ويوم يقوم الاشهاد اى في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة احيانا
اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد
بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها
باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرا غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم
اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى
به في الدين من المعجزات والصحف والشرايع هدى وذكرى هداية وتذكرة
او هاديا ومذكرا لاولى الالباب لذوى العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين
ان وعد الله حق بالنصرة لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر
لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك لترك الاولى والاهتمام بامر
العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك
بالعشى والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين
اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في آيات الله

بغير سلطان أتيهم عام في كل مجادل مبطل وإن نزلت في مشركي مكة أو اليهود
حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر ويسير
معه الأنهار إن في صدورهم إلا كبر إلا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو
إرادة الرياسة أو أن النبوة والملك لا يكون إلا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات
أو المراد فاستعذ بالله فالتجئ إليه إنه هو السميع البصير لأقوالكم وأفعالكم لخلق
السموات والأرض أكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها أولا من غير
أصل قدر على خلق الإنسان ثانيا من أصل وهو بيان لأشكل ما يجادلون فيه من
أمر التوحيد ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط
غفلتهم واتباعهم أهواءهم وما يستوي الأعمى والبصير الغافل والمستبصر
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي أن يكون
لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لأن
المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف
الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة
بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون أي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير
للناس أو الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب أو الالتفات
أو أمر الرسول عليه الصلوة والسلام بالمخاطبة إن الساعة لآتية لا ريب فيها
في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون
به وقال ربكم ادعوني اعبدوني أستجب لكم أثبكم لقوله إن الذين يستكبرون

عن

عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وإن فسر الدعاء بالسؤال كان
الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من
أبوابها وقرأ ابن كثير وأبو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدي إلى ضعف
المحركات وهدوء الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه أو به وإسناد الإبصار إليه مجاز فيه
مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل إلى الحال إن الله لذو فضل على الناس لا يوازيه
فضل وللإشعار به لم يقل لمفضل ولكن أكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم
وإغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالأفعال
المقتضية للألوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو أخبار مترادفة
تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون
لا إله إلا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة فأنى تؤفكون فكيف
ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات
الله يجحدون أي كما أفكوا أفك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها الله
الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بأفعال أخر مخصوصة
وصوركم فأحسن صوركم بأن خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء
والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من
الطيبات اللذات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فإن كل ما سواه مربوب
مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية لا إله إلا هو إذ لا
موجود يساويه أو يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له

الدين اى الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل انى نهيت ان اعبد
الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى من الحجج والايات او من الآيات
فانها مقوية لأدلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له
او اخلص له دينى هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا
اطفالا والتوحيد لارادة الجنس على كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة
بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز
عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ
شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا
ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون
ما فى ذلك من الحجج والعبر هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول
له كن فيكون فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة
على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد
والمواد الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون عن التصديق وتكرير ذم
المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن
او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحى والشرائع
فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال فى اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى
على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضى لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ خبره
يسحبون فى الحميم والعائد محذوف اى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ
والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول والسلاسل بالجر حملا

على المعنى

على المعنى اذ الاغلال فى اعناقهم بمعنى اعناقهم فى الاغلال او اضمارا للباء ويدل
عليه القراءة به ثم فى النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود
ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب اى ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب
وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا
ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد
منهم ما كنا نتوقع بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد
شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك
مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شئ ينفعهم فى الآخرة
او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون
فى الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم
تمرحون تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ
ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين
الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين
ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله
بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتأكيد
الشرطية ولذلك الحقت النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها بعض الذى نعدهم
والقتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم
باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز
ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حيوتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم

في الاخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع
في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون
الفا والمذكور قصصهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا
باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضت حكمته كسائر القسم
ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح فاذا جاء
امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب
المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الايات بعد ظهور
ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان من
جنسها ما يوكل كالغنم ومنها ما يوكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها
منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة
عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم
يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه
يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية
واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم اياته دلائله الدالة على
كمال قدرته وفرط رحمته فاي ايات الله اي اية من تلك الايات تنكرون
فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره
كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم

واشد قوة واثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوها و
قيل اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية
مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات
فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد عقايدهم الزايغة
وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الاخرة وهو قولهم لا نبعث
ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما
او علم الطبايع والتنجيم والصنايع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم
به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل
الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار واستهزائهم وسوء عاقبتهم
فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم
واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
لامتناع قبوله ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله
فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير
لقوله فما اغنى والباقيان لان رؤية الباس مسببة من مجيء الرسل وامتناع نفع
الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة
ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت
رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان عن النبي عليه السلام من قرا سورة المؤمن

لم يسبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلي عليه واستغفر له سورة
السجدة مكية وآيها ثلث او اربع وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم حم ان
جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر
محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر
آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة
ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على
انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى
وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت
بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة
قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا
او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين
به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة للكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم
عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي آذانهم وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن
بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم
ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم
عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال
امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا

يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد
والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه
فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل
واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل
للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم
اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون
حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله
الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا
عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون
ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق
لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته
وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب
العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف
على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار وفيها
من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان
خلق فيها انواع النبات والحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين

لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر
من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت
من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين
للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت
سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير
في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا
الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها
الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم
استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان
ثم لتفاوت ما بين الخلقتين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها
ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله
اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا
بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع
المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق
بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان
الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث
ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة اي ليوافق كل واحدة
اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار
كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران

وقع

وقع موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير
تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع
كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور
على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين
كقوله ساجدين فقضيهن سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن
والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني
في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة
واوحى في كل سماء امرها شانها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا
وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها
ترى تتلألأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل
مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك
تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا
البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق
يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد
ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم و
من خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار
عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين
يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر من المتقدمين واخبرهم هود

وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة
كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اى
لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به
على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض
بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا
بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا
ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى
قوى على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها
وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها
من الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع ويقبض او شديدة الصوت في هبوبها
من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرا الحجازيان
والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر
شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزى
في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله
ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد
المجازى للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم
على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده و
منونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى
فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافها الى

العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين
آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر
على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرا نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب
اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهى عبارة عن كثرة اهل
النار حتى اذا ما جاؤها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها
آثارا تدل على ما اقترفت بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذى انطق
كل شئ اى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ او ليس نطقنا بعجب من قدرة الذى انطق
كل حى ولو اول الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما في الموجودات
الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود
وان يكون استئنافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم اى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة
وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغى
ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان الله لا يعلم
كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم
هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان
يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا
للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم

للخلاص لهم منها وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم
من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون
لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين يستولون
عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة
للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم
من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول اى كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله
ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور
قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل
لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ
بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اى
تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلين
او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ سيئات اعمالهم وقد سبق مثله الذين كانوا يعملون
ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء
او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك
في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء
بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق ويلغون وذكر الجحود الذي هو سبب
اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني

نوعين

نوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا
الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف
كفخذ في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما
انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا
او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم
استقاموا في العمل وثم للتراخي عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة
او لانها قل ما يتبع الاقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من
الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم
الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند
الموت او الخروج من القبر الا تخافوا على ما خلفتم ما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا
نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة
بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي
انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو
اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون للاشعار بان ما يتمنون
بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن
دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين
تفاخرا به او اتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه

والآدب سماحة لمن التجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي عليه السلام وقيل في
المؤمنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث
اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن
الزايد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف
على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق
مثل الولي الشفيق وما يلقيها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان
الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الخير
وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به
وسوسته لانها تبعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوء وجعل نازغا على طريقة
جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره
ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن
آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان
مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود
تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لم يعلم ولا يختار ان كنتم اياه
تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا
لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة رح آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا
عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما
لقوله وهم لا يسأمون لا يملون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة

متطامنة

متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اي زادت ان الذي احياها بعد موتها
لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير من الاحياء والاماتة ان الذين يلحدون يميلون
عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف والتاويل بالباطل والالغاء فيها
لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى في النار خير امن يأتي آمنا يوم
القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا
ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا
بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا او مستانف وخبر ان محذوف
مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن وانه لكتاب
عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتاتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه
من الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم حميد اي حكيم حميد يحمده كل
مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد
قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل
ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على
يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد المؤمنين
بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل
القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه
ءاعجمي وعربي اكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص ولا تجمعوا نقال

للذى لا يفهم كلامه والكلابية وقرئ العجمى وهو منسوب الى العجم وقرا هشام أعجمى على
الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا
لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه
المحذور او الدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت قل
هو للذين آمنوا هدى الى الحق وشفاء لما فى الصدور من الشك والشبه والذين
لا يؤمنون مبتدأ خبره فى آذانهم وقر على تقدير هو فى آذانهم لقوله وهو
عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن
جوز العطف على عاملين (مختلفين) عطف ذلك على للذين آمنوا هدى اولئك ينادون من
مكان بعيد اى هو تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة
بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف
فى القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهى العدة بالقيمة وفصل الخصومة حينئذ
او تقدير الآجال لقضى بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان اليهود او الذين لا يؤمنون
لفى شك منه من التورية او القرآن مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه
نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعل
اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها
من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف
الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل
ان يكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع
الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائى

بزعمكم

بزعمكم قالوا آذناك أعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ
تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم
لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين
وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا
ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى لا يسأم الانسان لا يمل من
دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤس
قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من
ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه
ليقولن هذا لى حقى استحقه لما لى من الفضل والعمل او لى دائما لا يزول وما اظن
الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى ولئن قامت على
التوهم كان لى عنده الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من
نعم الدنيا لاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا
بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب
غليظ لا يمكنهم التفصى عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى
بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن
النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار
مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول
اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارايتم اخبرونى

انه كان من عند الله اى القرآن ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في
شقاق بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا
لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم النبي عليه السلام من الحوادث الآتية
وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك
الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة او ما
حل بهم او ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين
لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او الله اولم يكف بربك اى ربك
والباء مزيدة للتأكيد كانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى
انه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق فيحقق
امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم
حالك وحالهم اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى
عليه خافية الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم
بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر
عليها لا يفوته شيء منها عن النبي عليه السلام من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل
حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعد
آيتين وان كان اسماء الحروف فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي
اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اى مثل ما في هذه السورة من المعاني
او ايحاء مثل ايحائها اوحي الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع

على

على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن
كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ او يوحى خبره مسند الى ضميره او مصدر
ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان
له مقررتان لعلو شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة
نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في
السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف
مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن
يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن
والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد
التأنيث وهو نادر من فوقهن اى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية و
تخصيصها على الاول لان اعظم الآيات وادلها على علو شأنه من تلك الجهة
وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض
فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض
بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة
الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع
الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة
الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية
على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم
معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه

ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداداً الله حفيظ عليهم رقيب
على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول
اليك امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا الاشارة الى مصدر يوحى او الى معنى
الآية المتقدمة فانه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا
عربيا حال منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من العرب
وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع فيه الخلايق او الارواح والاشباح او العمال
والاعمال وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم
وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة
وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم
فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي
وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب
والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل
من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير
اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد
اذ الكلام في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو
الولي جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق
وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم
انتم والكفار فيه من شيء من امر من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه
يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل

متشابه

متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور
واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او مبتداء
خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم
ازواجا ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من
الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه
الذرو والذر فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم
توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه
والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه فانه اذا نفي
عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا
عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله
عنى انه يعطي معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته
صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته انه بكل شيء عليم
فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما
وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن
بينهما من ارباب الشرايع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا
الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب
على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع
او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فرع

الشرايع فتختلف كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم
ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم
او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني
الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او
اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا
للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى يوم القيمة او آخر اعمارهم
المقدرة لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين
اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول او المشركين
الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه من
كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن مريب مقلق
او مدخل في الريبة فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى
هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت
واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله
من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض
وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرايع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة
العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وكل
مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم
يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة

واليه

واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار
راسا حتى تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من
بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب
الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب
بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زايلة باطلة وعليهم
غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس
الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل بما يحق انزاله من العقايد والاحكام
والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس والعدل بان انزل
الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها
فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن
فيه اعمالكم ويوفى جزاؤكم وقيل تذكيره لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى
البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها
خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة
الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت
ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه
شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغايبات الى المحسوسات
فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءها الله لطيف بعباده
بر بهم بصنوف من البر لا يبلغها الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء
فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر

القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع
من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث
في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه
بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا
منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما
نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل
للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء ولذا اسناد
الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه
لهم ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل
يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ أنّ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا
كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب
الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيامة مشفقين خائفين مما كسبوا
من السيئات وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين
امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما
يشاؤن عند ربهم اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما
للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر
الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم الله

به

به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائي يبشر من بشره قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة
اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي
وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال
منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن
اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله روي انه لما نزلت قيل
يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى
(اهل قرابتك بدل الذين وجبت علينا مودتهم)
التقرب الى الله اي الا ان تتوددوا الى الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل
الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما
حب آل الرسول وقيل نزلت في ابي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الحسنة
حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله وحسنا ان الله غفور لمن
اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام
يقولون بل ايقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوة النبوة او القرآن
فان يشاء الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه
انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة
ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشاء الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء
عليه وقيل يختم على قلبك ينسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه بالصبر
فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم
بذات الصدور استئناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه

انه عادته تعالى يمحو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحق
باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح
في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن
وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضه هي
كلم تقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الا
الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها
مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفوا
عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز
عن اتقان وحكمة وقرأ حمزة وحفص والكسائي ما يفعلون بالياء ويستجيب
الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في
واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب
لما يترتب عليه ومنه قوله عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله
بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا او استحقوا او استوجبوا
له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب و
التفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها
بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز
الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما
اقتضته مشيته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم

فيقدر

فيقدر لهم ما يناسب شانهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في
العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث
المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بفتح النون وينشر رحمته
في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده
باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته خلق السموات
والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما
عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب للسبب او مما يدب
على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم
اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما تدخل الماضي تدخل على المضارع
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب معاصيكم والفاء لان ما
شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من
معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة
بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر
عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم
من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار
السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة
به كانه علم في راسه نار ان يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره
فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل

همته وحبس نفسه على النظر في آياته والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة
المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه
قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها
عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينجي ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على
الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم
منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا
غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف
فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به مدة
حيوتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما
الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها
في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضه تصدق
ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين بما
بعده عطف على للذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على
ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة و
الكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار
دعاهم رسول الله عليه السلام الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم

ذو شورى

ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم
وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون
في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة
التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف
وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم
عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي ثم عقب وصفهم
بالانتصار للمنع عن التعدي فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة
للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره
على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة
والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعدما ظلم وقد قرئ به فاولئك
ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم
بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق
اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر
ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان
بدرهم للعلم ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان
الله اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا
يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها على النار
ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من
الذل ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم

ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا
انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا او القول
في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام
كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن
يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا
مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة مرد وقيل صلة ياتي اي يوم من الله
لا يمكن رده ما لكم من ملجاء يومئذ مفر وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه
مدون في صحايف اعمالكم ويشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك
عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان
منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل
سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم فيه وتصدير الشرطية
الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية بالذات
بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير في
الثانية للدلالة على ان الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض
فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب
لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل
من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد
مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين

جميعا

جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية
للدلالة على ان الواقع ما يتعلق بمشية الله لا بمشية الانسان والاناث كذلك او لان
الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل
ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك
بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام
المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان
يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف
مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما روي في حديث
المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور
لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول والاية دليل على جواز
الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل
به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل
اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول
ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف
والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرا ومن وراء حجاب
ظرفا وقعت احوالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين
حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا او من
وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا
لان القلوب تحيى به وقيل جبرائيل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري

ما الكتاب ولا الايمان اى قبل الوحى وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع
وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه اى الروح او الكتاب
او الايمان نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك
لتهدى الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله صراط الله بدل
من الاول الذى له ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور
بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبى
عليه السلام من قرا حم عسق كان ممن يصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون
له سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن
على انه جعله قرآنا عربيا وهو من البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابى تمام
وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة
على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه فى الديانة
او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكى تفهموا معانيه وانه
عطف على انا فى ام الكتاب فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرا حمزة
والكسائى ام الكتاب بالكسر لدينا رفيع الشان محفوظا عندنا عن التغيير لعلى
رفيع الشان فى الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه
غيره وهما خبران لان وفى ام الكتاب متعلق بعلى واللام لا يمنعه او حال منه
ولدينا بدل منه او حال من ام الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده
عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم

طارقها

طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف اى
انهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم
اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولى الشئ صفحة عنقك
وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وح يحتمل ان يكون
تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف
ما ذكر من انزال كتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين اى لان كنتم
وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائى
ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها
دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن
تسلية لرسول الله عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اى من القوم
المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين
وسلف فى القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى
على الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم
فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع آخر وهو الذى من صفته ما سرد من
الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف الذى جعل لكم الارض
مهدا فتستقرون فيها وقرا غير الكوفيين مهادا بالالف وجعل لكم فيها سبلا
تسلكونها لعلكم تهتدون لكى تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر
فى ذلك والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به

بلدة ميتا زال عنه النما وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار
تخرجون تنشرون من قبوركم وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء
وضم الراء والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة
وركبت في السفينة او المخلوق المركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك
قال لتستووا على ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشي اذا اطاقه واصله وجده
قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه
السلام انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد
لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله تعالى وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون
واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه
مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده
جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده
ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لانه بضعة من الوالد
دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان
لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير
لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار و
التعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته

جزءا اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها
اشتد غمهم به كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي
جعله له مثلا اذ الولد لا بد ان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود
في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات
على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد
على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا او من ينشؤ في الحلية
اي او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة
غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الراي ويجوز ان يكون من
مبتدا محذوف الخبر اي او من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير
اليه لا يمنعه كما عرفت وقرا حمزة والكسائي وحفص ينشا اي يربى وقرئ
ينشؤ ويناشا بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو
جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ عبيد
وقرا الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ أُنُثا وهو جمع
الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك
مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وعن نافع اوشهدوا بهمزة الاستفهام
وهمزة مضمومة بين بين وآشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي شهدوا
بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب بالياء
والنون وشهاداتهم وهي ان لله ولدا وانه بنات وهن الملائكة ويسالون

من المسألة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما
عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها
وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا
حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون
يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى
وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل
ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله
من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك
الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون
اى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة
والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي
يكون عليها الآم اى القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية
من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية
لرسول الله ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا
لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة
صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اى
اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض
اوحي الى النذير او خطاب للرسول ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص
قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اى وان كان اهدى اقناطا للنذير

من

من ان ينظروا او يتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا
كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد
فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم او
معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث
وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على
ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان
او صفة على ان ما موصوفة اى انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه
الا بمعنى غير
سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهديني الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها
وجعل ابراهيم عليه السلام او الله وهو يدعو الى توحيده وقرئ كلمة التوحيد
كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده
وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اى فيمن عقبه لعلهم يرجعون
يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء وآباءهم اى هؤلاء
المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك و
انهمكوا في الشهوات وقرئ متعتَ بالفتح على انه اعترض به على ذاته في قوله
وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن
ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات
ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا
شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف فسموا القرآن وكفروا به

ولستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى
القريتين عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة
منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس
بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم
يقسمون رحمت ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي
خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان تدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب
الانسية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام وينتظم
بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم
علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك يعني النبوة
وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا
ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار في سعة وتنعم
لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون
يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة
له كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع
البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف ولبيوتهم

ابوابا

ابوابا وسررا عليها يتكؤن اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف
على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا
ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرا عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما
بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ بمعنى ان وما والآخرة عند ربك للمتقين
الكفر والمعاصي وفيه دلالة ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا واشعار
بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل
بالاضافة الى ما لهم في الآخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها
كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله
بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان
في بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة
نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقراءة يعقوب بالياء على
اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفع يقيض وانهم ليصدونهم
عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد
جنس العاشي والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون الضماير الثلثة
الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرا الحجازيان وابن
عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين بعد المشرق والمغرب فغلب المشرق وثني واضيف البعد
اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم
اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون

لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز
ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في
امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم بمكابدة عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه
طاقته وقرئ إنكم بالكسر وهو يقوي الاول أفانت تسمع الصم او تهدي العمي
انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم
في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين
عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم
في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما
مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون
بعدك في الدنيا والآخرة او نرينك الذي وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم
من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس او نرينك باسكان النون وكذا ان نذهبن
فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع
وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه
لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسئلون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه
واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسئل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم و
المراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه
فتكذب وتعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا

موسى

موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه
تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا
اذا هم منها يضحكون فاجأوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما راوها ولم يتأملوا
فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا هي بالغة اقصى درجات
الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد
وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري او الا
وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم
بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى
رجوعهم وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم
وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا وقرأ ابن عامر
بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك
من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما
عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجأوا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون
بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم
مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار
النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس
اسم رجل موضع

تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناتي والواو اما عاطفة
لهذه الانهار على ملك فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدا والانهار صفتها
وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من
هذا الذي هو مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة
ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة و
الهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله ومعها او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب
والمعنى افلا تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي
فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه
وطوقوه بطوق من ذهب وجعلوه سيدا واسورة جمع سوار بمعنى السوار على تعويض التاء من
ياء اساوير وقد قرئ به وقرا يعقوب وحفص اسورة جمع سوار وقرئ اساور
جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء
معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن
او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته
او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك
اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان
منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم
فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل
عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وقرا حمزة والكسائي بضم السين
واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا

بابدال

بابدال الضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة سلفت ومثلا للآخرين
وعظة او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم
فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله
في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال
النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة
اولى بذلك او على قوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد
ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون
فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالضم
من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف
ويعكف وقالوا آلهتنا خير ام هو اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان
في النار فليكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد
ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع
آلهتنا وقرا الكوفيون بتحقيق الهمزتين والف بعدهما ويعقوب برواية روح
ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق
من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو عيسى الا عبد
انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا كالمثل السائر لبني
اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا
منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون
ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى

قادر على ما هو اعجب من ذلك فان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل
خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب
الى الله سبحانه وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط
الساعة يعلم به دنوها او لان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليها وقرئ لعَلَم
اى علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض
على طريق الجبل
المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس
في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه
السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى
الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن
بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو قول
الرسول امر ان يقوله هذا اى هذا الذى ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه
ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم
من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل
او بالشرايع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين لكم بعض
الذى تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء
لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون
فيما ابلغه عنه ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو
اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع هذا صراط مستقيم اشارة الى المجموع الامرين
هو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله يدل على ما هو المقتضى للطاعة في ذلك

فاختلف

فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى
من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم
اليم هو يوم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا
ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وهم
لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الا
الاحبا يومئذ بعضهم لبعض عدو اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق
لظهور ما كانوا يتحابون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في
الله تبقى نافعة ابد الآباد يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية
لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى
وحفص بغير الياء الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من
الواو الذين آمنوا المخلصين غير ان هذه العبارة آكد وابلغ ادخلوا الجنة انتم
وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره
على وجوههم او تزينون من الحبر وهو حسن الوجه والهيئة او تكرمون اكراما
يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصفت بالجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب
واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها
وفي الجنة ما تشتهيه الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل
وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوايد في التنعم
والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زايل موجب لكلفة الحفظ وخوف
الزوال او مستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم

تعملون وقرئ وُرِّثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة
الى الجنة المذكورة وقعت مبتدا والجنة خبرها والتى اورثتموها صفتها او الجنة
صفة تلك والتى خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق البا بمحذوف
لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها ودوام
نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره فى القرآن وهو حقير بالاضافة
الى سائر نعايم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين فى الاجرام و
هم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار فى عذاب
جهنم خالدون خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف
عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه فى العذاب
مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة
وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا او مضموما ولعله اشعار
بانهم لضعفهم لا يستطيعون تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا
ليقض علينا ربك والمعنى سل ربك ان يقضى علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافى
ابلاسهم فانه جؤار وتمنى للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم
بموت ولا بغيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان فى
قال ضمير الله تعالى والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن
اكثركم للحق كارهون لما فى اتباعه من اتعاب النفس وآداب الجوارح ام ابرموا امرا
فى تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهيته فانا مبرمون امرا من مجازاتهم و
العدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون

امرا

امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجويهم وتناجيهم بلى نسمعها
ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبى صلى الله عليه وسلم يكون اعلم بالله
وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن يعظم الوالد
يعظم لاجله ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له فالمحال قد يستلزم
المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
غير ان لو ثمة مشعر بانتفاء الطرفين وان ههنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها
لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلول اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة
على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف
به وقيل معناه ان كان له ولد فى زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او
الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه
او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائى وُلْد
بالضم وسكون اللام سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما
يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم
يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون
اى يوم القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم
مطبوع على قلوبهم معذبون فى الآخرة وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله

مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه
كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدا محذوف لطول
الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عايد
لكن لو جعل صلة وقيل لالٰه مبتدا محذوف يكون به جملة مبينة
للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي
السماوية والارضية واختصاص باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل
عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده
علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها واليه يرجعون للجزاء
وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من
شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما
عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام
ولئن سالتهم من خلقهم سالت العابدين او المعبودين ليقولن الله لتعذر
المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون من عبادته الى عبادة غيره
وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار
فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه
مبتدا خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير
مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار ومجرور باضماره او مرفوع بتقدير
وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء جواب فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا

عن

عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول
وتهديد لهم وقرا نافع وابن عامر بالتاء على انه من المامور بقوله عن النبي عليه
السلام من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب سورة الدخان مكية الا قوله
انا كاشفوا العذاب الآية وهي سبع او تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما به والا فللقسم
والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها
انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول عليه السلام
نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية
او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية
انا كنا منذرين استئناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل
امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها
القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما
اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة و
الروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ونفرق كل اي يفرقه
الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا
على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من احد
ضميري انزلناه كل او امرا او ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان
يراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق

بيّن او حال من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مأمورًا انا كنا مرسلين رحمة
من ربك بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل
بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية
اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرًا ورحمة مفعول به
اى يفصل فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا
فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب
الرحمة وقرئ رحمةٌ على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد
ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته
رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او استئناف وقرأ الكوفيون بالجر
بدلا من ربك ان كنتم موقنين من اهل الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين
فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين
اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيي ويميت كما تشاهدون
ربكم ورب آبائكم الاولين قرئا بالجر بدلا بل هم فى شك يلعبون رد لكونهم
موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تأتى السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة
فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم
عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا
وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان
ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود فى اشراط الساعة لما
روى انه عليه السلام لما قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج

من

من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله الآية
ابين اسم رجل بنى هذه البلدة ونزلها
وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه
كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم
القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله
هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا
وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم
وكيف يذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين بيّن لهم ما هو اعظم منها (من كشف الدخان)
فى ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون
قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا
كاشفوا العذاب بدعاء النبى فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا
قليلا وهو ما بقى من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان
بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشف الله عنهم
يرتدون ومن فسر بما فى القيمة اوّله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى
يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان
تحجزه عنه او بدل من يوم تأتى وقرئ نبطش البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل
الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق
عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله
او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الى عباد الله بان

ادّوهم الىّ وارسلوهم معى او بان ادّوا الىّ حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد
الله ويجوز ان يكون ان مخففة او مفسّرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة متضمن معنى القول
انى لكم رسول امين غير متّهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على
وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه
ورسوله وان كالاولى فى وجوهها انى آتيكم بسلطان مبين علة النهى ولذكر
الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى وانى عذت بربى وربكم
التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذونى ضربا او شتما او ان تقتلونى
وقرئ عُتّ بالادغام وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فكونوا بمعزل منى لا علىّ ولا لى
ولا تتعرضوا الىّ بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعدما
كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم
بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر
بعبادى ليلا اى فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرأ الحرميان بوصل الهمزة
من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك
البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه
فرجة بين الشيئين
بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى
لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل
مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين
كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها عطف على
الفعل المقدر او على تركوا قوما آخرين ليسوا منهم فى شىء وهم بنو اسرائيل

وقيل

وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن
عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء و
كسفت لمهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ما روى فى الاخبار ان المؤمن
ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره
فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر
ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم
من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه فى التعذيب
او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا
له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين فى العتو و
الشرارة وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير فى عاليا اى كان
رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بنى اسرائيل على علم عالمين
بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون فى بعض الاحوال على
العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق
البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او
اختبار ظاهر ان هؤلاء يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون
وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل
ما حل بهم ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة
الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيها الى اثبات ثانية كما فى قولك
حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها

حيوة لما تقدمتكم موتة كذلك قالوا اى هى الاموتتنا الاولى اى ما الموتة
التى من شانها كذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بآبائنا
خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين فى وعدكم
ليدل عليه اهم خير فى القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميرى الذى سار
بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين
ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه السلام ما ادرى اكان تبع نبيا او غير نبى وقيل
لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين
من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استئناف بمال قوم تبع والذين من قبلهم
هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استونف به
انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضى للاهلاك وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو
دليل على صحة الحشر كما مر فى الانبياء وغيرها وما خلقناهما الا بالحق الا بسبب
الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم
لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل
بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين
وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ان ميعاد جزائهم فى يوم الفصل
يوم لا يغنى بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه
الفصل لا له للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اى مولى كان شيئا
شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام

الا

الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو
او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم
لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق فى الصافات
طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل
وهو ما يمهل فى النار حتى يذوب وقيل دردى الزيت تغلى فى البطون وقرا ابن كثير
وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر
ان الجملة حال من احدهما كغلى الحميم غليانا مثل غليه خذوه على ارادة القول
والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر
وقرا الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه
ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم
فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب
الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع
ذق انك انت العزيز الكريم اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما
كان يزعمه وقرا الكسائى انك بالفتح اى ذق لانك او عذاب انك ان هذا
ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين
فى مقام فى موضع اقامة وقرا نافع وابن عامر بضم الميم امين يامن صاحبه
عن الآفة والانتقال فى جنات وعيون بدل من فى مقام جيئ به للدلالة على
نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من الماكل والمشارب يلبسون من سندس
واستبرق فى الجار او استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق
خبر ثان او حال من الضمير

ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس
بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين
قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين
واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون
ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان
آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما
والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة
والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة
في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن
ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقاهم على
المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع
اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص من المكاره وفوز بالمطالب
فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة
لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر
ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي عليه السلام من قرأ
حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له سورة الجاثية وهي سبع او ست
وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم
مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا
للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم

به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لآيات
للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات
لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل
عطفه على المضاف اليه بأحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم
معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول
على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف
الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فأحيا
به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها
وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه قراءتان
ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب آيات
على الاختصاص او ترفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاثة لاختلاف
الآيات في الدقة والظهور تلك آيات الله اي تلك الآيات دلائله نتلوها
عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فبأي حديث
بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم
كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله
نزل احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير
الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق
ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم
يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار

بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اى كانه
فخففت وحذف ضمير الشان والجملة في موقع الحال اى يصر مثل غير السامع
فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من
آياتنا شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى
فيها ما يناسب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما
وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء
لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم
متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا
من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء
اى الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن
ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا
ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم
البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص
فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة
والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا منه بان خلقها نافعة لكم ومنه حال من ما اى سخر
هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اى هي جميعا منه او لما في السموات
وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منةً على المفعول له او منّهُ على انه
فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم

يتفكرون

يتفكرون في صنائعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب
عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام
الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون
الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت
في عمر رض شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ليجزي
قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او
كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة
او الاساءة او ما يعمهما وقرا ابن عامر والكسائي لنجزي بالنون وقرئ
ليُجزى قومٌ وليُجزى قوماً اى ليجزي الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى
به لا المصدر فان الاسناد اليه مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون
فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم و
الحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء
ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ و
فضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم وآتيناهم بينات
من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيه المعجزات وقيل آيات من امر النبي
مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة
الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة

طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع
اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش
قالوا له ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع
اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القرآن
او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى
من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان
والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم
بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون
حيوتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه
قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في
الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استئناف يبين
المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى
انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق
والصحة في الحيوة او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى
والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج
ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله

السموات

السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق
المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن
واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق
لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى
وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عذاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعل الله
لم يكن ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرأيت من
اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ
آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه
اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على
سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل على بصره
غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة
فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا
ما هي ما الحيوة او الحال الا حيوتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا
اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا
ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيا بعض او يصيبنا الموت والحيوة فيها
وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة
الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء
العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات
الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا

يظنون اذ لا دليل لهم وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا
تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او
مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ايتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب
قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه
مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة
لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازات
على ما تقرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك
امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر
الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك
السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون اي يخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة
جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ
جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها
اي الى صحايف اعمالها وقرا يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة
او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا
اضاف صحايف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق
عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب
الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم

ربهم

ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه
عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم ياتكم
رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود
واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتكم
الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او
متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرا حمزة بالنصب
عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن
الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي
ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم
اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا
بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم
ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها او عاينوا
وخامة عاقبتها او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وهو الجزاء
وقيل اليوم ننسيكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم
هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر
الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم
آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم
ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء
وضم الراء ولا هم يستعتبون يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات

او اثرة فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ الكل نعمة منه ودال
على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها آثارها وهو
العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا
له عن النبي عليه السلام من قرا حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم
الحساب سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلثون آية بسم الله
الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات و
الارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة و
المعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا
واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد
وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت
ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون
لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تامل فيها هل
يعقل ان يكون لها مدخل في خلق شي من اجزاء العالم فيستحق به العبادة
وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسايط شركة
في ايجاد الحوادث السفلية ايتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا
الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم
بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة
او الامر به ان كنتم صادقين في دعويكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم

بوجه ما

بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيه عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة
تثير المعاني واثرة اي شي اوثرتم به واثرة بالحركات الثلث في الهمزة و
سكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة
بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من
لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة
السميع المجيب الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان
يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم
غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم
كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله
والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات
قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه والمراد به الآيات ووضعه موضع
ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليهما
بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين جاءهم من
غير نظير وتامل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتريه
اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب
قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله
بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شي منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي
للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه

تندفعون فيه من القدح في آيات الله كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق
والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور
الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم
جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او
اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف
بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع وما ادرى
ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتأكيد النفي المشتمل
على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى
يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار
عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين
وما انا الا نذير من عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات
المصدقة قل ارأيتم ان كان من عند الله اى القرآن وكفرتم به اى وقد كفرتم به ويجوز
ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني
اسرائيل الا انها تعطف بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله
ابن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت الرسول
على مثله مثل القرآن وهو ما في التورية من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة لها
او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فآمن اى بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابقا
للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر
بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل

الستم

الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما
اتى به محمد خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال وعبيد
ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واشجع لما اسلم جهينة ومزينة
واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به
ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم
مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر
لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق
لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في
مصدق لما بين يديه
مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار
بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي و
توفيق من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اى يصدق ذا لسان عربي باعجازه
لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول و
يؤيده الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء
وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
لينذر لانه مفعول له
جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي
هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد
فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء
لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا
يعملون من اكتساب الفضائل العلمية وخالدين حال من المستكن في اصحاب

وجزاؤه مصدر لفعل دل عليه الكلام اى يجزون جزاء ووصينا الانسان بوالديه
حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حُسنا اى ايصاء حسنا حملته امه كرها
ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو
وهشام بالفتح وهما لغتان كالفَقر والفُقر وقيل المضموم اسم والمفتوح
مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه
قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك
عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا
انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام فى تربية الولد مبالغة
فى التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه
للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وبه قال
الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم
النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ
اربعين سنة لم يبعث نبى الا بعد اربعين قال رب اوزعنى الهمنى واصله
اولعنى من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التى انعمت علىّ وعلى والدىّ يعنى
نعمة الدارين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روى انها نزلت فى ابى بكر رضه
لانه لم يكن احد اسلم هو وابوه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا
ترضيه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عز وجل
واصلح لى فى ذريتى واجعل لى الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم ونحوه يجرح
فى عراقيبها نصلى انى تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك وانى من المسلمين

المخلصين

المخلصين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعنى طاعتهم فان المباح
حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائى
وحفص بالنون فيهما فى اصحاب الجنة كائنين فى عدادهم او مثابين او معدودين
فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان نتقبل ونتجاوز وعد الذى كانوا
يوعدون اى فى الدنيا والذى قال لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك
والمراد به الجنس وان صح نزولها فى عبد الرحمن ابن ابى بكر قبل اسلامه فان خصوص
السبب لا يوجب التخصيص وفى اف قراءات ذكرت فى سورة بنى اسرائيل اتعداننى
ان اخرج ابعث وقرأ هشام اتعدانى بنون واحدة مشددة وقد خلت
القرون من قبلى فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث
بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك امن اى يقولان له
ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول
ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التى كتبوها اولئك الذين حق عليهم
القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول فى عبد الرحمن لانه يدل على انه من
اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان الاسلام فى امم قد خلت من قبلهم كقوله فى
اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على
الاستئناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من
الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة فى المثوبة وهيهنا جاءت
على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وحمزة والكسائى
وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض

الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم
عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقراه
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقراه بهمزة ممدودة
وهما يقرآن بهما بهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حيوتكم الدنيا باستيفائها
واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد
قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب
الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ يفسقون بالكسر واذكر اخا
عاد يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه
انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر
بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود ومن
بعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا
فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب
شرككم قالوا اجئتنا لتافكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا
من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله
لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم
به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ ولكني اريكم
قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين
فلما راوه عارضا سحابا عرض في افق من السماء مستقبل اوديتهم متوجه او
ديتهم والاضافة فيه لفظية وكذلك في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي يأتينا

بالمطر

بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي
ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك
كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون
الا بمشيته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا
وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها
ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر
وتكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم اي فجاءتهم
الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقراه
عاصم وحمزة لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي
القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة
وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية
ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان
مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما هنا لان ما توجب التكرير لفظا ولذلك
قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي
او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرتجي المرء ما ان لا يراه وتعرض
دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا وكانوا اكثر
منهم واشد قوة واثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم
ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بآيات الله صلة

اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك
حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل
مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون
عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعتهم من
الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند
الله واول مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول محذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل
او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا
بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد
بالفال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم
بالتشديد للمبالغة وآفكهم اي جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الآفك اي ذو الافك
وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة
وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمول على المعنى فلما حضروه اي القرآن او الرسول
قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته
وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين
اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة
عند منصرفه من الطايف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه
السلام مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقايد والى طريق مستقيم
من الشرايع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض
ذنوبكم

ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم
من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة في توابع التكليف كبني آدم
ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب وليس
له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا
عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم
يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد
ابد الآباد بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب
يقدر والباء مزيدة لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب
عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان
على المقصود كما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد
ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا
بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من
جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرايع اجتهدوا
في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين
فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء
الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى وابرهيم على النار
وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف

على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي
ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة
ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة كانهم
يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من
هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به
او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل
مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه
وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا
القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ بفتح اللام وكسرها
من هلك يهلك وهلك يهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا سورة
محمد عليه السلام وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآيها سبع و
ثلثون بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا
عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه وهم المطعمون يوم
بدر او شياطين قريش او المتربصون من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد
اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة
اي ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا
حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن
سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات

يعم

يعم المهاجرين والانصار والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على
محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم
دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقه
وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين
ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم
حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتاييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال
والتكفير والاصلاح او الحصر وهو مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل
وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء
الحق وهذا التصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك
الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين واحوال الناس
او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا
لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم
الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل
وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد الاختصار
والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن
وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه
من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق
بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا او اما
تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء

وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن و
الفداء والاسترقاق منسوخ عند ابي حنيفة رضه او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا
يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصى حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها
واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم
او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب
او الشد او المن والفداء او المجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون
حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلام ذلك اي الامر ذلك
او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم باستيصال ولكن ليبلو
بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم
فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض
عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ
البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ
يُضَل من ضل ويُضَل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم
ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدين حتى اشتاقوا
في الدنيا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله
ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب
الرايحة او حددها بحيث يكون لكل احد جنة مفرزة يا ايها الذين آمنوا ان
تنصروا الله تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في
القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا

وانحطاطا

وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه
بفعل واجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل
اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد
والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم تخصيص وتصريح بسببية
الكفر بالقرآن للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم
الكفر به ولا ينفك به بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم
واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع الضمير امثالها امثال
تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة
الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان
الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى
الله موليهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون
بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى
لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب
اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن
كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعم الحجج العقلية
كالنبي والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم

في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا
عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدا خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام
امثل اهل الجنة كمن هو خالد او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن
حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجرى مثله تصويرا لمكابرة من يسوى
بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار و
هو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد
في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من
على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن استيناف
بشرح المثل او حال من عائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من أسن الماء
بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرا ابن كثير أسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشار
بين لذيذة لا يكون لها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تانيث لذ
او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على
العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي
ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا
بالتجريد عما ينقصها او ينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها
ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف
على الصنف المحذوف او مبتدا خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد
في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة

ومنهم

ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا
يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا
للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء
او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم أنف الشيء لما تقدم
منه مستعار من الجارحة ومنه استانف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا
او حال من الضمير في قال وقرئ أنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزءوا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا
زادهم اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول هدى وآتاهم
تقويهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقويهم او اعطاهم جزاءها
فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال
من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها والمعنى ان تاتيهم الساعة بغتة لانه قد
كالعلة وقرئ ان تاتهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم والمعنى
ان تاتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر لهم امارتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ
لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة
المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية
وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي
غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة

ونعيمهم فانهما جنسا آخر فان الذنب ماله تبعة ما بترك الاولى والله يعلم
متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثويكم في العقبى فانها دار
اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين آمنوا
لولا نزلت سورة اى هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة
مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اى الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض
ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا و
مخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه
الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤل اليه امرهم طاعة وقول معروف
استيناف اى امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم
لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اى جد وهو لاصحاب الامر واسناده
اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اى فيما زعموا من
الحرص على الجهاد او الايمان لكان خيرا لهم الصدق فهل عسيتم فهل يتوقع
منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها
او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة مع الاقارب والمعنى
انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف
حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير
به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب ان توليتم اى
ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا

من

من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين
الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع
الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القرآن
يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي
ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد
قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة
او لفرط جهالتها وتنكيرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها
للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المشهورة
وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اى ما كانوا عليه من
الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة
الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء
وقيل حملهم على الشهوات من السؤل وهو التمني وفيه ان السؤال
مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن
رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سُوِّل اى على تقدير مضاف اى كيد
الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله
ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب املي لهم اى وانا املي لهم فتكون
الواو للحال او الاستيناف وقرأ ابو عمرو واملي على البناء للمفعول
وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله

او قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين
او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض
الامر في بعض اموركم او في بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد والموا
فقة في الخروج معهم ان اخرجوا او التظافر على الرسول والله
يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله تعالى عليهم وقرا حمزة والكسائي
وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون
ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف
احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافونه
منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم
اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول او عصيان الامر
وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات فاحبط
اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن
يبرز الله لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم
لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي
نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب
قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية
ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم
فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد
وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين

على

على مشاقها ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها
او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرا
ابو بكر الافعال الثلثة بالياء لتوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو
بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير
او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله
بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم
ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته
فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن او
طانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا
اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها
وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا و
صدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل
من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه
قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا
الى السلم ولا تدعوا الى السلم اي الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه
باضمار ان وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرا حمزة وابو بكر بكسر
السين وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم
ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او

صميم فافرده عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تومنوا وتتقوا يوتكم اجوركم ثواب
ايمانكم وتقواكم ولا يسالكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير
كربع العشر وان يسالكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء
والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله تبخلوا
فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله والضمير في يخرج
لله تعالى ويويده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج
بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم هولاء اي انتم يا مخاطبون هولاء
الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك
او صلة لهولاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما
فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الاية المتقدمة ومن يبخل فانما
يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه والبخل يعدى
بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق والله
الغني وانتم الفقراء فما يامركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان
توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تومنوا يستبدل قوما
غيركم يقم مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي
والزهد في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه السلام عنه وكان سلمان
الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار او الملائكة عن النبي عليه
السلام من قرا سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلعم من الحديبية وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما
اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه
فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سالوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ
به رسول الله لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا
عظيما وظهر له في الحديبية آية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض
ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على
الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول في سورة الروم وقيل الفتح لك الله
بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر علة للفتح من حيث انه
مسبب عن جهاد الكفار والسعي في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس النا قصة
قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصلح ان يعاتب
عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما
في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز
ومنعة او يعز به المنصور فوصف به وصفه مبالغة هو الذي انزل السكينة الثبات
والطمانينة في قلوب المومنين حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان
النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع
مع ايمانهم بالله واليوم الآخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها
فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته وكان
الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المومنين والمومنات جنات

تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات
والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها
فيدخلهم الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل (بدل منه و)
او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم
يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما
لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا
جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء
وهو ان لن ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه و
يتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء
بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم
جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم
واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو
في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب الاعداد والغضب سبب له
لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله
جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك
شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله
الخطاب للنبي والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه
بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه
او تصلوا له بكرة واصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرا ابن كثير وابو عمرو الافعال
الاربعة بالياء وقرئ وتعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي
وكسرها وتعززوه وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك
انما

انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استئناف
مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود
ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى في مبايعته فسيؤتيه
اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرا حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع
وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت في بيعة الرضوان سيقول
لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول
الله عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان
وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا
اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على
التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل
فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما
يضركم كقتل او هزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائي
بالضم (او اراد بكم) نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا
فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول (والمؤمنون) الى اهليهم ابدا بان
ظننتم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات
على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور
والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور
الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع
المضمر ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب
للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات

والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب
عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب
داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي على
غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها
يعني مغانم خيبر ذرونا نتبعكم فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة
من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية
ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان
يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل
قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكلم على الجملة
المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى
النهي كذلكم قال الله من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل
تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون
لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى
الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات
الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين الجهل لهم
قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا
بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي بأس شديد بني حنيفة او غيرهم
ممن ارتدوا بعد رسول الله صلعم او المشركين فانه قال تقاتلونهم او
يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة
او يسلموا الى ان يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية فهو يدل على
امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف
وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون

٢٧٩

ينقادون ليتناول تقبلهم لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم
اعطاء الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة
فان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف
جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد
على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع
الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة
في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول
يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس
بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن
عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلعم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة
او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم بان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكانوا جالسا
تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة
وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم
وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة يأخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا
حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها
وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف
ايدي الناس عنكم يعني اهل خيبر وحلفاءهم من بني اسد وغطفان او ايدي
قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين امارة يعرفون
بها انهم من الله بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في رجوعه عن الحديبية
او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل
مثل لتسلموا ولتأخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا

وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون

مستقبلية هو الفتح بفضل الله والتوكل عليه وأخرى ومغانم أخرى معطوفة
على هذه أو منصوبة بفعل يفسره قد أحاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها
بالابتداء لأنها موصوفة وجرها بإضمار رب لم تقدروا عليها لما كان فيها من
الجولة قد أحاط الله بها استولى فأظفركم بها وهي مغانم هوازن أو فارس وكان
الله على كل شيء قديرا لأن قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قا
تلكم الذين كفروا من أهل مكة ولم يصالحوا لولوا الأدبار لانهزموا
ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل
أي سن غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الأمم كما قال لأغلبن أنا ورسلي ولن
تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف أيديهم عنكم أيدي كفار
مكة وأيديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد أن أظفركم عليهم أظهركم
عليهم وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة إلى الحديبية فبعث رسول
الله خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان
ذلك يوم الفتح فاستشهد به على أن مكة فتحت عنوة وهو ضعيف إذ السورة
نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم أولا طاعة لرسوله
وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ أبو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين
كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله
يدل على أن ذلك عام الحديبية والهدي ما يهدى إلى مكة وقرئ الهدي وهو
فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا المكان
الذي لا يجوز أن ينحر في غيره وإلا لما نحره رسول الله صلعم حيث
أحصر فلا ينتهض حجة للحنفية على أن مذبح هدي المحصر هو الحرم ولو
لا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم بأعيانهم
لاختلاطهم بالمشركين أن تطؤوهم أن توقعوا بهم وتبيدوهم
قال

قال ووطئتنا وطأ المقيد نابت الهرم وقال عليه السلام إن آخر وطأة
وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة النبي عليه السلام بها وأصله
الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء أو من ضميرهم في تعلموهم
فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم
والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والإثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة
من عره إذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بأن تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب
لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤ
منين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم
عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الأيدي عن أهل مكة
صونا لمن فيها من المؤمنين أي كان ذلك ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة
الخير أو الإسلام من يشاء من مؤمنيهم أو مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا
وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
عذابا أليما بالقتل والسبي إذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر
أو ظرف لعذبنا أو صدوكم في قلوبهم الحمية الأنفة حمية الجاهلية التي
تمنع إذعان الحق فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤ منين
أنزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روي أنه عليه السلام لما هم
بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز
بن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه على أن تخلي له قريش مكة من العا بل
ثلاثة أيام فأجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم
ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم
أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك ولكن اكتب هذا

ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فكتب ما يريدون فهمّ المؤمنون ان
يأبوا ذلك ويبطشوا فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة
التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او
الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا
احق بها من غيرها واهلها والمستاهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل
كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى عام الحديبية انه واصحابه دخلوا
مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا
ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا
البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة
في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف
اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه
وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد
الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية
تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك
الرؤيا او النبي لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم
ومقصرين اي محلقا بعضهم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استئناف
اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك فجعل من دون
ذلك من دون دخولكم المسجد فتح مكة فتحا قريبا فتح خيبر لتستروح اليه قلوب
المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه
ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس
الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او تسليط المؤمنين على اهله اذ
ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح وكفى

بالله

بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة
مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او
مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم
واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون
فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا
سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا
سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى
من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن في
الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم
في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي
ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع
خبره اخرج شطأه فراخه [illegible] يقال
اشطأ الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ
شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها
وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة وهي المعاونة او من الايزار
وهي الاعانة وقرأ ابن عامر فأزره كأجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة
الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه
بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهذا مثل ضربه
الله للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ
بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك
ومنهم للبيان عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع

رسول الله

سورة الحجرات ثمان عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل
ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة
الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين
يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا
لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله
وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في
التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين
آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم
عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر
بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب
وقيل معناه لا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي
والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ
والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة
ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المقيد باعتبار
التأدية لان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا
انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان
في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلعم فتفقده
فدعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت
فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عم لست هناك انك تعيش بخير وتموت
بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون

اصواتهم

اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما بعد ذلك كانا يسرانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى يستفهمهما
جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب
المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن
والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى
من امتحن الذهب اذا اذابه فميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم
وساير طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استيناف لبيان ما هو جزاء
الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدا اسم الاشارة
المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة
في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب
لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها
او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة
على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد ان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ
الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط
ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة حجرة
والمراد حجرات نساء النبي عليه السلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم
من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على
الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه
عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلعم في سبعين رجلا
من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الفعل
الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم
لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن

كان بهذا النصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى
تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذ
لك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى
مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها
بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا
حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من
الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب
والاسعاف بالمسؤل اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف
وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع
لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم رسول الله صلعم
يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا فتعرفوا
وتفحصوا روي انه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني وتفحصوا
المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم
مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلعم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم
بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم بعده خالد بن الوليد فوجدهم منادين
بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبإ
فسق للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل خبر العدل
من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد
من حيث الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب
يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا
اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا كراهة ان تصيبوا قوما
بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين
مفتنين

مفتنين عما اذن ما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلثة دائرة
مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي
اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر
للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون
ان يتبع رايكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت
وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن
الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم الايمان
وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم
احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون اي
اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى بنفسه
الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم
منزلة مفعول اخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن
القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل
لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله
والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير لفظه
فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين
وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل
طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احديهما
تعدت على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكم الله

او لما انس به وانما اطلق في بعض المواضع الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس
والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل
بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة
الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله
يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية في قتال حدث بين الاوس والخزرج
في عهده صلعم بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض
عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه
بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون
الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر
بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع
الظاهر موضع المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض
وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال
فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي
لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله
من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او
جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال الرجال
قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين الرجال والنساء ليس لتناوله
بالقبيلين بالوضع كقوم عاد وفرعون اما على التغليب او الاكتفاء
بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب
في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء
الاسم

الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر
ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة
او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه
واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب
ولا يدع بعضكم بعضا باللقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا
بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به اما تهجين لنسبة الكفر والفسق
الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول
الله فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت
ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق
والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم
الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها
الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط
في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه حيث لا قاطع
فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث
يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض
الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة
فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات
المسلمين من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي
هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته
ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عنه

عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن
فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب لحم
على افحش وجه مع مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل
ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار
بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم
الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها انه لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعله ميتا
الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة
وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك
بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا
فقد كرهتموه لا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده
نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة
في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او
لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا
سلمان الى رسول الله صلعم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال
سميحة ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها
فلما راحا الى رسول الله قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا
ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل
سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا
للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع
العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر
والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة
شعب

بطن
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي وهاشم فخذ وعباس فصيلة
وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم
بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتعارفوا
ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم فان التقوى بها
تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها
كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله
وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر
شقي هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب
آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا
الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله اتيناك بالاثقال والعيال
ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا
اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على
الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا
فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به
وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا
ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم
باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت
لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد
وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم
لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يالتكم
من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم
بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم

يشكوا من ارتاب بمطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما
اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان
ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادة
المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان
قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض
والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الاية
المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان
اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها
اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن
قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمن الفعل معنى
الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم
الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان
وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف وهو انه
لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك
بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان
فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب
فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم
وقرا ابن كثير بالياء لما في الاية من الغيبة عن النبي عليه السلام من قرا سورة الحجرات
اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه سورة ق مكية وهي خمس
واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقران المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقران ذي الذكر والمجيد ذو المجد
والشرف

والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه
مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم
احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم
وهذا اشارة الى اختيار الله تعالى محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار
بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم
من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة
الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله
لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله
عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا
وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن الوهم او العادة
او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من
اجسادهم موتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب
القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل
الاشياء كلها او محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفصيل الاشياء
بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده
بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القران لما جاءهم
وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا جرج و
ذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين
كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها
بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلا
صقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا
ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى

لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدايع صنعه وهما علتان للافعال
المذكورة معنىً وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا
كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع
الذي من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل
من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط
ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود
بعضها فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا
او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بلدة ميتا ارضا جدبة
لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد
موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد
بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط اخوانه لانهم
كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل
اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب
وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للرسول وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول
افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله
والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا
على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة
العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير
متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها
وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا
او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه

من

من حبل الوريد اي ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب
الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى لي من
الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتي العنق
في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح يرده
اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى
اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه
اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد
يثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام
الحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن
الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله واني وقيار
بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك
ظهير ما يلفظ من قول ما يتكلم من كلام ما يرمي به من فيه ثواب
او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة
كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع
ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث
والجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب
عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت
شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت
سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت
او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن اي جاءت ملتبسة
بالحق اي بحقيقة الامر وقرئ سكرة الحق بالموت على انها الشدة التي اقتضت الزهوق
او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله

الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد
معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه

والاضافة فيها للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد تميل
وتفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد
اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد عليه بعمله او ملك (بعمله)
جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق
نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته
الى ما هو في حكم المعرفة لاشتماله على المعرفة والنكرة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول
والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر فكشفنا
عنك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والقصور (غطاءك)
النظر عليها والالف بها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل
الخطاب للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم
القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول
قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه
هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي
قيض له هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي واضلالي
وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر
بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد
او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية
الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم
عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده
انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال
عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن
المغيرة

المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد مريب شاك بالله وفي دينه الذي جعل
مع الله الها اخر مبتدا متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد
او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتاكيد او مفعول لمضمر
يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنف كما استؤنفت الجمل
الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته (ربنا)
كأن الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة
العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل
نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد
فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا
الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي قال اي الله لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب فانه لا
فائدة فيه وهو استيناف مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان
في كتبي وعلى السنة رسلي فلم تبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا
تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم (بمعنى)
ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي
اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض
الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على التخصيص وما انا
بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها
مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ كقوله لأملأن
او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها (زفيرها)
وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر

يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر
باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف
وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد او على نية المصدر
او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى
الثواب او مصدر ازلفت وقرا ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى
الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز
ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل يقال
لهم ادخلوها فان من في معنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر
اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب او
هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته
وخافوا عذابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة
اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما
عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها
خالدين [illegible] لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر
ببالهم مما [illegible] لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد
منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او
جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد
التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه هل من محيص اي لهم من الله او
الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في بلاد القرون
فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا
من النقب

ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد صح صح

رجوا

وخافوا

من النقب وهو ان ينقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف
مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له
قلب اي قلب واع يتفكر في حقائقه او القى السمع اي اصغى لاستماعه وهو شهيد
حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظاهره وينزجر
بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا
يتدبر ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره
مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود
انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت
واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث
فان من قدر على العالم بلا اعياء قدر على خلقه والانتقام منهم او ما يقول اليهود
من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب
التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضل الوقتين ومن الليل فسبحه
فسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر وقرا الحجازيان وحمزة
بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل
طلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد وادبار
السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك به
من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المنادي اسرافيل
او جبرائيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة ان الله يامركن ان تجتمعن
لفصل القضاء من مكان بعيد بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء
ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم
يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة

خلق — بعثهم صح

وخلف

بار

والشعور المتفرقة

والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة
وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة والبناء
يوم تشقق تتشقق وقرا الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف الارض وقرا عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين نط
عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف
للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا
يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله وتهديد لهم وما انت عليهم
بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع انت داع
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي عم
من قرا سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته سورة الذاريات
مكية وآيها ستون بسم الله الرحمن الرحيم
والذاريات ذروا الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانهن يذرين يعني الرياح
الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرا
ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار
او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على
تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح
الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف
اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار
والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح
تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء
لترتب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة
والا فالفاء لترتب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد
سحابا

سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه
الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة
او مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك اي ذات
الخلق السوي ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة
التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق وانها تزينها
كما تزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ل
ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالجبل والحبك كالنعم كالسلك والجبل
والحبك كالسلك والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم وتارة انه ساحر
تارة انه شاعر وتارة انه مجنون او في القرآن او في القيامة او الديانة ولعل
النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات
في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه الضمير للرسول
او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه وكانه لا صرف بالنسبة
اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى
يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب
اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش
كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول الذين هم
المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم
ساهون غافلون عما امروا به يسالون ايان يوم الدين اي فيقولون
متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون
جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون
وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم

اى مقولا لهم هذا القول هذا الذى كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذى
كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذى صفته ان المتقين
فى جنات وعيون آخذين ما آتيهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه
ان كل ما آتاهم حسن مرضى متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا
اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير
لاحسانهم وما مزيدة اى يهجعون فى طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا
او مصدرية او موصولة اى فى قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز
ان يكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم
واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت السبات والهجوع الذى هو الغرار
من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة
تهجدهم اذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كانهم اسلفوا فى ليلهم الجرائم وفى
بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه
وفى اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل
والمحروم للمستجدى وللمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة وفى الارض
آيات للموقنين اى فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات
من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها فى الكيفيات
والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته
وفى انفسكم اى وفى انفسكم آيات اذ ما فى العالم شىء الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته
مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من
الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا
تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفى السماء رزقكم اسباب رزقكم
او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات
وما

وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال و
ثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستانف خبره فورب السماء والارض
انه لحق وعلى هذا الضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات
والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم
فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن
فى لحق او الوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على
الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شىء وان بما فى حيزها ان
جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائى وابى
بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشان الحديث وتنبيه على
انه اوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد قيل
كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلثة جبرائيل واسرافيل وميكائيل وسماهم ضيفا
لانهم كانوا فى صورة الضيف المكرمين اى مكرمين عند الله او عند ابراهيم
اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين
فقالوا سلاما اى نسلم عليكم سلاما قال سلام اى عليكم سلام عدل به الى الرفع
بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئ مرفوعين
وقرأ حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون
اى انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام منكرون ع
لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب
اليهم فى خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا
من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة
ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تأكلون اى منه وهو
مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب

ان قال اوّل ما وضعه ولاانكار ان قال حيث مارأى اعراضهم فاوجس
منهم خيفة فاضمر منهم خوفاً لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنّه انّهم جاؤه لشرّ
وقيل وقع في نفسه انّهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لاتخف انّا رسل الله وقيل
مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامّه فعرفهم وامن منهم وبشّروه
بغلام هو اسحق عليم يكمل علمه يبلغ ويعلم اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الى بيتها
وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرّة في صيحة من الصرير ومحلّه النصب على الحال
او المفعول ان اوّل فاقبلت باخذت فصكّت وجهها فلطمت باطراف
الاصابع جبهتها فعل المتعجّب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت
وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك
مثل ذلك الذي بشّرنا به قال ربّك فانّما نخبرك به عنه انّه هو الحكيم العليم
فيكون قوله حقّا وفعله محكما قال فما خطبكم ايّها المرسلون لمّا علم انّهم ملا
ئكة وانّهم لاينزلون مجتمعين الّا لامر عظيم سأل عنه قالوا انّا ارسلنا الى
قوم مجرمين يعنون قوم لوط لما ذكرها في الحجر ذكرها لكونه معلوما لنرسل
عليهم حجارة من طين يريد السجّيل فانّه طين متحجّر مسوّمة مرسلة من اسمت الماشية
او معلّمة من السومة وهي العلامة عند ربّك للمسرفين المجاوزين الحدّ في الفجور
فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من
المؤمنين ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت
من المسلمين واستدلّ به على اتّحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لانّ ذلك
لا يقتضي الّا صدق المؤمن والمسلم على من اتّبعه وذلك لا يقتضي اتّحاد مفهوميهما
لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها آية علامة
للذين يخافون العذاب الاليم فانّهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر
منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا
فيها

عجوز

فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبناً وماءً بارداً اذ ارسلناه
الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولّى بركنه فاعرض عن
عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولّى بما كان يتقوّى به من جنوده وهو اسم لما
يركن اليه الشيء ويتقوّى به وقرئ بضمّ الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او
مجنون كانّه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوباً الى الجنّ وتردّد في انّه حصل
ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ
فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من
الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سمّاها عقيماً لانّها
اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانّها لم تتضمّن منفعة وهي الدبور او الجنوب او
النكباء ما تذر من شيء اتت عليه مرّت عليه الّا جعلته كالرميم كالرماد من الرمّ وهو
البلى والتفتّت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتّعوا حتّى حين تفسيره قوله تمتّعوا في داركم ثلثة
ايّام فعتوا عن امر ربّهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلث
وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرّة من الصعق وهم ينظرون اليها فانّها جاءتهم
معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من
قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم
نوح اي واهلكنا قوم نوح لانّ ما قبله يدلّ عليه او اذكر ويجوز ان يكون
عطفاً على محلّ في عاد ويؤيّده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجرّ من قبل
اي ومن قبل هؤلاء المذكورين انّهم كانوا قوماً فاسقين خارجين عن
الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوّة وانّا لموسعون
لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون
السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهّدناها
لتستقرّوا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كلّ شيء من الاجناس خلقنا

زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلمون ان التعدد من خواص
الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من
عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة انى لكم منه اى من عذابه المعد لمن
اشرك وعصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب
ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه
انى لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة
والثانى على الاشراك كذلك اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم
الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه بأتى او بما يفسره لان ما بعد ما
النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اى كان الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم
بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصى جا
معهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحا
مل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا
الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك فى البلاغ وذكر
ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه
او من آمن فانه يزداد بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة
فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنا فى ظاهر قوله ولقد ذرأنا
لجهنم كثيرا من الجن والانس معناه الا لآمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا
لى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اى ما اريد ان
اصرفكم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين
به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع
عبيدهم

[هامش: من قبلهم — فانها يزداده بصيرة]

عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر
بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق
الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه انى انا
الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان
للذين ظلموا ذنوبا اى للذين ظلموا رسول الله صلعم بالتكذيب نصيبا من العذا
مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقا
سمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوّ فلا يستعجلون
جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم
الذى يوعدون من يوم القيامة او يوم بدر عن النبى عم من قرأ
والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت
فى الدنيا

سورة الطور مكية وايها تسع او ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور
الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من
عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر
ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ
او الواح موسى او فى قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه
الحفظة فى رق منشور الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما
كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من
المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج
والمجاورين او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشية
من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع

[هامش: وقرئ — نظرائهم — سيناء — المواد]

[هامش: والضراح بالضم بيت فى السماء وهو البيت المعمور صحاح]

يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله
واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار
نارا يسجر بها نار جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب
ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور
المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله تع وحكمته وصدق
اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا
تضطرب اضطرابا والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل
تحرك في تموج ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه
الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل
لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون
الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى
اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون
من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور
او ظرف لقول مقدر محكية هذه النار التي كنتم بها تكذبون
اي فيقال لهم افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افهذا المصداق
ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا
تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو
تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا حين
على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا
او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه
فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما
تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب

الوقوع

الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات
ونعيم اي في اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين
ناعمين متلذذين بما اتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر
والظرف لغو ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتاهم ان جعل ما
مصدرية او في جنات او حالا باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل
اتاهم او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او
طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه
او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هناكم ما كنتم تعملون
اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين
الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى
صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقرن
ولذلك عطف والذين امنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء
مؤمنين وقيل انه مبتدا وخبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم
بايمان اعتراض للتعليل وقرا ابن عامر ويعقوب ذرياتهم للمبالغة
في كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير
وقرا ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان
وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار
بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة
او الدرجة لما روي انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في
درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية وقرا نافع وابن
عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم
من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء

باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو
اللايق بكمال لطفه وقرا ابن كثير بكسر اللام من الت يالت وعن ابن لتناهم
من لات يليت وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت يلت
ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان
عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون
فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها
ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تاثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث
في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين
في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقراهما ابن كثير والبصريان
بالفتح ويطوف عليهم بالكاس غلمان لهم اي مماليك
مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون
مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عم والذي نفسي بيده
ان فضل المخدوم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين
بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا
عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا
بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده
او نساله الوقاية انه هو البر المحسن وقرا نافع والكسائي بفتح همزة انه
الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم
فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون
كما

كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس
من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل
تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي
ام تامرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن
يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر ذو كلام موزون
متسق مخيل ولا يتاتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادايها اليه
ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون
تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم
وعنادهم فلياتوا بحديث مثله مثل القران ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم
كثير ممن تحدوا فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون
ردا للتقول فان ساير الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا
وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء
من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا
انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الايات
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم
ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا بذلك لما اعرضوا
عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة
من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ام هم المسيطرون
الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون
فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو
كائن فليات مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له
البنات ولكم البنون فيه تسفيه واشعار بان من هذا رايه لا يعد من

من العقلاء فضلا أن يكون ممن يترقى بروحه إلى عالم الملكوت فيتطلع
على الغيوب أم تسألهم أجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم
مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك أم عندهم الغيب
اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه أم يريدون كيدا
وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله فالذين كفروا يحتمل العموم
والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على
أنه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد أو يعود
عليهم وبال كيدهم وهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته وهو قتلهم ظ
فكدته أم لهم إله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما
يشركون عن إشراكهم أو شركة ما يشركونه به وإن يروا كسفا
قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب
مركوم هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فأسقط
علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون
وهو عند النفخة الأولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم
يصعقون على البناء للمفعول من صعقه أو أصعقه يوم لا يغني عنهم
كيدهم شيئا أي شيئا من الإغناء في رد العذاب ولا هم
ينصرون يمنعون من عذاب الله وإن للذين ظلموا يحتمل
العموم والخصوص عذابا دون ذلك أي دون عذاب الآخرة
وهو عذاب القبر أو المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع
سنين ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك بإمهالهم
وإبقائك في عنائهم فإنك بأعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلؤك
وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ وسبح
بحمد

بحمد ربك حين تقوم من أي مكان قمت أو من منامك أو إلى الصلاة ومن
الليل فسبحه فإن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء ولذلك
أفرده بالذكر وقدمه على الفعل وإدبار النجوم وإذا
أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح أي في أعقابها إذا
غربت أو خفيت وعنه عم من قرأ سورة الطور كان حقا
على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وآيها إحدى أو اثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم إذا هوى أقسم بجنس النجوم أو الثريا فإنه يغلب فيه إذا غرب
أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فإنه يقال هوى هويا بالفتح إذا سقط
وغرب وهويا بالضم إذا علا وصعد أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل
أو النبات إذا سقط على الأرض وإذا نما وارتفع على قوله ما ضل
صاحبكم ما عدل محمد صلعم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما
غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون إليه وما ينطق عن
الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى إن هو ما القرآن أو الذي
ينطق به إلا وحي يوحى أي إلا وحي يوحيه الله إليه واحتج به من لم ير الاجتهاد
له وأجيب عنه بأنه إذا أوحي إليه بأن يجتهد كان اجتهاده وما يستند إليه
وحيا وفيه نظر لأن ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك
شديد قواه وهو جبريل فإنه الواسطة في إبداء الخوارق روي أنه قلع
قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا
جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورأيه فاستوى فاستقام على صورته
الحقيقية التي خلقه الله عليها قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير

قوله على قوله متعلق بقوله أقسم بجنس النجوم

محمد عليه السلام مرتين مرة في السماء ومرة في الأرض وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الأمر وهو بالأفق الأعلى أفق السماء والضمير لجبريل ثم دنا عن النبي فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الأفق الأعلى فدنا من الرسول فيكون إشعاراً بأنه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة قوته فإن التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وأدلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني معقد الإزار أو المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما أو أدنى على تقديركم كقوله أو يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملتبس فأوحى جبريل إلى عبده عبد الله وإضماره قبل الذكر لكونه معلوماً كقوله على ظهرها ما أوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به أو الله إليه وقيل الضمائر كلها لله وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره إلى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى ببصره من صورة جبريل أو الله أي ما كذب بصره بما حكاه له فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذباً لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقيل أو ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلاً كاذباً ويدل عليه أنه عم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب أي ما كذبه قلب محمد ما رآه أي صدقه ولم يشك فيه أفتمارونه على ما يرى أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فإن كلاً من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ الكوفيون غير عاصم ويعقوب أفتمرونه أي أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته أو أفتجحدونه من مراه حقه إذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فإن المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه

نزلة

(في الهامش: أوحى ؛ الملبس ؛ كاذباً ؛ وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب ؛ خلفنا)

نزلة أخرى مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها إشعاراً بأن الرؤية في هذه المرة كانت أيضاً بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الأخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لأنهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعاً أنها في السماء السابعة عندها جنة المأوى الجنة التي يأوي إليها المتقون أو أرواح الشهداء إذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلعم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل أثبته إثباتاً مستيقناً أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى أي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل إنها المعنية بما رأى ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات على أن المفعول محذوف أي شيئاً من آيات ربه أو من مزيدة أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب بالتشديد على أنه سمي به لأنه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله صلعم خالد بن الوليد فقطعها وأصلها تأنيث الأعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وهي فعلة من مناه إذا قطعه فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون الأنواء عندها تبركاً بها

(في الهامش: صحيحاً ؛ بما رأى ؛ أخرى ؛ اللات ؛ وقرأ ابن كثير)

وقوله

وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من
التاخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات
الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو
المفعول الثاني لقوله افرايتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له
ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكن كسر فاؤه ليسلم
الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة
ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي
ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس
فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي يصفونها بها من كونها آلهة وبنات
وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار
استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها
تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم واباؤكم بهواكم
ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون وقرئ
بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى
الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب
فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له
كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان
لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها
فلله الآخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان
يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان
ياذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس

ان

ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم
ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى
بان سموه بنتا وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية
ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق حقيقة
الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما
العبرة في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من
غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته
ومبلغ علمه لا يزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر
الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض
مقرر لقصور همتهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا
يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب
ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما
قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ
احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة
او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم
ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما
اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك
والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر
فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب

على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة
حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر وله ان يغفر ما يشاء من الذنوب
صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا
ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله هو
اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في
بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق
آدم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء
العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم
بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام افرأيت
الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء
من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر
على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلعم فعيره بعض
المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله
فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط
ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ
بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء
بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار
نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك
فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه
والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التوراة كانت اشهر
واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي
بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر

كانه

خبر ابتداء

ان لا تزر

كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره
ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير
نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن
سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك
للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى
وان سعيه سوف يرى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب
بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون
الناوي له كالنائب عنه ثم يجزيه الجزاء الاوفى اي يجزى العبد سعيه بالجزاء
الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون
الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدل له وان الى ربك المنتهى
انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف
وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا
لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت
يحصل عنده بفعل الله تعالى على سبيل العادة وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها
الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة الاخرى الاحياء بعد الموت
وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو والنشاءة بالمد وهو ايضا مصدر
نشأه وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال
او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور
وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه
السلام ~~من ابي كبشة ولعل تخصيصه~~ في عبادة الاوثان ولذلك كانوا
يسمون الرسول عليه السلام ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه

وخالف قريشا صح

بوعده

بانه عليه السلام وان وفق اباكبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها وانه
اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح عليه السلام
وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف
الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرا نافع وابو عمرو كذلك مع جعل الواو
همزة وعادا الاولى بادغام التنوين في اللام وثمودا عطف على عادا لان ما بعده
لا يعمل فيه وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين
ويقفون بالالف ... نافع وابو عمرو في رواية ورش فما ابقى الفريقين
وقوم نوح ايضا عطف عليه من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى
من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا
يكون به حراك والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت
وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشيها ما غشى فيه تهويل وتعميم
لما اصابهم فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول عم او لكل
احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما في
نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير
من النذر الاولى اي هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة
او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الآزفة دنت الساعة
الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله
كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها
او الآن بتأخيرها الا الله وليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه
سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث
يعني القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما
فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره

اذا

اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهي
الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الآلهة عن النبي عم
من قرا والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به
بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله
آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ
وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آياتها انشقاق القمر آيات
وقوله وان يروا آية يعرضوا عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد
وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا
ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع
من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم
وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي
للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او
نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت
واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة
امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون
الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال
تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها
حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب
حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغني
النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير

بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار
لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في
قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف
وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس
لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة وقرا ابن كثير نكر بالتخفيف
وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون
من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان
فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرا ابن كثير وابن
عامر ونافع وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين
غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر
فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة
مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون
هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا
نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب
كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل
وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل
انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني
باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي
منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار
وشدة انصبابها وقرا ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب
وفجرنا

وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا
عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن
لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها
من غير الله في الازل بغير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل من السماء
على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه
على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر
وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها
كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن
كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة
على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن
كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع ٤
خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومدكر بقلب
التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد
والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه
من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع
المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر
متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاري لهم بالعذاب
قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا
او شديد الصوت في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى
اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احد او اشتد مرارته و
كان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب
والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى اعجاز

منقلع ن

نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة أألقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي

ولهم يوم

احيمر

تناول

المتكسر

تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرئيل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرئيل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروف على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا كلها يعني الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا

وقرئ بكرة

[illegible]

[illegible]

عند الله ام لكم براءة في الزبر ام لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو
في امان من العذاب ام يقولون نحن جميع منتصر جميع امرنا لا نرام او منتصر من الاعداء
لا نغلب او منتصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون
الدبر اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد
وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزل قال
لم اعلم ما هو فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلعم يلبس الدرع ويقول سيهزم
الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا
فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر
مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران
في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر
اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم
ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه
بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا
في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على
الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهور في
الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار
لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة
وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن
كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح
البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر
متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير و
كبير من الاعمال مستطر في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار
مسطور

واكتفى

واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون
والهاء وبضم وسكون الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان
مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره
في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي صلعم من قرأ سورة القمر في
كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية
والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه
بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب
اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله
خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من
البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق
وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف
لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر
في بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف
الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم النبات الذي ينجم اي يطلع
من الارض ولا ساق له والشجر والذي له ساق يسجدان ينقادان
لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجدين من المكلفين طوعا وكان حق
النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس
والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في
اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان

ووضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة
على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره
وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلاً ومرتبة فانها منشأ اقضيته
ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان
العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم
امر العالم واستقام كما قال عم بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف
به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء
بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض
بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب
الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف
وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره
مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح
التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف
الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل
الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات
الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف
وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والثمر والحب ذو العصف
كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن
والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرأ
ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز
ان يراد وذا الريحان حمزة والكسائي والريحان بالخفض وما عدا ذلك

فحذف المضاف وقرأ

بالرفع

٢٠٤

بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل
روحان قلبت واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق
الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة
والفخار الخزف وقد خلق آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا
فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان الجن او ابو الجن
من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب
من مرج اذا اضطرب فبأي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار
خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب
المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في
ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة اذا
ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس
سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان
يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان
لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حد
ما بينهما باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر
يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب
او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكأن المخرج من احدهما كالمخرج
منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان
فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع

الآلاء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان للمنشآت المرفوعات
الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتى
ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
فباى الاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية
تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها
فان من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان
ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت
وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اى الوجه الذى يلى جهته
ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فباى
الاء ربكما تكذبان اى مما مر من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على مما ذكرنا قبل
صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة
الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه
في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة
الى تحصيل الشىء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شان كل وقت يحدث اشخاصا
ويجدد احوالا على ما سبق قضاؤه وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا
ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا
يقضى يوم السبت شيئا فباى الاء ربكما تكذبان اى مما يسعف به
سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم
ايها الثقلان اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى
لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ
لك فان المتجرد للشىء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء
وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك

لثقلهما

لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف
فباى الاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين
فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ
الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك وان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات
والارض فانفذوا لتعلموا لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله
فتعرجون عليها بافكاركم فباى الاء ربكما تكذبان اى من التنبيه والتحذير والمساهلة
والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون
بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس دخان
قال تضئ كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب
على رؤوسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على
نار ووافقه فيه ابو عمرو في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران ويعقوب
فلا تمتنعان فباى الاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع
والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الالاء فاذا انشقت السماء
فكانت وردة حمراء كالوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب
التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوى الغنائم او يموت كريم كالدهان
مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر
فباى الاء ربكما تكذبان اى مما يكون بعد ذلك فيومئذ اى فيوم تنشق السماء
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من
قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك
لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر
لفظا تقدم رتبة فباى الاء ربكما تكذبان اى مما انعم على عباده المؤمنين في هذا

اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي
والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فباى
الاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين
النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او
يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباى الاء ربكما تكذبان
ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على
احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف
الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا
ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي واخرى
للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائف منكما او لكل واحد جنة
لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او
جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما
جاء مثنى بعد فباى الاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من
الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب
من فرع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل
فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا في الاعالي والاسافل قيل احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل فباى الاء ربكما تكذبان صح
فباى الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب
ومعروف او رطب ويابس فباى الاء ربكما تكذبان متكئين على
فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك
فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف
في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى
اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباى الاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان
فان الجنتين تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور
جنتان

الجنتين، اوخ

٢٠٦

او في هذه الالاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش
قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان لم يمس ~~فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا في الاعالي والاسافل~~
~~احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل~~ من الانسيات انس ومن الجنيات جن وفيه
دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فباى الاء ربكما تكذبان كأنهن
الياقوت والمرجان اي في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فباى الاء ربكما
تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فباى الاء ربكما
تكذبان ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين
متان المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباى الاء ربكما تكذبان مدها
خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين
الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار
والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فباى الاء ربكما تكذبان فيهما
عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا
ما بعده فباى الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة
بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به
ابو حنيفة على ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فباى الاء
ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات فخففت لان خير الذي بمعنى اخير لا
بان يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فباى الاء ربكما تكذ
حور مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة
اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فباى الاء ربكما تكذبان
لان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاولين وهم اصحاب الجنتين فانهما تدل
عليهم فباى الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع

رفرف وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب
عريض خضر وعبقري حسان فباى الاء ربكما تكذبان العبقري منسوب
الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس
ولذلك جمع حسان حملا على المعنى تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه
مطلق على ذاته فما ظنك بذاته فقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول
ثم اسم السلام عليكما ذى الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع
صفة للاسم عن النبي صلعم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه سورة
الواقعة مكية وآيها سبع وتسعون بسم الله الرحمن الرحيم
اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصا
اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون
حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في
قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق وليس
لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من
قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه
يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان
الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله تعالى
ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو
وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث
ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت
وبست الجبال بسا اى فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او
سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم
ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب

الميمنة

فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة
فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشائمهم
بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة الذين يؤتون صحائفهم
بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشوم فان السعداء ميامين
على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان
خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب
من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة
بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات
او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم
كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقر
بون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين
وقليل من الآخرين اى هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم عليه السلام
الى محمد عم وقليل من الآخرين يعني امة محمد ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتي
يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة
وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما او روي مرفوعا انهما
من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير
المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من
الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على سرر يطوف
عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب
واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق
اناء له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا

ينزفون عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرا الكوفيون بكسر الزاء وقرئ لا يصدّعون
بمعنى لا يتصدعون اى لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اى يختارون
ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف
الخبر اى وفيها او ولهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير
مضاف اى هم فى جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم
ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون
حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به فى الصفاء والنقاء جزاء
بما كانوا يعملون اى يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا
باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم اثمتم الا قيلا اى قولا سلاما
سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او
مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو
السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
فى سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه
من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او
ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله
من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت
وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب
سائل كانه لما شبه حال السابقين فى التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن
شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت
بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع فى وقت
ولا ممنوعة عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة
مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه

لا يمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة
مرفوعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل
عليه قوله انا انشأناهن انشاء ابتدأناهن ابتداء جديدا
من غير ولادة ابداء او اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار
الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد
واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا
عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة
وروى عن نافع وعاصم مثله اترابا فان كلهن بنات ثلث وثلثين
وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة
لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او كقوله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
وهى على الوجه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال
فى سموم فى حر نار تنفذ فى المسام وحميم وماء متناه فى الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من الحممة لا بارد كسائر
الظل ولا كريم ولا نافع نفى بذلك ما اوهم من الاسترواح انهم
كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين فى الشهوات وكانوا يصرون
على الحنث العظيم الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام
الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب ومنه حنث
فى يمينه خلاف برّ فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون ايذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة
على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطفة
فى قوله اوآباؤنا الاولون على ان ذلك اشد انكارا فى حقهم لتقادم

زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في قوله لمبعوثون وقرأ
نافع وابن عامر أوْ بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه
مبعوثون لا هو للفصل بإنّ والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون
وقرئ لمجمّعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وُقّتت به الدنيا وحُدّت من يوم معين
عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اى بالبعث والخطاب
لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية
للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة
العطش وتانيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة
فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل التي بها
الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء وقال ذو الرمة
فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل
الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم
كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه
اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شُرب
بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم
بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم
لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزْلهم بالتخفيف
نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق
بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة
افرايتم ما تمنون اى ما تقذفونه في الارحام من النطف
وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه تجعلونه

بشرا سويا

بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم
واقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين
لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته
على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى
بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم
اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم
فيما لا تعلمون في خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى
فلولا تذكرون اى من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل
صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على
صحة القياس افرايتم ما تحرثون تبذرون حبه ءانتم تزرعونه
اى تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما
هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم
لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد
استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظِلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا
لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من
الغرام وهو الهلاك وقرأ ابو بكر أئنا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون
حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرايتم الماء الذي تشربون
اى العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب
واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب
ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمتعلقة بالا
ستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق

الفم وحذف اللام الفاصلة عن جواب ما تمحض للشرط وما يتضمن معناه او للتنبيه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرايتم النار التي تورون تقدحون أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في امر البعث كما في سورة يس او في الظلام او تذكيرا او انموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدايع صنعه وانعامه اما التنزيه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة

ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الصفة والموصوف انه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة الكروبيون او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهّرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اي تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وتكذبون اي بقولكم في القرآن انه سحر وشعر وفي المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب اليه اي المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اي مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب الذل والانقياد

ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه
بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزه دليل جواب
الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليكم جحدكم افعال الله
وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الى
الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين
اى ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح
بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة
وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم فاما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك اى سلامة لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين
اى من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين يعني
اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب
لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما نجد في
القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى هذا الذى ذكر في هذه
السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين
فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق لعظمة شانه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه
فاقة ابدا سورة الحديد مدنية وقيل مكية واياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض ذكرها هنا وفي الحشر والصف
بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان
من شان ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية

والواو للحال ونحن اقرب ونحن اعلم اليه اى الى المحتضر منكم عبر عن العلم
بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون
كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير مدينين مجزيين يوم القيمة او مملوكين
مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد
ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض
عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب
الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال
الله وتكذيبكم بايات الله ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح
الى الابدان بعد بلوغه الحلقوم فاما ان كان من المقربين اى ان كان
المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة
لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة
نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من
اصحاب اليمين اى من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين
الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها
واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما
يجد في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذي ذكر في السورة
او في شان الفرق لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك
العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبي من قرا سورة
الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا سورة الحديد مدنية وقيل
مكية واياتها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات والارض ذكرها هنا وفي الحشر والصف
بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من

اباطيلكم

قوله فله استراحة اشارة الى ان الروح بفتح الراء
بمعنى الاستراحة وانه مبتدا حذف خبره ومن
فسر الروح بضم الراء بالرحمة جعله استعارة
بان شبهت الرحمة بالروح في كون كل واحد منهما
كالسبب لحيوة المرحوم ومن فسره بالحيوة الدائمة
جعله مجازا مرسلا من قبيل اطلاق اسم السبب
على المسبب شيخ زاده

روى انه عليه السلام كان يقرأ المسبحات قبل
ان يرقد ويقول ان فيهن اية افضل
من الف اية ويعني بالمسبحات الحديد والحشر
والصف شيخ زاده

شان ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية
لا تختلف باختلاف الحالات ومجي المصدر مطلقا في بني اسرائيل ابلغ من
حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شي وفي كل حال وانما
عدي باللام وهو معدي بنفسه مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان ايقاع
الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له
ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استيناف او
خبر لمحذوف او حال من المجرور في له على كل شي من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير
تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها
والاخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها
او هو الاول الذي تبتدي منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول
خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلايله والباطن
حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شي والعالم بباطنه
والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين
وهو بكل شي عليم يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والا
رض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذر وما يخرج منها
كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم
اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم
عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض
ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع
الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات
الصدور بمكنوناتها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة

له

لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق
وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه
مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على
الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله اي وما
تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم
اليه بالحجج والايات وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان
قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول
يدعوكم وقرا ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين بموجب ما فان
هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم
اي الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان
وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم بالرسول والايات ولم يقتصر
على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله اي واي
شي لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات
والارض يرث كل شي فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه
بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي منكم
من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت
المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات
حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد
وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة
اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي كلا من

قوله وبناء الحكم على الضمير لا على الاسم الظاهر بان قال فللذين امنوا وانفقوا اجر كبير بل جعل الموصول مبتداء وجعل الكبير مبتداء ثانيا ولهم خبره الثاني وجعل الجملة خبر المبتداء الاول للمبالغة المذكورة شرح زاده

من المنفقين وعد الله المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكلٌّ بالرفع
على الابتداء اي وكلٌّ وعده الله ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير
عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه فانه
اول من آمن وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا
اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق
ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص
فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له على انفاقه مضاعفا
اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه
لكن ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم
فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكانه قال أيقرض
الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب
يضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعفه
او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين
ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين
بشراكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر
به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو
الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم
يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا
فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا
اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا
على ان اتيادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه
قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية

والاخلاق

والقائل للملائكة او المؤمنين

والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثمة يقتبس او الى حيث
شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين
او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب
يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره
من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون
موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق
وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني
كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين
كفروا ظاهرا او باطنا مأواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت
كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم
الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم او
مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يأن للذين آمنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال انى الامر يأني انيا وانا وانا
اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى يأني وألما
يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة
ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر
عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ
نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء
والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد

فقست قلوبهم اى فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وامالهم او ما بينهم وبين
انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد بالتشديد وهو الوقت الاطول وكثير منهم
فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا
ان الله يحيى الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة
او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم
تعقلون كي تكمل عقولكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات
وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين صدقوا الله و
رسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه
الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق
المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف
ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين
امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اى
اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم
امنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم
يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء
من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله
لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن
من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار
مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل
على الملازمة في العرف اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة حقر امور الدنيا
وهو

اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة
الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب
من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب
البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك
بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما
وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى
اعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن
اذا راى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره
عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما
ثم عظم امور الاخرة بقوله وفي الاخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا
وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها سابقوا
سارعوا مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة
عرضها كعرض السماء والارض اى عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك
بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين امنوا
بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير
ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم
قدره ما اصاب من مصيبة كجدب وعاهة في الارض ولا في انفسكم كمرض
وافة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل ان نبراها نخلقها
والضمير للمصيبة او للارض او للانفس ان ذلك ان اثباته في كتاب على الله
يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تاسوا اى اثبت وكتب لكيلا

تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما أعطاكم الله منها فإن
من علم أن الكل مقدر هان عليه الأمر وقرأ أبو عمرو بما أتاكم من الإتيان ليعادل ما فاتكم
وعلى الأول فيه إشعار بأن فواتها يلحقها إذا خليت وطباعها وأما
حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الأسى
المانع عن التسليم لأمر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله
والله لا يحب كل مختال فخور إذ قل من يثبت نفسه حالي الضراء والسراء الذين
يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فإن المختال بالمال يضن
به غالبا أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد
لأن معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله غني عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته
لا يضره الإعراض عن شكره بالتقرب إليه بشيء من نعمه وفيه تهديد وإشعار بأن
الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فإن الله الغني لقد
أرسلنا رسلنا أي الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم بالبينات بالحجج والمعجزات
وأنزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق
ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وإنزاله إنزال أسبابه
والأمر بإعداده وقيل أنزل إلى نوح ويجوز أن يراد به العدل ليقام به السياسة
ويدفع به الأعداء كما قال وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فإن آلات الحرب
متخذة منه ومنافع للناس إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره
ورسله باستعمال الأسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله
فإنه حال يتضمن تعليلا أو اللام صلة لمحذوف أي أنزله ليعلم الله بالغيب حال
من المستكن في ينصره إن الله قوي على إهلاك من أراد إهلاكه عزيز لا يفتقر
إلى نصرة وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد
أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بأن استنبأناهم

وأوحينا

وأوحينا إليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية أو من المرسل إليهم
وقد دل عليهم أرسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم و
العدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على أن الغلبة للضلال ثم
قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم أي أرسلنا رسولا بعد رسول
حتى انتهى إلى عيسى والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم أو من عاصرهما من
الرسل لا للذرية فإن الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح
الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل لأنه أعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها
أو رهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة
والانقطاع عن الناس منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب
كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كأنها منسوبة إلى الرهبان وهو جمع راهب
كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم إلا ابتغاء رضوان
الله استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل
متصل فإن ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الإيجاب
المقصود لحصول مرضات الله وهو يخالف قوله ابتدعوها
إلا أن يقال ابتدعوها ثم ندبوا إليها أو ابتدعوها بمعنى استحدثوها
وأتوا بها أو لأنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم فما رعوها
أي فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه منهم من المؤمنين باتباعه أجرهم وكثير
منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا أيها الذين آمنوا
بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد صلعم
يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله ولا

يعطون ثوابهم على الايمان السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم وليعلم بادغام النون في الياء اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي صلعم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلعم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها في السين والله يسمع

قوله او الهدى فالنور استعارة تصريحية وقوله يسلك به اشارة الى وجه الشبه فيه والجار في قوله لئلا اما متعلق بالافعال الثلثة قبلها على التنازع او بمقدر كفعل والهمهم ونحوه ولا مزيدة فانه يجوز زيادتها مع القرينة كثيرا واختاره على عدم الزيادة لما فيه من التكلف الآتي وقوله ليعلموا جمعه ليطابق شهاب الدين على القاضي

٢١٦

تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظاهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظّهّرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظّاهرون من اظّاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من ألحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم امهاتُهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار فانهم كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب

قوله فعليهم او فالواجب اعتاق الرقبة على الاول يكون قوله فتحرير رقبة مبتدأ خبره محذوف اي فعليهم تحرير رقبة والمبتدأ مع خبره في موضع الرفع لوقوعهما موقع خبر المبتدأ الاول وهو قوله والذين يظاهرون وعلى الثاني يكون قوله فتحرير خبر مبتدأ محذوف والتحرير جعل الرقبة حرا واعتاقها شيخ زاده

اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر
وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا
على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر
عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على
حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه
يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا
يخفى عليه خافية فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله واجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان
وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع
التتابع عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم
لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابي المفطر
ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلعم
وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في الكفارات وجنسه المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة
يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع
الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه في خلال الاطعام كما قال
ابو حنيفة ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب
بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله
ورسوله في قبول شرايعه ورفض ما كنتم عليه في الجاهلية وتلك حدود
الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم
وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون
الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين في حد غير حد الآخر
او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا اخزوا
او اهلكوا

قوله يعادونهما تفسير للمحادة بالمعادة او الى المخالفة في الحدود كقوله تعالى ان الذين يشاقون الله ورسوله
قال الزجاج المحادة ان تكون في حد يخالف حد صاحبك
وقوله كبتوا اخذوا قال المبرد كبت الله فلانا اذا اذله
وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال قتادة اخزوا
كما اخذ الذين من قبلهم من اعداء الرسل عليهم
السلام وهو يصلح ان يكون دعاء عليهم واخبارا
عما سيكون بالماضي لتحقق وقوعه شيخ زاده

واصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية
وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين
عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب
بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين
فينبئهم بما عملوا على رؤوس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم
احصاه الله احاط به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم
به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلثة ما يقع من تناجي ثلثة ويجوز
ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها
من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر
لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث
انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا
خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما
لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب
الوتر والثلثة اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان
كالمتنازعين والثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب
على الحال باضمار يتناجون او تاويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك
ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما
يجري بينهم وقرا يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من
نجوى او محل ولا ادنى ان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه
بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم
بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله

قوله وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال وذو الحال مع رافعه محذوف والتقدير ما يكون من اهل نجوى يتناجون ثلثة وخمسة ولا تكون نجوى عليه وان اول نجوى بمتناجين يكون ذو الحال المستكن فيه والجمهور على الجر عطفا على لفظ ثلثة شيخ زاده

قوله او محل ولا ادنى مثل لا حول ولا قوة بفتح الحول ورفع القوة اما فتح الاول فلان اسم لا اذا كانت نكرة مفردة يبنى على ما يرفع به واما رفع الثاني فعلى ان يكون لا الثانية زائدة لتاكيد النفي في الاول ويعطف الاسم المرفوع على محل اسم لا شيخ زاده

يعرب على حسب العوامل شيخ زاده

بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر
الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود و
المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا
المؤمنين فنهاهم رسول الله صلعم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص
بمعصية الرسول وقرا حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون
من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام
عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده الذين
اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول
هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها
يدخلونها فبئس المصير يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب
فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء
عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيما تاتون وتذرون
فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان
فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم انها في نكبة
اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا
الا باذن الله الا بمشية الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه وليفسح
بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس
الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلعم فانهم كانوا
يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه

فافسحوا

قوله هلا يعذبنا الله بذلك بعد ولو كان نبيا ما يعذبنا الله
بسبب ما قلنا في حقه وعدل عن قوله في الكشاف
ان لو كان نبيا لاية دعوا علينا حتى يعذبنا كذا في
الله بما نقول فانه لا دلالة للنظم عليه
كتاب الاحكام هنا وقوله وسلام على عباده
الخ هو تفسير بما احياه الله شهاب الدين

نزلت في اليهود والمنافقين [illegible]

فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق
والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به
كصلوة او جهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرا نافع وابن عامر
وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر
في الدنيا وايواءهم غرف الجنان في الاخرة والذين اوتوا العلم درجات ويرفع
العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو
درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم
في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد
لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي
هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال
والميز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف
في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ءاشفقتم وهو وان اتصل
به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي ان في كتاب الله تعالى اية
ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت
بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء
مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي
ذلك التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر
بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد حيث
رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ءاشفقتم ان تقدموا
بين يدي نجواكم صدقات اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم

وقوله تعالى والذين اوتوا العلم يجوزان يكون معطوفا
على الذين امنوا على طريق عطف الخاص على العام
لان الذين اوتوا العلم بعض المؤمنين منهم ويجوز
ان يكون والذين اوتوا من عطف الصفات بان يكون
الصفتان لذات واحدة كانه قال يرفع الله المؤمنين
العلماء وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله
منكم الخ شيخ زاده

قوله منهم خاصة كان اشارة الى ان عطف الذين
اوتوا العلم من عطف الخاص على العام تنبيها على الة
على علو شانهم وسمو مكانهم حتى كانهم جنس
اخر وقيل من عطف احد الوصفين على الاخر
لكن ظاهر مساق المص حيث اظهر الفعل في
المعطوف وقدر متعلقا للفعل المذكور في النظم
كالدليل على انه ليس منه ومن عطف الانسحاب
بل هو من عطف التقادير وان لا تغيره للمعطوف عليه
في الدرجات والله اعلم سعدي

قوله وانتفاع الفقراء لفظ غير مستعمل وقد تكرر
في كلام المص سعدي

قوله وهو وان اتصل به تلاوة جواب عما يقال
كيف يكون قوله ءاشفقتم مزيلا لوجوبه
وناسخا له وهو متصل به والحكم لا ينسخ
بكلام متصل به واختلف القائلون بوجوبها
في مقدار تاخر الناسخ عن المنسوخ فقال
الكلبي عشرة ايام ثم نسخ وهو على القول
بالوجوب لا يقدح في غيره اي ما روي عن
علي رض لا يوجب قدح غيره بنسبة ترك الواجب
اليهم على القول بوجوبها لان ترك
الواجب انما يلزم ان لو تحقق منهم المناجاة
في مدة بقائه من تقديم الصدقة وذلك غير
معلوم شيخ زاده

قوله فلا تفرطوا في ادائهما فسره به لان معنى الاقامة توفية حدودها وحقوقها وادائها كذا ذكره الطيبي لكن عطف الزكوة وساير
الطاعات على الصلوة في الكشاف وقول المصنف في ادائهما بضمير التثنية يأبى عما قاله اذ الاقامة مذكورة في الصلوة خاصة والظاهر
ان التعبير بالمنع عن التفريط لان المأمور موصوف بما امر به فيراد الادامة وترك التقصير والا يكون امرا بتحصيل الحاصل ويعلم مما قررنا
ان ما ذكره صاحب الكشف من ان عدم التفريط انما اخذه من التفرع على السابق لان فيه نوع تغيير محل كلام سعدي

التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع الخاطبين
اولكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا
تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى
منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا وان فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله في
ساير الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما
تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم
يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون
بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون
ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس في هذا التقييد دليل
ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم صدقه وما لا يعلم روي انه عليه السلام
تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت
اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا
يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي حلفوا
بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون دمائهم
واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله
بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم
وقيل الاول لعذاب القبر وهذا لعذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق
مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله على انهم مسلمون ويقولون
كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء لان تمكن الكذب
والنفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الاخرة ان الايمان الكاذبة تروج

الكذب

يعني انها شرطية سعدي

قوله واذ على بابها يعني الظرفية والمعنى اذ تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه باقامة الصلوة سعدي

قوله وفي هذا التقييد فان كذب الخبر لو كان عبارة عن عدم مطابقة حكمه للواقع مع اعتقاد انه غير مطابق له كما ذهب اليه الجاحظ لكان التقييد بالجملة الحالية وهي قوله وهم يعلمون بلا افادة لان المتكلم بالخبر الكاذب يعلم كونه كاذبا في خبره فلما قيد بذلك علم ان كذب الخبر ليس الا عدم مطابقة حكمه للواقع سواء علم المخبر عدم مطابقته للواقع كما اذا اخبر المنافقون للمسلمين بانهم مسلمون او لم يعلم كما اذا قال الدهري انبت الربيع البقل معتقدا ذلك فالكذب بهذا المعنى لما صدق على كل من نوعيه افاد التقييد المذكور انهم كاذبون معتقدون الكذب كمن يحلف غموسا شيخ زاده

كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام علام

مطابقته

٢١٥

الكذب على الله كما تروج عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون
الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه
استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الابل وحذتها اذا استوليت
عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها
للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة
من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة وقرأ
نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب
عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله
ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين لاعداء الله والمراد انه لا ينبغي
ان يوادوهم ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو
كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب
في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان
فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه
وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القران او النصر
على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه
بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه
الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي صلعم من قرأ
سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر

وآيها اربع وعشرون آية

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر قال قل سورة النضير معالم التنزيل

قوله من حذت الابل وحذتها الاول بالذال والثاني بالزاي وكون استحوذ من الثاني من حيث الاشتقاق الاكبر في بعض النسخ وحذتها بالذال ايضا وبكسر الحاء وهو الموافق للمنقول عن الزجاج ولعله الصواب سعدي

قوله اي بالحجة فان الغلبة بالحجة هي الثابتة لجميع الرسل لانهم من الغالبين بالحجة الغالبون بعاقبة المحمودة في الدنيا والاخرة واما الغلبة بالسيف فهي ليست بثابتة للجميع لان منهم من لم يؤمر بالحرب قال الزجاج غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة كذا في البغوي وعن مقاتل انه قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطايف وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي بن سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزل لاغلبن انا ورسلي شيخ زاده

قوله وهو نور القلب اي بادراك حقيقة الحال والرغبة في الارتقاء الى المعارج الرفيعة الروحانية والخلاص عن دركة عالم الطبيعة الدنية قال الحسن اي قواهم ونصرهم بنصر منه وقال ابن عباس نصرهم على عدوهم وسمي تلك النصرة روحا لانه به يحيى امره وقال الربيع بن انس بالقران وحججه فان فيه حيوة لهم وقال ابن جريج بنور وبرهان وقيل برحمة من الله تعالى وقيل ايدهم بجبرائيل عليه السلام على كثير ممن يحاربهم شيخ زاده

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عم
لما قدم المدينة صالح بنو النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر
يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم
احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا
نحو اباسفيان فامر رسول الله اخا كعب بن اشرف من الرضاعة فقتله
غيلة ثم صبحهم بالكتيبة وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم الى
الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله و
الله على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم
يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى
الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليه او في اول حشر الناس
الى الشام فانهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او
ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى
آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم
الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها
واعتقادهم في انفسهم انهم في منعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم
فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء
وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي العذاب
او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب
واثبت فيها الخوف الذي يرعبها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا
بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدي المؤمنين

فانهم

٢٢٠

فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم
من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه
والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو ويخربون بالتشديد
وهو ابلغ لان فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء
خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فاعتدروا
ولا تعتمدوا على شيء غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث
انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة
المقتضية له على ما قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء
الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم
في الآخرة عذاب النار استيناف معناه انهم وان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا
من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان
الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما
هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اي شيء قطعتم من نخلة فعلة
من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناه النخلة الكريمة وجمعها الليان
او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها
اكتفاء بالضمة على الواو او على انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي الفاسقين
علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم
منه روي انه عم لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد
في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم
ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله
اي وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون
له لانه تع خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى الطاعة

التعطيل

فلا تغدروا

قوله من نخلة اشارة الى ان اللينة والنخلة اسمان لمعنى واحد كما قاله الحسن ومجاهد وابن زيد وعمرو بن ميمون خلاف ما في الكشاف انها النخلة من الالوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخل وبه فسره ابو عبيدة سعدي

عن

فهو حقيق بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم
عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب
ما يركب من نحو من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك لانه
لا د في بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها
رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر
مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة كانت
بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب
في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط
الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس
لظاهر الاية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل
يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول الى الامام
على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على
قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف
الاخماس الاربعة كما يشاء والان على الخلاف المذكور كيلا يكون اي
الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة
ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة
بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة يكون بينهم
وقرئ هشام دولة بالرفع على كان التامة اي كيلا يقع دولة
جاهلية وما اتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه
لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه

مطلب
قسمة الفيء
قوله اختلف في الفيء والغنيمة تقسم على خمسة
اسهم اربعة اخماسها للغانمين ويقسم خمسها
على خمسة اسهم منها سهم للنبي عليه السلام
وسهم لذوي القربى والمراد بهم بنو هاشم
وبنو المطلب وسهم لليتامى وسهم للمساكين
وسهم لابن السبيل وذكر في قسمة الفيء ثلثة
اقوال الاول انه يسدس ويصرف سهم الله
في عمارة الكعبة والمساجد ويصرف ما بقي
وهو خمسة اسداس الستة الى مصارف
الخمسة التي يصرف اليها خمس الغنيمة
والثاني انه يخمس ويصرف الى مصارف
خمس الغنيمة بناء على ان ذكر الله تعالى
انما هو للتبرك وتعظيم رسوله والثالث
انه يخمس ويجعل اربعة اخماسه لرسول الله
خاصة يصرفها كما يشاء ثم يقسم الخمس
الباقي ايضا على خمسة اسهم سهم منها للنبي
عليه السلام وسهم لذوي القرابة وسهم لليتامى
وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل فكان جميع مال الفيء مقسوما على خمسة وعشرين سهما واحد
وعشرون سهما للنبي عليه السلام واربعة اسهم لذوي القربى واليتامى والمساكين وابناء السبيل شيخ زاده

او عن اتيانه

عن اخذه منه فانتهوا عنه او عن اتيانه واتقوا الله في مخالفة رسوله ان الله
شديد العقاب لمن خالفه للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما
عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص
الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان
كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله
باموالهم وانفسهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم
في ايمانهم والذين تبوءوا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم
الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءوا
دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول
وعوض عنه اللام او تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا
وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من
قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوءوا الدار
من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا
يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب
والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره
ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان
عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم
خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح
نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب
الآجل والذين جاءوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي

الذين ظهر صدقهم

مطلب
عوض اللام عن المضاف

في الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى
يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اى لا
لاخواننا في الدين في قلوبنا غلا للذين امنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف
رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة
الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم في
قتالكم او خذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اى من رسول الله والمسلمين
وان قوتلتم لننصرنكم لنعاونكم والله يشهد انهم لكاذبون
لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن
قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني
النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن
ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا
ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم
اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم
اشد رهبة اى اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول في صدو
رهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه
نفاقا فان استشعار رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك
بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته
ويعلموا انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون
جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او
من وراء جدر لفرط رهبتهم بأسهم بينهم شديد اى وليس
ذلك

ولا تجعل

ولا نطيع فيكم

مرهوبية

وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو

ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا
بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا
حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى
متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا
يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل
الذين من قبلهم اى مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح
انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان
قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم
سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان
اى مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر للمأمور فلما كفر قال
اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك
كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين
فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له
ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية وقيل راهب
حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على انها الخبر وخالدان على انهما
الخبر وفي النار لغو يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة كغده وتنكيره
للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة
كانه قال ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد والاول
في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه
بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا

وعن مالك بن دينار مكتوب على باب
الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما
قدمنا خسرنا ما خلفنا

غده

تكرير

كالذين نسوا الله نسوا حقه فانسيهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم
يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول
ما انسيهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق لا   انساهم ن
يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم
فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج اصحابنا
على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم   خاشعا متصدعا من خشية الله صح
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا
عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله خاشعا متصدعا من خشية الله فلنا   وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون صح
الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند
تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ
مصدعا على الادغام وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما   القدسية واحوالها صح
غاب عن الحس من الجواهر وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم
الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود
او السر والعلانية هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البالغ في النزاهة   البليغ   بفتح القاف
عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل
نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ
بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء
مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على
ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب
حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه في شيء من
ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد
لها

قوله وهو لغة فيه اي القدوس بفتح القاف لغة في القدوس حكاه صاحب الكشاف ويقول في الصفات قليل واكثر ما ياتي في الاسماء نحو تنور وسمور وهبود لجبل باليمامة شيخ زاده

لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما   واخوانها
اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء فعليه بكتابي المسمى بمنتهى
المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في
السموات والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم
الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم
عن النبي صلعم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم وما تاخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت
في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلعم يغزو اهل مكة
كتب اليهم ان رسول الله صلعم يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة
مولاة بني المطلب فنزل جبرئيل فاعلم النبي بما فعل فبعث رسول الله صلعم
عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى
تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه
منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت فسل علي رض
السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله حاطبا وقال
ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك   صحبتك
ولكني كنت امرا ملصقا في قريش ليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اتخذ
عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلعم
وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء
مزيدة او اخبار رسول الله صلعم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا
تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى

ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل وقد كفروا
بما جاءكم من الحق حال من احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اى من
مكة وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم
بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطبين والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة
على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا فى سبيلى
وابتغاء مرضاتى علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف
دل لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف
معناه اى طائل لكم فى اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم
بما اخفيتم وما اعلنتم اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما
موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اى يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء
السبيل اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء
المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء كالقتل والشتم وودوا
لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم
ودوا ذلك قبل كل شىء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم
ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل
بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون
اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرا حمزة والكسائى بكسر الصاد والتشديد
وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرا ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد
وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة
قدوة اسم لما يؤتسى به فى ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم
لغو او حال من المستكن فى حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا
لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع برىء كظريف وظرفاء ومما تعبدون

من

من دون الله كفرنا بكم اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم
والهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده
فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغى
ان نأتسى به فانه كان قبل النهى او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله
من شىء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا
عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله
للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا
لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا
نتحمله واغفر لنا ما فرط منا ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان
حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير
لمزيد الحث على التاسى بابرهيم ولذلك صدره بالقسم وابدل قوله
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغى لمؤمن ان
يترك التاسى بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله
ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله
ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا
عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك
وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله
غفور رحيم لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل
الرحم لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من
دياركم اى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من
الذين وتقسطوا اليهم تقضوا اليهم بالقسط اى بالعدل ان الله

تحبّ المقسطين العادلين روي أن قتيلة بنت عبد العزّى قدمت
مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول
فنزلت إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم
وظاهروا على إخراجكم كمشركي مكة فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين
وبعضهم أعانوا المخرجين أن تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن
يتولهم فأولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا أيها
الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن
بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الإيمان الله أعلم بإيمانهن
فإنه المطلع على ما في قلوبهن فإن علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم
تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات وإنما سماه علماً
إيذاناً بأنه كالعلم في وجوب العمل فلا ترجعوهن إلى الكفار أي
إلى أزواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
والتكرير للمطابقة والمبالغة أو الأولى لحصول الفرقة
والثانية للمنع عن الاستئناف وآتوهم ما أنفقوا ما دفعوا
إليهن من المهور وذلك لأن صلح الحديبية إذ جاءته سبيعة بنت
الحارث الأسلمية مسلمة فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالباً لها
فنزلت فاستحلفها رسول الله صلعم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق
وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم أن تنكحوهن فإن الإسلام
حال بينهن وبين أزواجهن الكفار إذا آتيتموهن أجورهن
شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذاناً بأن ما أعطي أزواجهن لا يقوم
مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات من عقد
ونسب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات

جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن إذ روي أنه عليه السلام كان بعد بالحديبية صح

يعتصم به

بعد الإيمان

وقرا

وقرأ البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد واسألوا ما أنفقتم من مهور
نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما أنفقوا من مهور أزواجهم المهاجرات
ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استئناف أو حال من الحكم
على حذف الضمير أو جعل الحكم حاكماً على المبالغة والله عليم حكيم يشرع
ما تقتضيه حكمته وإن فاتكم وإن سبقكم وانفلت منكم شيء من أزواجكم أحد
من أزواجكم وقد قرئ به وإيقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم أو
شيء من مهورهن إلى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر
شبه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء
هؤلاء أخرى بأمر يتعقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت
أزواجهم مثل ما أنفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي أنه لما نزلت
الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه إن فاتكم
فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي
أنتم به مؤمنون فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه يا أيها النبي إذا جاءك
المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً نزلت يوم الفتح فإنه عم
لما فرغ عن بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا
يقتلن أولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن
وأرجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تأمرهن بها والتقييد
بالمعروف مع أن الرسول لا يأمر إلا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في
معصية الخالق فبايعهن إذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء
واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً
غضب الله عليهم يعني عامة الكفار أو اليهود إذ روي أنها نزلت في بعض
فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد

وقد

يتعاقبون

نزلت يوم ط

يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول
المنعوت في التورية المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور
ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه
موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي صلعم من قرأ سورة
الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره
يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا
لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية
والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في
الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت
اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير
عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص في تراصهم
من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء
بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم
لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم
بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة بالانكار فان العلم بنبوته يوجب
تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم
صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية

موصلة

موصلة الى معرفة الحق او الجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم
مصدقا لما بين يدي من التورية في حال تصديقي لما تقدمني من التورية
ومبشرا برسول يأتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى
الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل شيئا ومبشرا برسول
يأتي من بعدي اسمه احمد يعني محمدا صلعم والمعنى ديني التصديق بكتب الله
وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي
هو خاتم النبيين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء
به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر
على ان الاشارة الى عيسى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام
اي واي احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته المقتضي
له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله
وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال
دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم
الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام
مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى
الاضافة تاكيدا لها في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره
مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص
بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله
بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على
الدين كله ليعليه على الاديان كلها ولو كره المشركون لما فيه من محض

ومبشرا برسول يأتي من بعدي

هذا به

اظلم ممن

التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم وقرا ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
استيناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي
الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جئ بلفظ الخبر ايذانا بان
ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد
بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط
او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل
تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وتبعيد جعله جواب هل ادلكم لان مجرد
دلالته لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة
الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه
النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض
بانكم تؤثرون العاجل على الاجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم
او تحبون او مبتدا خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او
بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب
على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين
عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى
الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم
عليهما آجلا وعاجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرا الحجازيان
وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى ابن

مريم

مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله
ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة
احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل
الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او
كونوا انصار الله كما كان الحواريون من الحور وهو البياض حين قال لهم
عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به و
كانوا اثني عشر رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة
اي بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك
بعد رفع عيسى فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلعم من
قرا سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا
وهو يوم القيمة رفيقه سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم
وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين
اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون رسولا منهم من
جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة
ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة
القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له
سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث
الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما
يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها
وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا

بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا
بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر
الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك
الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية
والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة مثل
الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم
ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب
في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس
المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي
مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلعم
ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف والله
لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم
انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء
الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار
البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما
قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فجا
فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان
تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم
لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف
وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز ان يكون الموصول
خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من

اي اذن لها

اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه
للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوي لاجتماع
الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلعم انه لما قدم المدينة نزل
قباء واقام الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار بني سالم بن عوف
فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو
والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع
واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع
الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل
العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من
فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي
الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة مريض وحضور
جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم
ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها روي انه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل
الطعام فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية
اليها لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير
والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او
للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع
بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره
اذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي
على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك
محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا

عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي صلعم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة
اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود
به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او
شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية
عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا
يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى ما تقدم من الكلام اي ذلك
القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب
والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا
سرا او آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة
فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون
حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم
لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة
كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلعم فيعجب
بهياكلهم ويصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور
في لقولهم اي تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحايط
في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء
وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر

وقرا

وقرا ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف
او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم
لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون
صلة والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر
الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين
قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين
ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا
واستكبارا عن ذلك ورأيتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار
وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر
والنفاق هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات
والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون
ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب
الاعرابي راسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز
نفسه وبالاذل رسول الله وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء
المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات
مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة

ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسله والمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون لفرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين آمنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام
بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد
نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك
اي اللهو بها وهو الشغل بها فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم
الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا
للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت ان يرى دلائله فيقول رب لولا
اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق
واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء
وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون بالنصب عطفا على فاصدق وقرئ بالرفع
على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها
اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء
ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي صلعم من قرأ سورة المنافقين برئ من
النفاق سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثماني عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم
يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه
له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به
من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية
للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم
فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر
ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما
يناسب

يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة
وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن
صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة
خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير
فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات و
الارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور
فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان المقتضي لعلمه الكل واحد
وتقديم تقدير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته
اولا بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء
الم يأتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وعاد وهود
وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه
الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب
اليم في الآخرة ذلك اي المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان
الشان كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر
يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع
فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شيء
فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل
مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم
ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما في حيزه
قل بلى وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم با
بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول
القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد صلعم والنور الذي

أنزلنا يعني القرآن فإنه بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه
شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف
لتنبؤن أو مقدر باذكر ليوم الجمع لأجل ما فيه من الحساب والجزاء
والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن
يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا
سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة
على أن التغابن الحقيقي هو التغابن في أمور الآخرة لعظمها ودوامها
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا أي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون
فيهما ذلك الإشارة إلى مجموع الأمرين ولذلك جعله الفوز العظيم
لأنه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كأنها والآية المتقدمة
بيان للتغابن وتفصيل له ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله إلا بتقديره
وإرادته ومن يؤمن يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها
وقرئ يهد قلبه بالرفع على إقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة
سفه نفسه ويهدأ بالهمزة أي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب
وأحوالها وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا
البلاغ المبين أي فإن توليتم فلا بأس عليه إذ وظيفته التبليغ وقد بلغ
الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لأن إيمانهم بأن الكل
منه يقتضي ذلك يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم
عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله أو يخاصمكم في أمر الدين والدنيا
فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وإن تعفوا عن ذنوبهم بترك
المعاقبة

وقرأ يعقوب نجمعكم بالنون

بالله

المعاقبة وتصفحوا بالإعراض وترك التثريب عليها وتغفروا
بإخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فإن الله غفور رحيم يعاملكم
بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم إنما أموالكم وأولادكم فتنة
اختبار لكم والله عنده أجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على
محبة الأموال والأولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم أي
ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه وأطيعوا أوامره
وأنفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لأنفسكم أي افعلوا ما هو خيرا
لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر ويجوز أن يكون صفة
مصدر محذوف أي إنفاقا خيرا أو خبرا لكان مقدرا جوابا للأوامر
ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون سبق
تفسيره إن تقرضوا الله بصرف المال فيما أمره قرضا حسنا مقرونا
بالإخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا إلى سبعمائة
وأكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة
الإنفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة
عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم
عن النبي صلعم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق

مدنية وآيها اثنتا عشرة أو إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لأنه إمام
أمته فنداؤه كندائهم أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى إذا أردتم
تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن
أي وقتها وهو الطهر فإن اللام في الأزمان وما يشبهها للتأقيت ومن
عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل

على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشي يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق امرأته حايضا امره عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه

في

في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لله لوجهه ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فانه المنتفع والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهي عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جي به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد وقرا حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شي قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلثة اشهر

روى انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قيل
فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اى واللائي لم يحضن
بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن
حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على
عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض
والحكم معلل هاهنا بخلافه ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت
بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله فقال قد
حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه في العمل تخصيص
وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن
يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه
امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم
ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته
فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن
من حيث سكنتم اى مكانا من سكناكم من وجدكم
من وسعكم اى مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم
ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان
كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة
وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات
والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح
فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف
وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم
تضايقتم فسترضع له اخرى امرأة اخرى وفيه معاتبة للام
على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه
رزقه فلينفق مما آتاه الله اى فلينفق كل من الموسر والمعسر

ما

ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا
الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال
سيجعل الله بعد عسر يسرا اى عاجلا او آجلا وكاين من قرية اهل قرية
عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها
حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا
والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت
وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح
فيها اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب
التقوى المأمور بها في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون
المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة
وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم
ذكرا رسولا يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر
وهو القرآن او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اى
شرف او محمدا صلعم لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر
عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه
وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب
بمقدر مثل ارسل او ذكرا مصدر والرسول مفعوله او بدل له
على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات
حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله تعالى
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين آمنوا بعد انزاله
اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج
من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى

بالذين ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن

ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله
له رزقا فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع
سموات مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في
العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر
بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته
وعلمه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق
مات على سنة رسول الله صلعم **سورة التحريم مدنية وايها
اثنا عشرة** بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه السلام
خلا بمارية في يوم عايشة او حفصة فاطلعت على حفصة
فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند
حفصة فواطات عايشة سودة وصفية فقلن له انا
نشم منك ريح المغافير فحرم العسل تبتغي مرضات ازواجك
تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف لبيان الداعي اليه
والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احل الله رحيم
رحمك حيث لم يواخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم
تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء
فيها بالمشية حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه
اذا

اذا استثنى فيها واحتج به من راى التحريم مطلقا او تحريم المراة يمينا
وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال
انه عم اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم
بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر و
عمر رضي الله عنهما فلما نبات به اي فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث
واظهره الله عليه واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على الحديث اي على افشائه
عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن
اعلام بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن
بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل هاهنا غيره لكن
المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد
الاول قوله فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير فانه
اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات
للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو
ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه
وان تظاهرا عليه بما يسوءه وقراءة الكوفيين بالتخفيف فان الله هو
مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملا

بتخفيف الواو اى المقربون من كرب الشى اذا دنا وقرب ابن نجم زاده

وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن
صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون و
تخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وقوله
بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على
انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي
تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو ويبدله با
لتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او
مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول
سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات
ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة
اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك
المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتأديب وقرئ واهلوكم عطفا
على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها
الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي
امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ
الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى

ويفعلون

ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها
ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون
ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار
لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به
على الاسناد المجازي مبالغة في النصح او في النصاحة وهي الخياطة كانها
تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر
والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا
او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها
ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم
واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله
كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك و
اشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف
ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف
على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره نورهم
يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط يقولون اذا طفئ نور

المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل تتفاوت
انوارهم بحسب اعمالهم فيسئلون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد
الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم فاستعمل الخشونة
فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه ومأويهم جهنم وبئس المصير جهنم
او مأويهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط
مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم
وبين النبي والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من
عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما شيئا
لحق الزوج اغناء ما وقيل ادخلا اي لهما عند موتهما او يوم القيمة
النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة
بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأت
فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال
اسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعداء الله اذ قالت
ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من
رحمتك او في اعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله
من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين

من القبط

من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة
فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه
في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او في الحملة من روحنا من روح
خلقناه بلا توسط اصلا وصدقت بكلمات ربها بصحفه
المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس
الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع
وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من
عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار
بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى
عدت من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبي
صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل
من النساء الا اربع اسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم
ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل عائشة رضي الله تعالى
عنها وعن ابيها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة
التحريم اتاه الله تعالى توبة نصوحا سورة

قال الزجاج تبارك تفاعل من البركة والبركة كثرة الخير وزيادته وفي معنى احدهما تزايد خيره وتكاثر وهو المراد من قوله تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
الثاني تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في ذاته وصفاته وافعاله وهو المراد من قوله تع ليس كمثله شيء اما تعاليه عن كل شيء في ذاته فيحتمل ان يكون المعنى جل بوجوب وجوده
وتقدسه عن جواز الفناء والتغير عليه وان يكون المعنى جل بوحدانيته وعن جانب ... بعض من الممكنات واما تعاليه عن كل شيء في صفاته فيحتمل ان يكون المعنى جل في
قدرته وعلمه ان يخرج عنهما شيء من المعلومات والمقدورات وان يكون المعنى جل ان يكون علمه ضروريا او كسبيا او تصورا او تصديقا وان يكون قدرته
محتاجا الى مادة ومدة وحيلة ومعرفة واما في افعاله فلا يكون الا الوجود والبقاء وصلاح حال الوجود لا من قبله وقال الخرمي اصل الكلمة تدل على البقاء
وهو مأخوذ من بروك البعير ومن بروك الطير على الماء وسميت البركة بركة لثبوت الماء فيها والمعنى انه سبحانه وتع باق في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير
وباق في صفاته ممتنع التبدل ولما كان سبحانه الخالق للوجود والمنافع والمصالح والمبقي لها وجب وصفه تع بانه تبارك وتعالى .. تفسير كبير اول سورة الفرقان
تبارك تفاعل من البركة عن ابن عباس رضي الله عنه كان معناه جاء بكل بركة ودليل قول الحسن تجيء البركة من قبله وقال الضحاك تعظم .. معالم التنزيل
فتكون نسبتها الى الله تع باعتبار ما يتعلق منها بمخلوقاته من فنون الخيرات والصنع لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وانا فانا بحسب حدوثها او
حدوث متعلقاتها ابو السعود
فتكون نسبتها الى الله باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك .. ابو السعود
فيكون الكلام دالا على الصفة الثبوتية
والمعنى تعالى وتعظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي .. ابو السعود
فيكون الكلام دالا على الصفة السلبية ١٢
البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله تع على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه
في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته الى الله تع يثبت اليه باعتبار غايته .. ابو السعود .. رحمة الودود
الشيء في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وح يتناول الباري تع كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما
شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تع ان الله على كل شيء قدير .. قاضي البيضاوي .. قال الفراء التفوت الاعوجاج والتفاوت الاختلاف
الحوض زمان من الازمنة .. شيخ زاده .. كذا في الشيخ والاولى ان يخلق بالطلقة التحديدية اذ لا يلبس الحاجة اذ جعل
جمالي تقدير المضاف وانما المحتاج اليه مصدرا .. سعدي چلبي

وقد روي ان حملة العرش ثمانية اربعة تسبيحهم سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة تسبيحهم سبحانك ... لك الحمد على عفوك بعد قدرتك .. قشيري وشرح علماء للكشي

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها
وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت و
الحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدره وقدم الموت
لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم
معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه
واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا واورعكم عن محارم الله
وطاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن
معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا
فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو
العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي
خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر
طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا
او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت وقرا حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما
واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت

قوله التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك فاذا اصابه الدلك الباين اى اقبل لخدمتك وامتثال مامورك ولا ابرح من مكاني و
اسعد واعانتك اسعاد بعد اسعاد فاذا سعد يتعدى بنفسه بخلاف لبى فانه يتعدى باللام وتثنية المصدر لتكريرها التكرير والتكثير
البابا واسعادا كثيرا متواليا وكذا قوله كرتين فانه منصوب على المصدرية للفعل السابق فانه بمعنى ثم ارجع البصر كرتين رجوعا
اخرين وليس المراد رجعتين اثنتين بل المراد انه يكرر النظر اليها مرارا كثيرا الشهادة قوله وهو حسير فانه فعيل بمعنى الفاعل من الحسور
الاعياء والعياء وهو حسير اى بالغ غاية الاعياء والكلال من المعلوم ان البصر لا يبلغ الحد المذكور برجعتين اثنتين وانما يصير حسيرا
برجعه مرارا كثيرة • سعدي زاده • ابو الفضل الجوهري الكلال بيده رعدا او بيدا ارتاده ارشيا بتمرار ولمات في الحديث
انى بالحكم فقيل لبودائى ليطلبه كما تالينا او متعذرا • سعدي زاده رحمه الله بعن نعمه

فارجع البصر هل ترى من فطور

فانظر تفاوت مع بعضها الآخر والجملة صفة لـ
لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه
تعالى مشرف لكل بعدية البديعة الباهرة بحسن وفضل واربد
نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله تعالى
فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب حيث نظرت اليها
مرارا فانظر اليها مرة اخرى متاملا فيها لتعاين ما اخبرت به
من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق
والخلل والفساد قطوا اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اى رجعتين
اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك
وسعديك ومثله ما اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا
بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير
كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا
اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج
فيها والتنكير للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في
سموات فوقها اذ التزيين باظهارها فيها وجعلناها رجوما للشياطين
وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها
وقيل معناه رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم

غرائب فيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا كان ممن قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله الا تبارك فلما وضع في حفرته اتاه الملك فنادت في وجهه الصورة
فقال الملك انك من كتاب الله واني لا املك لك ولا لكم ولا لنفسي نفعا ولا ضرا فان اردت هذا بك فانطلق الى الرب فتشفع له فتنطلق الى الرب
فتقول يا رب ان فلانا عمد الى من بين كتابك فتعلمني وتلاني فتحرقه بالنار وتعذبه وانا في جوفه فان كنت فاعلا به ذلك فامحني من كتابك فيقول الا اراك
غضبت فتقول وحق لي ان اغضب فيقول اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه فتجيء فتزبر الملك فيخرج كاسف البال لم يحل منه شيء فتجيء فتضع
فاها على فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فربما تلاني ومرحبا بهذا الصدر فربما دعاني ومرحبا بهاتين القدمين فربما قامتا بي وتؤنسه في قبره مخافة
فلما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد الا تعلمها وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية • در منثور رحمه الله
فانه من تامل في خلق السموات واحسن النمط البديع قضى باتصاف خالقها تعالى بجميع ما نطقت بالرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك
القاهر والقدرة التامة والعلم المحيط والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال والحكم بان من قدر على ايجادها على هذا النحو قادر على اعادته بالبعث فقد يحكم بان ذلك
ليس الا للحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم اى علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فانفصل من العلل ولا تراسل وسائر عوالم
المتفرعة على ذلك كما فصل في تفسير السعود في سورة العمران عند قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ومن كونها محلا لايتي الليل والنهار
اشياء نما النباتات من الزروع والحشيش عليها بحكم العادة الالهية وغير ذلك مما يجب من التامل فيها ١٢ ١٢ ١٢ ١٢ ١٢ ١٢ ١٢ ١٢ ١٢
انى كان كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق بحار في فهمه الافكار وطار عن خالق
بهم وذوكه الانظار • ابو السعود • قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها
غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به • مدارك ونهاية البيان • وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة
الشياطين رصد الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتل ومنهم من يخبل • تفسير ابو السعود
ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله
الكيف عقله كذا في الصحاح

وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلعم يلقى على اهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون الم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش نبئت ان بين دعائهم واجابة مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل مشكوة المصابيح

ثم قالوا لا نجترئ على ذلك وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة لكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافرين • علي القاري

الضريع هو نبت بالحجاز له شوك لا تقربه دابة لخبثه ولو اكلت ماتت والمراد هنا شوك من نار امر من الصبر وانتن من الجيفة واحر من النار • علي القاري

اي مما ينشب في الحلق ولا يسوغ فيه من عظم وغيره لا يرتقي ولا ينزل لقوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما • علي القاري

وعن سمرة بن جندب ان النبي صلعم قال منهم من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته رواه مسلم • وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ان غلظ جلد الكافر اثنان واربعون ذراعا وان ضرسه مثل احد وان مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة رواه الترمذي • مشكوة المصابيح • وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ما بين منكبي الكافر ثلثة ايام للراكب المسرع • مشكوة المصابيح

جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم
عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين
كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير
وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذابا على عذاب السعير
اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي
تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق
غيظا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ
الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة سالهم خزنتها الم
يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا
في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا
الانزال والارسال رأسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال والنذير اما
بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت
به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة
تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج
قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون
الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال

قوله تع اولم يروا الى الطير الآية وجه تعلقه بما قبله هو انه عز بين بالدليل كونه عالما بما يسرونه وما يعلنونه ونظيره من قال للعبيد الذين اساءوا الى سيدهم بالسر فلانا انا اعرف سركم وعلانيتكم فاجلسوا في هذه الدار التي ... ولا تأمنوا تأديبي فاني ان شئت جعلت هذه الدار منزل ... اذ علم سركم وجهركم فكونوا خائفين من تأديبه ... الذي ذللتها لكم وجعلتها سببا لمنفعتكم فامشوا في مناكبها فان شئت خسفت بكم هذه الارض

شبهت الارض في غاية تذللها بالبعير للتذلل والشيء ومناكبها ... المناكب الجبال قال الزجاج فاذا امكنكم السلوك فيها فهو ابلغ التذلل ... جوانبها

قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشى في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم أأمنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه في السماء وعن ابن كثير برواية قنبل وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وآمنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع برواية ورش وابي عمرو ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات

فاصل المعنى اليس لكم علم على قدرتنا على التعذيب ام لكم من يمنعنا عن التعذيب فهذا انكار لعدم علمهم ولوجود من يمنع وقوله الا انه اخرج مخرج الاستفهام ... معنى النظم انكار تعيين من ينصرهم فاين هذا من ذلك وحاصل الدفع انهم كانوا يعتقدون وجود من ينصرهم وتعيينه لقوله تع واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون فانكر عليهم تعيينه ولزم منه انكار وجود اذ لو وجد لتعين ثم في الكلام رمز الى ان من الاستفهامية مبتدأ خبره هذا الذي مبتدأ وان معنى الاستفهام في اصله طلب التعيين على ما ينصرهم فلو كان من مبتدأ لكان هنا طلب الحكم على المتعين بانه من ينصرهم وهذا ليس ... اما عن تعيين من ينصرهم فتامل به بعد من كان من مبتدأ فهو مذهب سيبويه وهو المشهور لكن ما رمز اليه مذهب بعض من النحاة . رحمه الله

اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحريك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصيل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم ام من يقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور تباعد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى

يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشعت الريح السحاب فاقشع
التحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليس
مطاوع كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه
يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه
ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط
مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد
بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب
الدلالة على حال المسالك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل
ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب
الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا
هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا هو الذي يحشر
على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا
المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا
قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي
ذرأكم في الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون متى هذا الوعد
اي الحشر او ما وعدوا به من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون
النبي والمؤمنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره

والفاء في قوله فلما رأوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الآية
كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الآية لكن المقدر هناك امر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع
وارد على طريقة الاستئناف ابو السعود. قوله زلفة حال من مفعول رأوا اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى
الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة وظرف اي رأوه في مكان ذي زلفة. شيخ زاده
روي ان الكفار كانوا يتمنون على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك
كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصر فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه
اي نحن مع ايماننا خائفون لان لا ندري ايخذلنا ويعاقبنا او يهلكنا لانه حكم جائز وامره نافذ وفعله واقع في ملكه فنحن مع ايماننا خائفون

وانما انا نذير مبين والانذار يكفي فيه العلم بل الظن بوقوع
المحذر منه فلما رأوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة
اي قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها
الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون
تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان
لا بعث فهو من الدعوى قل ارأيتم ان اهلكني الله اماتني
ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير الكافرين من
عذاب اليم اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب
لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم
اليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق
عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم
الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين
منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا
في الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء
معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم من قرأ سورة الملك فكأنما احيى ليلة القدر

سورة النون بسم الله الرحمن الرحيم اثنان وخمسون آية

يرعى ان يسود يا من فضحا اليهود وجاء الاعرابي ايام خلافته وقال اخبرني عن اخلاق رسولكم فقال عمر اطلب بلالا فهو اعلم به منا ثم
دله على فاطمة ثم دلته على علي فلما سال عليا عنه قال صف لي متاع الدنيا حتى اصف لك اخلاقه فقال الرجل هذا لا تيسر لي فقال علي عجزت
الدنيا وقد شهد الله على قلته حيث قال قل متاع الدنيا قليل فكيف اصف اخلاق النبي عم وقد شهد بانه عظيم حيث قال وانك لعلى خلق عظيم
عن تيسير

وقد تكلموا في شأن الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي انه قال في
كل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور وعن علي رضي ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله — تفسير ابي السعود في فاتحة سورة

قال داود بن ابي هند كنت اسأل الشعبي عن فواتح السور فقال يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عن غيرها
وعن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم انهم قالوا الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر — شيخ زاده في اوائل البقرة

وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبني الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت
العوامل ولذلك قيل صاد وقاف ونون مجموعا فيها بين الساكنين وان وليها عامل مسها الاعراب — ابو السعود

وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله ويدل عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص
يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل انها سر استأثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم ما يقرب منه ولعلهم ارادوا

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله
لافعلن بالجر ويجوز ان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف والتانيث على انه علم
للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد باحدى الطريقين المذكورين في موقعه او اسما للسورة منصوبا على الوجه
او مرفوعا على انه خبر مبتداء محذوف فالواو في قوله والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف — ابو السعود

والنبي عم اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم
انها خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم وانقطعت قدرتهم وليكون مطلع ما يتلى عليهم
بضرب من القرآن فان التلفظ باسماء الحروف ممن لم يحم حول الدرس والخط اعزب ... — تفسير

الفاتحة كما اصلحه كما قيل
الرجال فواطر اقلامهم

او الحوت الذي حبس يونس عم في بطنه او الحوت الذي لطلع ... او هو لوح من نور يكتب
الملائكة ما يأمرهم الله به رواه معاوية بن قرة مرفوعا او هو المداد الذي يكتب به او هو آخر حروف الرحمن — كبير من عينه

اشارة الى ان الدواة من النون تجوز بعلاقة المشابهة
في احتواء النقوش واخراجها وفيه رد على الزمخشري قال الادنى صح
وضع لغوي او شرعي لكن ان ينافس فيما ذكره المص ان المشبه به
لابد ان يكون اعرف واشهر من المشبه في وجه الشبه وليس الحال في النون
والدواة كذلك — سعدي

قال الزجاج انت اسم ما وبمجنون خبره وقوله بنعمة ربك كلام
وقع في البين ... انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما تقول انت بحمد
الله عاقل ... بحمد الله لست بمجنون ومعناه ان تلك الصفة
المحمودة ... والصفة المذمومة انما زالت بواسطة انعام
الله ولطفه ... وقال عطاء وابن عباس يريد بنعمة ربك الايمان
والنبوة — ... كبير — رحمه النصير

وقال الحلبي كعب اقسم الله بنصرته للمؤمنين قال تع وكان حقا علينا
نصر المؤمنين وقال جعفر الصادق هو نهر في الجنة ... بالانعام

جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبر
العامل فيها معنى النفي كانه قيل انت برئ من الجنون ملتبسا بنعمة
الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن التبليغ مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم والايذان
بانه تع يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها — تفسير

والمراد تنزيهه عم عما كانوا ينسبونه اليه من الجنون حسدا وعداوة
مع جزمهم بانه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
من حصافة العقل ورزانة الرأي — تفسير ابي السعود
... الايثار يوما بيغهم ... وعدوه ممن ...

وقال ابن عطية ... ما بين احد من اهل التأويل وفي الاتقان نقلا عن ... القرآن بانه ... لا يعلمون ومن تعبير
... سعدي حلبي — اقسم الله بالقرآن ... حيث انها اصول اللغة ومبادي كتب ... ومباني اسمائه الكريمة — ابو السعود
... الحبر ... ابن عباس ... اول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة — تفسير كبير
... المصحف ... سنة متبعة ... الوقف ... المناسبة
... الخليقة ... — سعدي حلبي — اجمع قراء السبعة ... السكون لاجراء
... ومن خفض ... انما يشبه الكلام بالقسم على ... الوصل مجرى ... — سعدي
... في رواية هشام عنه ابن ذكوان ... الادغام والاظهار

ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس
او البهموت وهو الذي عليه الارضون او الدواة فان بعض الحيوان
يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقش يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته
بصورة الحرف والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة
فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل
مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت
بها وفتحها ورش ... وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما
يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم
او على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الالة واجراؤه مجرى اولي العلم لاقامته
مقامهم او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك
بمجنون جواب للقسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة
وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء
لا يمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا
على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من
الناس فانه تع يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل
من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه
فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون

يونس عم بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه ما صبروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنى الموعد غامت السماء غيما
دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم فرهبوا فطلبوا يونس عم فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
و نساءهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والده وولدها فحن بعضهم الى بعض وعلت الاصوات بالعجيج واخلصوا التوبة
وا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ❊ تفسير بيضاوي في سوره يونس ❊
عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس جعلكم اربعون ليلة فقالوا
ان اسباب الهلاك اماتنا بك فلما مضت خمس وثلثون غامت السماء ❊ تفسير ابى السعود رحمه الودود ❊

مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترددوا المظالم حتى ان الحجر كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل
الى الشيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها
عنهم وعن فضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ❊
تفسير ابى السعود
ابتلع الحوت الذي ابتلع يونس حوت اخر ❊ ثم ذلك الحوت حوت اخر فكان في ظلمات بطون الحيتان الثلث قاله سالم بن ابى الجعد
تفسير ثعلبي ❊
لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد ابق فاقترعوا
القرعة عليه فقال انا العبد الابق فرمى بنفسه في الماء ❊ قاضي رحمه الله ❊ التقمه الحوت وقيل عرض لهم حيوان في البحر وكانت عادتهم اذا
نالهم البلاء واحد منهم فاقترعوا ❊ روح البيان رحمه الله
ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عم ويسبح ... سالم لم يتغير فاسلموا وصار يونس كبير الطفل حين يولد ابو
انتهوا الى البر فلفظه ❊ قاضي رحمه الله ❊

النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر فنادى
كلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لنفي بالكلية
ماجة وعن النبي عم ما من مكروب يدعوا بهذا الدعاء الا استجيب له ❊ تفسير بيضاوي في سورة الانبياء ❊
اختلفوا في مدة مكثه فقال مقاتل بن حيان ثلثة ايام وقال عطاء سبعة ايام وقال الضحاك عشرون يوما وقيل اربعة عشر يوما
وقال السهيلي اقام في بطنه اربعين يوما ❊ ونقل ان رجلا قال للشعبي مكث يونس عم في بطن الحوت اربعين يوما فقال الشعبي
ما مكث الا اقل من يوم التقمه ضحى فلما كان بعد صلوة العصر وقارب الشمس الغروب تثاوب الحوت فرأى يونس عم ضوء الشمس
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذه ❊ وروى البزار رحمه الله عن ابي هريرة رضه قال سمعت النبي عم
لما اراد الله حبس يونس عم في بطن الحوت اوحى الله تع الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه فاهوى به الى مسكنه
فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس عم حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا بارض غربة فقال الله تع ذلك
عبدي يونس في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا
له الى الله فامر الله تع الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تع فنبذناه بالعراء وهو سقيم ❊ حيوة الحيوان مجمع البلاغ
المنفرد
ابن عشيري ان سليمان عم سأل ربه ان يضيف يوما جميع الحيوانات فاذن له فاخذ في جمع الطعام مدة طويلة فارسل الله تع حوتا واحدا
فاكل كل ما جمع سليمان عم في تلك المدة الطويلة ثم استزاد فقال سليمان عم لم يبق عندي شيء ثم قال له وانت كل يوم مثل هذا تاكل فقال رزقي كل يوم
ثلاثة اضعاف هذا ولكن الله تع لم يطعمني اليوم الا ما اطعمتني انت فليتك لم تضفني فاني بقيت اليوم جائعا حيث كنت ضيفك ❊ حيوة الحيوان
في الحوت شرف انه كان وعاء ومسكنا لنبي الله عم وذلك انه خرجا وحي الله اليه ان لا تجعل له يونس رزقا وانما جعلت بطنك له سجنا ❊ ابن زاد وسحاع
استغفر
... اذا تسلط النفي على مقيد فالاصل ان يتوجه النفي الى القيد فقط ويفيد توجه الى المقيد مع قيده ولا يمكن اعتبار الاحتمالين الى الاية ان تحقق
... وما ان يتوجه النفي الى المقيد فقط مع بقاء القيد بحاله فلم يرض الكلام ... الا ان ... ضاحكا ... العالة ...
... المحكوم ... العالة ... سعدي

كأنها بلكم علما انه تعلق بعدم طاعتهم والقلب في ذلك او في غيرها من فيهم وصار انتهم بانها بالقهر فعاق ضميره عم ما يستقيد بها
لقصورهم لا عن طاعته بحقيقته كانه نهى عن قوله تع ودوا الاية فانه تعليل للنهي او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر
والتنفير اي احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور ❊ ابو السعود ❊ لما نهج عم للتصميم على معاصاة عامة المكذبين وللتشدد
في الفتهم وما قره معنى بالشاء عليها ما كان موضوعه عليه من عدم الطاعة هيجه على معاصاة مكذوب بخصوصهم ما بينهم وقيل لو
على حقيقته اي وجوبها ... كذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ❊ تفسير ابى السعود ❊
تغير بنا اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دين ابائه فزيادة الله تع ان يطيعهم ❊ تفسير كبير ❊
في تفسير تاسع في الاعلى فقال ودوا التدامن بان يرضهم فيدهنوا بعده ❊ سعدي ❊

بأيكم المفتون أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على
ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم الجنون
أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق
هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة
وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين
تهييج للتصميم على معاداتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن
الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن
والموافقة والفا للعطف اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا
ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ
او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف
فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل
مهين حقير الراي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مشاء بنميم
نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان
والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الاثام
عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما
عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من
اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني

وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم ولأقاربه من تبع دين محمد منكم لا انفعه بشيء ابدا فمنعهم من الخير الذي هو الاسلام تفسير كبير
قالوا ما اعلم ان الوليد بن المغيرة كان ذا بنين واحد وهو [illegible] سماه الله بعشرة اسماء صادقة فان كان من عمله ان يخزي الله الرسول
الله عليه السلام بعشرة كان من فضله ان ارسل عليه [illegible] صلى عليه عشرا [illegible] رحمة الله عليه

اعلم انه تعالى قال [illegible] ان كان ذا مال وبنين جحد وعصى وكفر وتمرد كان هذا استفهاما على سبيل الانكار [illegible] في هذه الآية انه تعالى
انما اعطاه المال والبنين على الابتلاء والامتحان وليصرفه الى طاعة الله وليواظب على شكر نعم الله فانه لم يفعل ذلك فانه تعالى يرفع عنه
تلك النعم ويسلط عليه انواع البلاء والآفات [illegible] بالخرطوم [illegible] الانف [illegible]
[illegible]

من مولع وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في بني زهرة
ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين قال
ذلك حينئذ لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره
لكن العامل مدلول قال لا نفسه لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله
ويجوز ان يكون علة للا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لأن كان ذا مال وقرأ
ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر أأن كان على الاستفهام غير
ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي الأن كان ذا مال كذب
او اتطيعه لأن كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي
عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد وان شرطه
للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لأنه اذا اطاع للغنى فكأنه
شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب
انفه يوم بدر جراحة بقي اثره وقيل هو عبارة عن
ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لأن السمة
على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة
انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا
كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي
الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته

[illegible]

الريح او بعده الى الطالع فتسقط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير
فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا
ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين
ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله
وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف
المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لأن معنى لا اخرج ان شاء الله
ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد ولا يستثنون حصة المساكين كما
كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك
مبتدأ منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق
فيه شيء فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار
بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لأن كلا منهما ينصرم من صاحبه
او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اي اخرجوا او
[illegible] اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال
او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو والتضمين معنى الاستيلاء ان كنتم
صارمين قاصدين الصرم فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما
بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد

بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك
ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت
السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى
انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا
على النكد او غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض
كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من
امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم
على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها قالوا انا لضالون
طريق جنتنا وما هي بها بل نحن بعد ما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن
محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا
الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد
قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا
ظالمين او لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم
او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم
من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين

حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف
بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف
انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة
او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلونا به
اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه
لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند
ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا
التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم
كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا
بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون
التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال
فكر واعوجاج راي ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان
لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح
لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية
للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم
ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد
وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيامة

متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا تخرج عن عهدتها
حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون
جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم
بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول
فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل
من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن
ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض
تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل
المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى ان يكون
التسوية من الله تعالى نفى بهذا ان يكون مما يشركونه الله به يوم يكشف
عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك
واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت
به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن
اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر
وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ بالتاء على البناء للفاعل
والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود
ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت

وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله عز وجل اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة. مشكوة المصابيح. وعن محمد بن خالد السلمي عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده او في ماله او في ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله. مشكوة المصابيح. قال عليه السلام اذا رايت الله يعطي العبد من الدنيا على معصيته فاعلم انه استدراج وتلا الآية. مدارك. تذكر ما نقل عن عمر بن عبد العزيز ... بارقة فقال الاخر ... فامرت بسوء ... ليخطادوه ويطعموه ١٢

النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم
سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه فذرني
ومن يكذب بهذا الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم
سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة
من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا
لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء و
انما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته ام تسألهم اجرا
على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون
عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون
ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير
نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس اذ نادى في بطن الحوت
وهو مكظوم مملو غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه
نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل
وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه
لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم
مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو محل اعتماد الجواب لانها

قيل كانت العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلثة ايام فلا يمر به شي فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله عم مثل ذلك لم ار كاليوم مثله رجلا فعصمه الله منه ذلك وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث يومين او ثلثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل والغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قريبا حتى يسقط فيها طائفة وكان يمر بعض الغنم ... الناقة السمينة والبقرة السمينة ثم يتبعها ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتينا بلحم هذه فما يبرح حتى تقع بالموت فتنحر فالتمس جماعة ان يعينوا رسول الله ويصيبوه بالعين فحفظه الله فقالوا ما رأينا مثل حججه فعصمه الله وانزل هذه الاية نهاية البيان • المجنون والاثر يعني انهم جننوه لاجل القرآن وما القرآن الا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله ولما سمعوا ذكره عليه السلام وما هو الا ذكر وشرف للعالمين فكيف ينسب الى الجنون

النقمة ونبذه فاجتباه ربه بان رد اليه الوحي او استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والاية نزلت حين هم النبي عم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين النبي عم فنزلت وفي الحديث الصحيح ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وقرا نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا عن رسول الله عم انه قال من قرا سورة ن اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

وعن ابراهيم الخواص قال كنت في جبل لكام فرايت رمانا فاشتهيته واخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضا فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى عليه شي فقلت ارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا نهاية البيان

سورة الحاقة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي احدى او اثنتان وخمسون

الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهو مبتدا خبره ما الحاقة واصله ما هي اي اي شي هي على التعظيم لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واي شي اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتدا وادريك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت او البرد من الصر والصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات

قوله تعالى سبع ليال الى ان قال الى صلوات الله فتلك فيها انثلث تبينا الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومتاصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوما حاسمات اما تشبيها لها بالحسم الذى هو تتابع الفعل على ما اعطى في اللغة القطع والاستيصال سعدى زاده قوله ويجوز ان يكون مصدرا عطف على قوله جمع حاسم اى ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الحسم على وزن الشكور والكفور منصوب على انه مفعول له اى سخرها عليهم ليستأصلهم وعلى انه مصدر مؤكد لفعله المقدر اى تحسمهم حسوما وقطعا مستأصلا استيصالا ويكون الجملة في محل النصب على الحال من الضمير المنصوب في سخرها ويؤيده القراءة بفتح الحاء فان حسوما في هذه القراءة حال بمعنى سخرها عليهم قاطعة متاصلة سعدى زاده قوله تعالى كانهم اعجاز نخل الاية الكافة كانهم في موضع الحال ايضا اما من القوم على قول من يجوز حالين من ذى حال واحد او من الضمير في صرعى

فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام
حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او
نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز
ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر
حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز
من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز
الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن
فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرها فيها في مهابها او في الليالى
والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية
متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء
وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله
اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى
قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات
الخطاء فعصوا رسول ربهم اى فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة
رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز
حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو من قبيل حملناكم
اى آباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح عليه السلام لنجعلها لكم

لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة
على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها والوعى
ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب
حفظها بتذكيره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة
على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة
نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة
لما بالغ في تهويل القيمة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها
على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده
وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار
والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم وحملت
الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط
زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها
ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة
فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب التسوية ولذلك
قيل ناقة دكاء للتى لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ
فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة
فهى يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك

على أرجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب
البنيان وانضواء أهلها إلى أطرافها وحواليها وإن كان على ظاهره فلعل
هلاك الملائكة أثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم
على الأرجاء أو فوق الثمانية لأنها في نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية أملاك
لما روي مرفوعا أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة
أخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله ولعله أيضا
تمثيل لعظمته بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء
العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان
العسكر ليعرف أحوالهم وهذا وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم
اسما لزمان متسع تقع فيه النفخات والصعقة والنشور والحساب وإدخال
أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة
على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وإنما المراد منه إفشاء الحال و
المبالغة في العدل أو على الناس كما قال الله يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة
والكسائي بالياء للفصل فأما من أوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول
تبجحا هاؤم اقرؤوا كتابيه هاء اسم لخذ وفيه لغات أجودها هاء يا رجل
وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان أو امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة
ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤوا لأنه أقرب العاملين ولأنه
لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤوه إذ الأولى إضمارها حيث أمكن والهاء



فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في
الدرج واستحب الوقف لثباتها في الإمام ولذلك قرئ بإثباتها في الوصل
إني ظننت أني ملاق حسابيه أي علمت ولعله عبر عنه بالظن إشعارا بأنه
لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها
العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة
أو جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة
مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لأنها في السماء أو
الدرجات أو الأبنية والأشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى
بسرعة والقطف بالكسر المصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا
بإضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا أكلا وشربا هنيئا أو هنئتم
هنيئا بما أسلفتم بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية الماضية
من أيام الدنيا وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء
العاقبة يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي
متها كانت القاضية القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها أو يا ليت هذه
الحالة كانت الموتة التي قضيت علي فإنه صادفها أمر من الموت فتمناه
عندها أو ليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حيا ما أغنى عني
ماليه مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف أو استفهام إنكار مفعول



لا اغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج
بها في الدنيا خذوه يقوله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه
الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها
مرهقا لا يقدر على الحركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص
والاهتمام بذكر انواع ما يعذبون به وثم لتفاوت ما بينها في الشدة انه
كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر
العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض
على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز
ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك
الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر
لان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم
ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم
فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل
اذا تعمد الذنب لا من الخطا المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة
ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق
بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف

بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول
الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القران لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان
الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر
كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا
لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرا
قليلا ولذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر
مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكره الا معاند
بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القران
المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما
تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل
سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها
جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه
الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك
بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده
وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين
دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة
للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم

على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين وانه
لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر
اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك
عن النبي عليه السلام من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة سأل بسم الله الرحمن الرحيم مكية وآيها اربع واربعون

سأل سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي
الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق
من عندك او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله
استهزاء او الرسول استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو
اما من السؤال على لغة قريش قال حسان سالت هذيل رسول الله فاحشة
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل
على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى سال وادي بعذاب ومضي الفعل
لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل يوم بدر او في الاخرة وهو عذاب
النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال
كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سأل معنى
اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج
ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او

قوله وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه الفرق بين هذا الوجه وبين الوجه الاول ان هذا الوجه ليس على طريق التمثيل والتخييل
فان في هذا الوجه العروج والسير واليوم محمول على حقيقته وان المراد بيان سرعة عروج الملائكة والروح اليه والمعنى ان الملائكة والروح يعرجون
الى العرش على تقدير مسافة مقدار يوم واحد من ايام الدنيا مع ان مسافة ذلك اليوم بالنسبة الى زمان سير الانسان مقدار خمسين
الف سنة من سني الدنيا فعلى هذا يكون الضمير في مقداره راجعا الى اليوم الذي هو المراد بتعين المسافة وعلى هذه الوجوه الاستخدام
هو الذي كون علم البديع ولو جعل التأويل راجع الضمير يلزم ان يكون مقدار اليوم عروج الملائكة والروح مساويا لمقدار زمان
سير الانسان في الطول لو فرض ابن محمد عليه رحمة الحميد قوله او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة يعني
تعلقه بسال انما يصح اذا جعل من السيلان واليوم يوم القيمة لانه اذا جعل من السؤال وكان المراد من اليوم يوم الدنيا

فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات
فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها
على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان
في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج
الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف
سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان
ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة
لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة
خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش
كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم
من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او سال
اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته
على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة
كذلك والروح جبريل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة
فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال او اضطراب قلب وهو متعلق
بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يضجر او

او يوم الاخرة او جعل من السيلان واليوم
يوم الدنيا لا يجوز تعلقه به اذ يصير
المعنى على الاول وقع السؤال يوم وليس
كذلك او وقع يوم الدنيا مقداره الف سنة
وليس كذلك وعلى الثاني وقع سيلان
في يوم من ايام الدنيا كان مقداره خمسين
الف سنة وليس كذلك لان المراد باليوم
يوم بدر وليس مقداره خمسين الف
سنة وكذا اذا تعلق بواقع يجب ان يكون
المراد باليوم يوم الاخرة اذ لو كان المراد
يوم الدنيا يكون المعنى واقع في يوم من
ايام الدنيا مقداره ذلك وليس كذلك
ابن محمد رحمه الحميد

تضجر واستبطاء للنصر او من سائل لان المعنى قرب وقوع العذاب
فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة
بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء
كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن ذلك يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع
او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي
الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال
مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش
اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله
وقرأ ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل
منه حاله يبصرونهم استئناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال
هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه
وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من
عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين
او استئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي
باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ
بتنوين عذاب وبنصب يومئذ بلانه بمعنى تعذيب وفصيلته عشيرته
التي فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض

جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه
الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان
الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل
او للقصة ولظى مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل
علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم
نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المتنقلة على ان لظى
بمعنى متلظية والشوى الاطراف وجمع شواة وهي جلدة الراس
تدعو تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب او تدعو
مجازا عن احضارها لهم وقيل تدعو زبانيتها وقيل
تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى
عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا
وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه
الشر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير منوعا يبالغ في الامساك
والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل
الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين
استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على
الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة

قوله والصدقات الموظفة وصفا للصدقة المتطوع بها بالمواظبة بيانا للجهة معلوميتها او معلومية الزكوة ظاهرة لان الشرع
عين بها معلوما واما معلومية نفل الصدقة فانما تكون اذا كانت موظفة فان تعلقت هذه الصفة بحق

على استغراقهم في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف

من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من

الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلوتهم دائمون

لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوة والصدقات

الموظفة للسائل للذي يسأل والمحروم والذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم

والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب

نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين

والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم

غير مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذاب الله وان

بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما

ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم

العادون سبق تفسيره في سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم

راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرأ ابن كثير

يعني لا يخفون ولا ينكرون ولا يغفلون ما علموه من حقوق الله وحقوق

العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم

على صلوتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها

وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها

قوله اولئك في جنات اشارة الى ان هؤلاء اما المعلومات لديهم في الفضل او في الذكر باعتبار مبدا الاوصاف المذكورة وعن اليمين متعلق
بعزين لانه بمعنى متفرقين او بمهطعين او مسرعين ... شهاب رحمه الوهاب

وان فاتتها على غيرها وفي نظم هذه الصلوة مبالغات لا تخفى اولئك في جنات

مكرمون بثواب الله فما للذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين

عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من

العزو فكأن كل فرقة تعتزي الى غير من يعتزي اليه الاخرى كان المشركون

يحلقون حول رسول الله عليه السلام حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه

ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم

ما يقولون لنكونن فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع عن هذا الطمع

انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انهم مخلوقون من نطفة قذرة

لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق

الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل

النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ منازل الكاملين او الاستدلال

بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا

مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب

انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او

نعطي محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين

ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون

يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع

اي دعاهم فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسنا الفرار

للدعا مع انه على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم الى

الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في اذانهم سدوا مسامعهم

عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر

الى من فرطكراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب

للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على

العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما

ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم

مرة بعد اخرى وكرة بعد الاولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه

فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد والتراخي

بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدرية لانه احد نوعي الدعاء

او صفة مصدر محذوف اي دعاء جهارا اي مجاهرا به والحال فيكون بمعنى

مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين

وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا

على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم

ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما

طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم

قوله انا ارسلنا نوحا هو علم اعجمي وصرف لعدم زيادته على الثلاثة مع سكون وسطه قال الكرماني معناه بالسريانية الساكن وهو اول

الانبياء عمرا بل اول من شرعت له الشرائع وسنت السنن وهو اول رسول انذر على الشرك واهلكت امته وانذار الخبر بما

فيه تخويف ضد البشارة قوله على الكلام اللام فيه للتقوية او للتعليل اي لاجل نفعكم من غير ان اسالكم عليه اجرا قوله هو اقصى ما

قدر لكم او بعض انه اجل معلق بالايمان بان يكتب في اللوح المحفوظ انهم ان امنوا يمتعون في الامة كذا وان لم يسلموا اهلكوا

قبله وقد علم انه من يؤمن فيمتد عمره ومن لم يؤمن فيهلكه وما علمه لا يتغير وهو قولك ان الاجل الذي قدره قوله وقيل الاجل الاجل

الاطول وهذا ما ارتضاه الزمخشري ولم يقبله المصنف هنا لما رواه الاول انه قال ولو يؤخركم فدل ان الاجل قد يؤخر ثم قال

بعده ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر فدل على خلافه وبينهما تناقض بحسب الظاهر ودفع بان الاجل اجلان قريب متغير وبعيد

وهو الاجل المسمى والمحكوم عليه بالتاخير على تقدير العبادة هو الاول والمحكوم عليه بامتناع التاخير هو الثاني لان اجل

الله هو المعهود المذكور هو الاجل

فلانه قيل الثاني في قوله ان اجل الله

او جملة مستانفة للتعليل والكلام

في المعلل حقيقة المصنف هو تعليل لا تنفع

الا الاجل المسمى على العبادة فان الاجل

الذي قدره الله لا يؤخر فاما لم يعبدوه

لم يتجاوز الاجل الاقصى الا الاقصى وعند

الزمخشري هو تعليل لما فهم من تقييد التاخير

بالاجل المسمى من عدم تجاوز التاخير

عنه وجعل الاول بيانا انسب بمقام الوعيد

وتوضيح ان الذي يؤخر عنه والذي لا يؤخر

هو الاجل المسمى تعين لان التاخير منه

على تقدير انتفاء شرطه وعدم التاخير

على تقدير تحققه فلا حاجة الى الحمل ان

اجل الله على الاطول على ان يكون اظهارا

في موضع الاضمار كما ذهب الزمخشري

على ان هذه الجملة تعليل لما فهم من تغيية

بعضها بغاية التاخير الموعود بالاجل المسمى

هو انهم لا يجاوزونه بل لا بد من الموت

بعد الحياة ثم الموت بعدا رض لعدم

كانهم لانتصب للعبادة او علم يوم تشوبه بشرعونه وقراءة ابن عامر و

حفص بضم النون والصاد والباقون بفتح النون وسكون الصاد وقرئ

نصب بالضم على انه تخفيف نصب جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة

من تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ

سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية بسم الله الرحمن الرحيم واياتها سبع وعشرون

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا

له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغير ان

على ارادة القول قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان

قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون ان يشرعه

نظيره في ان يحتمل الوجهين يغفر لكم من ذنوبكم بعض

ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الاخرة ويؤخركم

الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله

ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء

الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتاخير لو كنتم تعلمون

لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب

الحيوة كانهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا

اي علمنا الا انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا آخر ... [illegible]

ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله
يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات
ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء
تحتمل المظلة والسحاب ومدرارا كثير الدرور ويستوي في هذا البناء
المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا
لا تأملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه
اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له
عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى
الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم
مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما
ولحوما ثم انشأهم خلقا اخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة
اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع
ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء
الدنيا وانما نسبه اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا
مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما
حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم منها فاستعير الانبات

للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم
نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم
اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة
كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها
لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ
قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله
وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم
بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الاخرة وفيه انهم انما اتبعوهم
لوجاهة حصلت لهم باموالهم واولادهم فادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والكسر على انه لغة كالحزن او
جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمع للمعنى مكرا
كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم
في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن
هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح
فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت
الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد

ونسرا وقرا نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب
وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا
من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب
هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع
والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل
خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرا ابو عمرو مما خطاياهم
اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة
والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب
كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار
للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا
تعريض لهم باتخاذ الهة من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال
نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل
في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل
باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف
سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي
لمك بن متوشلخ وشمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي

منزلي

منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة
ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة نوح عليه السلام كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح
عليه السلام سورة الجن مكية وايها ثمان وعشرون بسم الله الرحمن
الرحيم قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة
لضمتها ووحي على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين
الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية
وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها
وفيه دلالة على انه عليه السلام ما راهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق
حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله رسوله فقالوا
انا سمعنا قرانا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة
معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب
فامنا به بالقران ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة
على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قراه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه
من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان
المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر
الا في قوله وانه لما قام على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر

سورة الجن

بالفتح على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه
قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان
في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت و
المعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه
او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا على
التمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم
على خطاء ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان
يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط و
هو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة
الصاحبة والولد وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله و
كذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا
مكذوبا فيه ومن قرأ ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول
لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
كان الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء
قومه فزادوهم فزاد والجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا
او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق

في الاصل

في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن
او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من
الله تع ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد
مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها
واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه
واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم
شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب
وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد
خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع
صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا
اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي
شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في
الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام
اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا
دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهو المقتصدون
كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال
او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع

وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها
ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا
امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القران امنا به
فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على
تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء
ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما
لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم
فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى الجن والانس
او كلاهما الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد
بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان لو استقام
الجن او الانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة
المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر
لانه اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه
لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم
القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين
لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانهم ومن يعرض عن ذكر ربه

عن عبادة

عن عبادته او موعظته او وحيه نسلكه ندخله وقرئ غير الكوفيين
بالنون عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف
به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا
فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء
وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي مسجدا وقيل المسجد
الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود
لغير الله او ارابه السبعة او السجدات على انها جمع مسجد وانه لما
قام عبد الله يعني النبي عم وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع
موقع نفسه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه
يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم
عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن
يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه
على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي
لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قل انما ادعو
ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم
او اطباقكم على مقتي وقرئ ابن عامر وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق
ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا عبر

عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعاراً
بالمغايرة قل اني لن يجيرني من الله احد ان ارادني بسوء ولن اجد من
دونه ملتحداً منحرفاً او ملتجأ الا بلاغاً من الله استثناء من قوله لا
املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي
الاستطاعة او من ملتحداً او معناه ان لا ابلغ بلاغاً وما قبله دليل
الجواب ورسالاته عطف على بلاغاً ومن الله صفته فان صلته عن
كقوله عليه السلام بلغوا عني ولو اية ومن يعص الله ورسوله في
الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم فانّ على فجزاؤه انّ
خالدين فيها ابداً جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا
كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبداً بالمعنى
الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيا
نهم له فسيعلمون من اضعف ناصراً واقل عدداً هو او هم قل ان
ادري ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امداً غاية
تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون
قالوا متى يكون انكاراً فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري
وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه
احداً اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون

له معجزة

له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات و
جوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط و
كرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقياً من الملائكة كاطلاعنا
على احوال الاخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين
يدي المرتضى ومن خلفه رصداً حرساً من الملائكة يحرسونه من
اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي
الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم
الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجوداً رسالات
ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل
واحصى كل شيء عدداً حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمداً
وكذب به عتق رقبة سورة المزمل مكية وايها تسع عشرة او
عشرون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من
تزمل بثيابه اذا تلفف فادغم التاء في الزاء وقد قرئ به وبالمزمل
مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي
به النبي صلى الله عليه وسلم تهجيناً لما كان عليه لانه كان نائماً
او مرتعداً مما دهشه بدء الوحي متزملاً في قطيفة او تحسيناً له

اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل او
تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من
تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم
الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف
الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء من
الليل ونصفه بدل من الليل قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير
بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث
او نصفه بدل من قليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه
للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع
والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على
البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد
الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد
عليه ورتل القرآن ترتيلا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث
يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف
الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه السلام
ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل التكليف

عليه

عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس
او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره
الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار
والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل
عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد
عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة لمصدر والجملة على هذه الاوجه
للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله ان ناشئة
الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه
اذا نهض نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات
القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل
اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او سا
عاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة او
ثبات قدم او مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة
فيما يراد من الخضوع والاخلاص وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء لما خ
واقوم قيلا واشد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو
الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهماتك و
اشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا

وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو
نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا
وذكر الله يتناول كلما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة
وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع بالعبادة
وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع
موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدأ خبره
لا اله الا هو وقرء ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر
على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو
فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضى
ان توكل اليه الامور فاصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم
هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل امورهم
الى الله كما قال وذرنى والمكذبين دعنى واياهم وكل الى امرهم
فان لى غنية عنك فى مجازاتهم اولى النعمة ارباب التنعم يريد صناديد
قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا ثقيلا
للاوس والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما
ينشب فى الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من
العذاب مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع

مما يشترك

ما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة فى
الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات
محرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان من ان
تجلى انوار القدس فهو العذاب بالحرمان عن لقاء الله يوم ترجف الارض
والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما فى لدينا من معنى الفعل وكانت
الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته
مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة
شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا
الى فرعون رسولا يعنى موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى
فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم
طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون انفسكم
ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله
وهذا على الفرض او التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب
ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير
على تأويل السقف او اضمار شئ به بشدة ذلك اليوم على عظمها و
احكامها فضلا عن غيرها والباء للالة كان وعده مفعولا الضمير
لله تع او اليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه اى الآيات الموعدة

تذكرة عظة فمن شاء ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا اى يتقرب اليه
بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه
وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرء
ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة
من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل
والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله تع فان تقديم اسمه
مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن
تحصوه ان لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات
فتاب عليكم بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا
ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة
بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير
المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ به هذا بالصلوة الخمس
او فاقرؤا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى
استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك
كرر الحكم مرتبا عليه وقال واخرون يضربون فى الارض يبتغون
من فضل الله والضرب فى الارض ابتغاء للفضل بالمسافرة للتجارة
وتحصيل العلم واخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه

واقيموا

واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله
قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير او باداء الزكوة
على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من
الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى
مفعولى تجدوا وهو تأكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك
يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا
الله فى مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور
رحيم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله
عنه العسر فى الدنيا والاخرة سورة المدثر آيها ست وخمسون
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار روى
انه عليه السلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى
فلم ار شيئا فنظرت فوقى فاذا هو قاعد على العرش بين السماء و
الارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت بابه قطع فرجعت الى خديجة
فقلت دثرونى فنزل جبريل يا ايها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة
نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه متفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت
وقيل المدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المتحلى كانه

فانه

بجراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثَّر اي الذي دثّر
هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم و
جد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه وانذر عشيرتك
الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك
فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا
روي انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه
الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده
لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن من شيء فكبر ربك او الدلالة
على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه
فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه
والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير
واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن
النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من
رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة و
الافعال الدنية فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره
باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما
يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب

بالثبات

بالثبات على هجره لما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ
يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذِّكر ولا تمنن تستكثر
ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في
عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر
يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او ولا تمنن بعبادتك
على الله مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم
او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف والابدال من تمنن
على انه من منّ بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان
وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها
كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر فا
ستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر
نفخ في الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع
الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على اذيهم
فبين ايديهم يوم صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك
عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم
عسير على الكافرين لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة
الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف

لجزع اذا النقيض فذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير تاكيد
يمنع ان يكون عسيرا من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين
ذرني ومن خلقت وحيدا نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من
الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته
وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي من خلقته
وحيدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به
تهكما او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان
زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان
له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة
يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته في
لا يحتاج الى ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية
لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال
فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا و
بسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد
اي باستحقاقه الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو
استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب
ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان

لاياتنا

لاياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل
الاستئناف بمعاندة ايات المنعم المناسبة لازالة النعم المانعة عن
الزيادة قيل ما زال بعد نزول الاية في نقصان ماله حتى هلك ساُرهقه
صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من
الشدائد وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه
سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد
او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القران وقدر في نفسه
ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه
اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي
بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك
وروي انه مر بالنبي عليه السلام وهو يقرا حم السجدة فاتى قومه
وقال لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان
له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق و
انه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل
انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال
تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل
رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا فقالوا

ما هو الا سحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه
ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة
ثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر
اى في امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه
طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقطب وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر
عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة
على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر
ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذا لم يعطف عليها
سأصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادريك ما سقر تفخيم
لشانها وقوله لا تبقى ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل
فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه
لواحة للبشر مسودة لاعالى الجلد او لايحة للناس وقرئت بالنصب
على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون
امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر
والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشر والطبيعية السبع او ان
جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب

بتركه

بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها وعلى كل
نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة المؤمنين الامة يعذبون
فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات
اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوات فتبقى تسعة عشر
قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاه الزبانية وقرئ تسعة
اعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة كل منها عشير جمع يعني نقيبهم
او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا
جنس المعذبين ولا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق
بأسا واشدهم غضبا لله روى ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة
عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذي
اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه
لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم
ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل
بالقول لحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اى ليكتسبوا
اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا
ذلك موافقا لكتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق

اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اى في ذلك
وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما
عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون
اخبارا بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون
في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب
استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب كذلك
يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال
والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع
خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات و
الاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها
بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر وعدة
الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها
او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اى ادبر كقبل بمعنى
اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضي والصبح
اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر اى لاحدى البلايا الكبر
الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها
بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت

على قواصع

على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد
نذيرا للبشر تمييز لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة
اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر المحذوف لمن شاء منكم
ان يتقدم او يتأخر بدل من للبشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير
والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله
مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين
الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل
هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهو حال من اصحاب
اليمين او من ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين اى يسأل بعضهم
بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه
وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين
والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة الواجبة ولم نك
نطعم المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين
فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله
مكذبين بالقيمة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم

شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة
معرضين اي معرضين عن التذكير يعني القرآن او ما يعمه ومعرضين
حال كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم في اعراضهم و
نفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد فعولة
من القسر وهو القهر وقرا ابن عامر ونافع بفتح الفا بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرا وذلك انهم قالوا
للنبي لن نتبعك حتى تأتي كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان
اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون الآخرة فلذلك
اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع اعطاء الصحف كلا انه تذكرة فمن شاء ردع عن
ذكره فمن شاء ان يذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيئتهم
كقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة
الله وقرا نافع تذكرون بالتاء وقرئ بها مشددا هو اهل التقوى
حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر لعباده سيما المتقين
منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر
حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة سورة القيمة مكية وآيها
تسع وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية
على فعل القسم للتأكيد شايع في كلامهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة عامري

سورة القيمة

لا يدعي

لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا
اقسم بالنفس اللوامة المتقية التي تلوم النفس المقصرة في التقوى يوم
القيمة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة
او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي انه عم
ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها يوم القيمة ان عملت
خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت او نفس
آدم فانها لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة
لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل
اليه لان منهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سال
رسول الله عن امر القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم
اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها
وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي
بنانه نجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض مع صغرها ولطافتها
فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها
وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون
بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما او ان يكون
ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم او عن الاستفهام ليفجر امامه

ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسأل ايان يوم القيمة متى
يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل
اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرء نافع بالفتح وهو لغة او من البريق
بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرء بلق من بلق الباب اى انفتح وخسف
القمر وذهب ضوءه وقرء على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر
فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار
للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب
ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب او بوصوله
الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل
لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اى الفرار
يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرء بالكسر وهو المكان كلا
ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من
الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد
او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء
الجنة ومن يشاء النار ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم
من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله او بما
اخر من حسنة وسيئة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به

او بما اخر

وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة
حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز
او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل
ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير
قياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر
لا تحرك يا محمد به بالقرآن لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتأخذه
على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه فى صدرك وقرآنه
واثبات قراءته فى لسانك وهو تعليل للنهى فاذا قرأناه بلسان جبرئيل
عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك ثم ان
علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير
البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة
لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف
بها فى غيره او بذكر ما اتفق فى اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب
مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة
قراءته خوفا فيقال لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد
جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار
والتأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول

عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون على
الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير
للمعنى ويؤيده قرأة بن كثير وبن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه
يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في
مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا
في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد
بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان
المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك
والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء
ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر
لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل
بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة
اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير
ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها
من يرقيه مما به من الرقية او قال الملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة
الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر

ان الذي

ان الذي نزل به فراق الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق والتوت
ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكهما او شدة فراق الدنيا بشدة خوف
الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق
ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاة ولا صلى ما فرض
عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب
وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط
فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر
فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي ولاك الله ما تكرهه
واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل
من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك
النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب
الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن
تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر
بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد
لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم
كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين
الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة

على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله أليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه من قرأ سورة القيمة شهدت
له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا به سورة الانسان مكية
وآيها احدى وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان
استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل كقوله
اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من
الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا
منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة
حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان
الجنس كقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم بين اولا خلقه
ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت
الشيء اذا خلطته لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما
مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل
جزء منها مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل
الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا
اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام

الخلقة

سورة الانسان

الخلقة نبتليه في موضع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او
ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا
بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب
من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب
عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب الدلائل وانزال الآيات
اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او للتقسيم اي
هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكرا بالاهتداء
والاخذ فيه وبعضهم كفورا بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه
بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل
كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان
لا يخلو عن كفران غالبا وانما المأخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكا
فرين سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها
يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع
وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي
وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد
يشربون من كأس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها
ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء

في الجنة تشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل فيها كيفيات الكافور
فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل
من كأس على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص
او بفعل يفسره ما بعده يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا بها
وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها
تفجيرا اي يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استئناف
ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه واجيب بذلك وهو ابلغ من
وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه
لله كان اوفى بما اوجب الله عليه ويخافون يوما كان شره شدائده
مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر
وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي
ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا
ويتيما واسيرا يعني اسراء الكفار فانه كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى
بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك
والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم
لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم
المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر عن عائشة رضي الله عنها

انها

انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا
فان ذكروا دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا
عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك
نحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه
الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس
كالذي يجمع بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها
مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم
وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم
وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات
وايثار الاموال جنة بستانا يأكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك
فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا
وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون اليهودي الخيبري ثلث اصوع من شعير
فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم
ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا
صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف

عليهم بالثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة
فقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك
حال من هم في جزيهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم
فيها هواء معتدل لا حار محمي ولا بارد موذي وقيل الزمهرير القمر
في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى ان هواء الجنة مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم
ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة
اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام
ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال
او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من
دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها
كيف شاؤا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب واباريق بلا
عروة كانت قواريرا قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء
الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون
قبل سلاسلا وابن كثير الاولى لانها راس الاية وقرئ قوارير
من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت

مقاديرها

مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم الصالحة
فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله
يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قُدِّروها اي جعلوا قادرين
لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلني
قادرا له ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل
في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى
سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال
شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء و
المراد به ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله
سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سال اليها
سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رايتهم
حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم
وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول ملفوظ
ولا مقدر لانه عام ومعناه ان بصرك اينما وقع رايت نعيما وملكا
كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة
الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو
ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس

الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب
الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم
او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ
نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر
حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا
على ثياب وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما حفص ونافع
بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح
على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا
اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور
من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف
باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا
وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير في
عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين
وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين
المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تع ووصفه بالطهورية
فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى
الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى
درجات

درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم
جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما عدد من ثوابهم وكان سعيكم
مشكورا مجازا عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
مفرقا بحسب الحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص
التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم
ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك
اليه ومن الغالي في الكفر الداعي لك اليه او للدلالة على انهما سيان
في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه
اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي
ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر محظورا فان مطاوعتهما فيما ليس
باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على
ذكره او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول
وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به
صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد
الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة
من الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم
او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ

للامر وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا
اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم
تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم تبديلا في الخلقة و
شدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن
يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى
السورة او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة
وما تشاؤون الا ان يشاء الله وما تشاؤون ذلك الا وقت ان يشاء الله
مشيئتهم وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو يشاؤون بالياء ان الله كان عليما بما
يستأهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته يدخل من يشاء
في رحمته بالهداية والتوفيق والطاعة والظالمين اعد لهم عذابا
اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل عذرا للمحقين او نذرا
للمبطلين اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع
على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى
كان جزاؤه على الله جنة وحريرا سورة المرسلات مكية وآيها خمسون
بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات سورة المرسلات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوائف من
الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح

في الامثال

في الامتثال ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس الموتى
بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى
الانبياء ذكرا او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه
وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى و
الحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما
بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن
ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته
والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث
لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن
ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسبب له
فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته
وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان
والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا
او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان
لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر و
نصبهما على الاول بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او
البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك

والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرءهما ابو عمرو وحمزة والكسائي
وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي
توعدونه من مجيء القيمة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت
او اذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب
ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عينت لها وقتها الذي يحضرون
فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت
ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرء ابو عمرو وقتت على الاصل لاي يوم
اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجميع وهو تعظيم لليوم
وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انها بمعنى اعلمت
ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم الفصل ومن
اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك وويل
في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة
على ثبات الهلاك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك
الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرء نهلك من هلكه بمعنى اهلكه
ثم نتبعهم الاخرين اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرء
بالجزم عطفا على نهلك فيكون الاخرين المتاخرين من الهالكين
كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل

نفعل

نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بايات الله وانبيائه
فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان
الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير
للتوكيد حسن شايع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة
قذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار
معلوم من الوقت الذي قدره الله للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك
او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد فنعم القادرون
نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل
الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع
لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت
وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا نصبا
على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض
الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو
الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحال فيكون المعنى بالاحياء
ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا
ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او الاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير
واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين

بامثال هذا التهكم انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من
امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم لقوله وظل من
يحموم ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق
ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس
الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة
الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في
يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه و
شعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا
يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر
كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار
وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقُصُر بمعنى القصور
كرهن ورهن وكالقَصَر جمع قَصَرة كحاجة وحوج وكالقِصَر وهي
اصل العنق والهاء للشعب كانه جمالة جمع جمال او جمالة جمع
جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود
فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا
في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة

والكسائي

والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة
وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده
والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي بما يستحق فان
النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في
بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا
يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون
على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه ولو جعله جوابا
لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن فاوهم ذلك ان لهم عذرا
لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم و
الاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم
على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين
اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم في
مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون
في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك
انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم
العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم
مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك

تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار
المتاع القليل على النعيم المقيم الجليل ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا
انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا اي
اطيعوا او اخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلوة اذ روي انه نزل
حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا
لا نجبي فانها سبة وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود
فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر
للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين
فباي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو
معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عم من
قرا سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين سورة النبأ
مكية وايها اربعون بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله
عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما
يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسال عنه والضمير
لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسالون الرسول
والمؤمنين عنه استهزاء به لقولهم يتداعونهم ويترائونهم
اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبأ العظيم بيان للشان

المفخم

المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه
قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه
او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه
ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني
اشد وابلغ من الاول وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او
الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير
يا محمد قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته
ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي
انها لكم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم
ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس و
الحركة استراحة القوى الحيوانية وازالة لكلالها او موتا لانه
احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع وجعلنا الليل
لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار
معاشا وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به او حيوة
تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات
اقويا محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا الليل لباسا سراجا وهاجا

متلألأ وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من
الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا
اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع
اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او
من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير
وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده
انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه
وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء
الهدي وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات
به وما يعتلف به من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها
ببعض جمع لف كجذع قال الجنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف
او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد
ان يوم الفصل كان في علم الله او في حكمه ميقاتا حدا تؤقت به الدنيا
وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل
او بيان ليوم الفصل فتأتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر
روي انه عم سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم
على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون

يسحبون

يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم بكم صم وبعضهم
يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من
افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم
وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من
الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة
بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربا
والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم
عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان و
التابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت
السماء وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت
من كثرة الشقوق كأن الكل ابواب او فصارت ذات ابواب وسيرت
الجبال اي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على
صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها
ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار
او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها
كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد
الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل

لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرء حمزة
وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيها ما يدل
على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون
الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون
احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم
فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن
في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا
غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب
ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب
العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين
وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم
حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل
الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليوافق رؤوس الآي وقرء
حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا
بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وفقا وقرء وفاقا
فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه

هذا

هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد
شايع في كلام الفصحاء وقرء بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله
فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة
على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين
كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا
مبالغين في الكذب مبالغة المبالغين فيه وهو على المعنيين يجوز ان يكون
حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرء كذابا وهو جمع كاذب
ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة المصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه
وكل شيء احصيناه وقرء بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه
فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر
او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله
فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي حديث هذه
الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع
فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من
مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن

اترابا لداتٍ وكأسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون
فيها لغوا ولا كذابا وقرء الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة
اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا
منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب
المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او
على حسب اعمالهم وقرء حسّابا اي محسبا كالدرّاك بمعنى المدرك
رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان
وابو عمرو على الابتداء الرحمن صفة له وفي قراءة ابن عامر وعاصم و
يعقوب بالجر على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه
خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض
عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون
عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير
وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق و
اقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة
لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون

وقرأ ... حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني ع

اولا

او لا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرائيل
او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء
اتخذ الى ربه مآبا الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا
قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان
مبداه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير
او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر
ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة
بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت
يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا ولم اخلق ولم اكلف او في
هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد
ترابا فيود الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرء سورة
عمّ سقاه الله برد الشراب يوم القيمة سورة النازعات مكية وآيها
خمس او ست واربعون بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا
والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من
ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان
او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين

برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها
سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح
الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها
وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات
او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها
اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات
النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك
حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط
الثور اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحون في الفلك فيسبق بعضها في
السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول
وتدبير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركتها من
المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمي
الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال
المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق
النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق
الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال
سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح

من مراتب

من مراتب الارتقا فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات
انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم
للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون
امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة
لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها
فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة و
انما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب
به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ
كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي
ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة
وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع
الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف
وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة
من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع
فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيته
فيها على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل

وقرئ بالحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي
حفرة أئذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما
نخرة بالية وقرأ الحجازيان والشامي وابن عامر وحفص وروح نخرة
وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها
والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء
منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فما
هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم
احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة
الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من
قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها
يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتاك حديث موسى اليس قد اتاك
حديثه فيسليك عن تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل
ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى
قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول
وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى
هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب
تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء

الواجبات

الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا
كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا فاراه الآية الكبرى اي فذهب
وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم
والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة
فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر
ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما رأى
الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيته فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى
في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم
فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه في
الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمة الآخرة وهي هذه
وكلمة الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما
او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك
لعبرة لمن يخشى لمن كان في شأنه الخشية أانتم اشد خلقا اصعب خلقا
ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع
سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب
في العلو رفيعا فسويها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما
به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره

اذا اصلحه واغطش ليلها منقول من غطش الليل اذا اظلم و
انما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء
شمسها كقوله والشمس وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك
دحيها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون
ومرعاها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن
العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها
وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف
على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت
الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي
اكبر الطامات وهي القيمة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها
اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى
بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول
المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت
الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت
ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان
بعيد او على انه خطاب للرسول اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا
جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر الانسان او ما بعده من التفصيل

فامامن

فاما من طغى حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد
للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هي المأوى هي مأواه
واللام فيه سادّ مسدّ الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو
الطاغي وهي فصل او مبتدأ واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي
ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه انه مرد
فان الجنة هي المأوى ليس له سواها مأوى يسئلونك عن الساعة
ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها
من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من
ذكريها في اي شيء من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت من ذكرها لهم
وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما
استأثره بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم فانت من ذكريها مستأنف
معناه انت ذكر من ذكريها اي علامة من اشراطها فان ارساله
خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم و
الجواب الى ربك منتهيها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها
انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت
وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذرٌ بالتنوين
والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا

في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اي عشية يوم او ضحاه
لقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما
في يوم واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات
كان ممن حبسه الله في القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة المكتوبة

سورة عبس

سورة عبس مكية وايها احدى واربعون بسم الله الرحمن الرحيم
عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلعم
وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله
علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض
عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول
اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ
عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف
المذهبين وقرئ آان بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى
فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام
الرسول بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة
الانكار كانه يقول تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك
لعله يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام

بما يلتقف

بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر
فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله
للكافر اي انك طمعت في تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك
اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب
جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه
واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصَدّى
اي تُعرض وتدعى الى التصدي وما عليك الا يزكى وليس عليك باس
في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن
اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير
وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى
لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى و
لعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني
وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه
وعن معاودة مثله انها تذكرة لمن شاء ذكره حفظه واتعظ به
والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتانيث الاول لتانيث خبره
في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف مكرمة
عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي

سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او
الوحي وسفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله او الامة جمع
سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة
اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين
يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره
دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو
مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اى شئ خلقه فهيأه

بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره صح

لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم
خلقته ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة
الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب
السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام
دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير
ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقب بقوله ثم
اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم
لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات
الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء
اشعار بان وقت النشور غير متعين في نفسه وانما هو موكول

الى مشيته

الى مشيته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره
لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امر الله باسره اذ لا يخلو
احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية
بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث
الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم
شققنا الارض شقا اى بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه
اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا
وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب
مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به
الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار
من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع
او اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤوب
للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام
وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اى النفخة وصفت بها مجازا
لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من
مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه

قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه
وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفار الصبح ضاحكة مستبشرة
لما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة
ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين
جمعوا الى الكفر الفجور ولذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة
قال عليه السلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه
ضاحك مستبشر سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة سورة التكوير
اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوءها
فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره او ألقيت عن فلكها من
طعنته فكورته اذا ألقيته مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع
الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب
الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر
او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه
الارض او في الجو واذا العشار النوق اللواتي اتى حملهن عشرة
اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحاب عطلت

عن المطر

عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب
او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة
بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او
ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجرت التنور
اذا ملأته بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح
بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها
بشكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس
الكافرين بالشياطين واذا الموءودة المدفونة حية وكانت العرب
تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت
باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى أأنت
قلت للناس وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وقتلت على الاخبار
عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال
فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت
بين اصحابها وقرأ ابن كثير وحمزة وابو عمرو والكسائي بالتشديد
للمبالغة في النشر او كثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت
قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت
واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا

شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص وورش بالتشديد وإذا
الجنة أزلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما أحضرت جواب إذا و
إنما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في
مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لأن المراد زمان
متسع شامل لها وللمجازاة النفوس على أعمالها ونفس في معنى
العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا أقسم بالخنس بالكواكب
الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ما سوى النيرين من الكواكب السيارات
ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس أي السيارات التي تختفي تحت
ضوء الشمس من كنس الوحشي إذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من
أغصان الشجر والليل إذا عسعس أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الأضداد
يقال عسعس وسعسع الليل إذا أدبر والصبح إذا تنفس إذا أضاء
غبرته عند إقبال روح ونسيم إنه إن القرآن لقول رسول كريم
يعني جبريل فإنه قاله عن الله ذي قوة كقوله شديد القوى عند
ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم أمين
على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله أو بما بعده وقرئ ثم تعظيما
للأمانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون
كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل حيث عد فضائل

جبريل [illegible] على محمد [illegible]

جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف
إذ المقصود منه نفي قولهم إنما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به
جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد رآه ولقد رأى
رسول الله جبريل بالأفق المبين بمطلع الشمس الأعلى وما هو وما
محمد على الغيب على ما يخبره من الوحي إليه وغيره من الغيوب بضنين
بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة
بالضاد بخيل من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم و
الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان
أو يساره والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وما هو
بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم
إنه لكهانة وسحر فأين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه من
أمر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب إن هو إلا ذكر
للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم أن يستقيم بتحري الحق وملازمة
الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن
الاستقامة من يشاؤها إلا أن يشاء الله إلا وقت أن يشاء الله
مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين
مالك الخلق كله قال عليه السلام من قرأ سورة التكوير أعاذه الله

ان يفضحه حين تنشر صحيفته سورة انفطرت مكية وآيها تسع عشرة

سورة انفطرت

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب
انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار
الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل
انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيرها بحثر لفظا ومعنى
علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركة و
يجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك
بربك الكريم اي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة
في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي
والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم صفة القهر والانتقام
به والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول افعل ما شئت
فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة
كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه
الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة
للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية
جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية
معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ

الكوفيون

الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى
اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة
سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة
شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة
عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع
عن الاغترار بكرم الله وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو
السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون
به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما
عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون
لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين
لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون
سمومها وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تعجيب
وتفخيم لشأن اليوم اي كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره
اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر
لمحذوف قال عليه السلام من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد

كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة سورة المطففين
مختلف فيها وآيها ست وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين سورة المطففين
التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اى حقير روى
ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث
خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما
حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما
أبدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال
يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اى اذا كالوا للناس
او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد
جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كانوا مكيلهم فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا
للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان
اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي
اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره الا يظن اولئك

انهم

انهم مبعوثون فان كل من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح
فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه
لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار
والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار
والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله
والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم
اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب
الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب
جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين
كتاب مرقوم اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه
لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه
مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم
المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف
ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين
صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد
متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه
فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث

شغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه
اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا
ينفعه شواهد النقل كما لا ينفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم
الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى
صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان
كثرة الاعمال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام
ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه
والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الرائن
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن
انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول
على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم
لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلونها ثم يقال هذا الذي كنتم به
تكذبون تقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار
كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر
او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون
كتاب مرقوم فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون يحضرونه

فيحفظونه

فيحفظونه او يشهدونه على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم
على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم
والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم ورونقه و
قرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق
شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه بالمسك مكان
الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة
المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك
يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه
من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة
شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربون صرفا لم يشتغلوا
بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال
من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا
يعني رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزؤن
بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا و
يشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين متلذذين
بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء
لضالون واذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا

عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون على اعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين
يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال
لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون
منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل
اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء
قال عليه السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق
المختوم يوم القيمة سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بالغمام لقوله تع ويوم تشقق
السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها
فاستمعت له اي انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد
المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة
بالانقياد والاستماع يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا
الارض مدت بسطت بان تزال جبالها وآكامها والقت ما فيها
ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت في الخلو اقصى
جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية
وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة

وجوابه محذوف

وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما في سورة
التكوير والانفطار او بدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح
الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اي
جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان
انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه
فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا
يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته او فريق من
المؤمنين او اهل الجنة من الحور واما من اوتي كتابه وراء ظهره
اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تغل يمناه الى عنقه
ويجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول
يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي
والكسائي ويصلّى لقوله وتصلية جحيم وقرئ ويُصلى لقوله ونصليه
جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه
فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله بلى ايجاب
لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل
يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب
بعد الغروب وعن ابي حنيفة انه البياض الذي يليها سمي به لرقته

من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب
وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لم يجدن
سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع
وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها
في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من
الشدة بعد المرتة هي الموت ومواطن القيمة واهوالها وهي
وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي لتركبن بالفتح على انه خطاب الانسان باعتبار اللفظ
او الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال
او مرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وقرئ
بالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا
او حال من الضمير بمعنى مجاوزا الطبق او مجاوزين له فما لهم لا
يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا
يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عليه السلام
قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق
فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود
فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال

والله

والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اي بالقرآن والله اعلم
بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم
بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير
ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي عليه الصلوة والسلام
من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره
سورة البروج وايها اثنان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور
لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت ومنازل القمر او
عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل
تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة
وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق و
ما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي
وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة
كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته
او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه

فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ
والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والجمع فانه
يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود وقيل انه جواب
القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل على جواب محذوف كانه
قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة
وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم و
الاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والا
خقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما
ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم
حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك
من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص
ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فسأله الملك عمن ابرأه
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده
بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا
ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه
فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني و
تأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم ترميني به

فرماه

فرماه فوقع في صدغه ومات فآمن الناس جميعا فامر باخاديد
اوقدت فيها النيران فلم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة
معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فا
قتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال
ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد اوقدت فيها
النار فطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي
من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل
الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها
واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض
عند الملك بانه لم يقصر فيما امره او يشهدون على ما يفعلون يوم
القيامة حين يشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا
منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله و
لا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه
بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك
بقوله الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد
للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات

بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم
عذاب الحريق العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين
فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت
عليهم فاحرقتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر
دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش اخذ
بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش
بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب الودود
المحب لمن اطاعه ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ
ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب
الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك
او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد
من افعاله وافعال غيره هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود
ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت
تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك و
حذرهم مثل ما اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه
ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم

ورأوا

ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم
محيط اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد
بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ
قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف
وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء
يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة
وعرفة يكون في الدنيا عشر حسنات سورة الطارق مكية وآيها
سورة الطارق
سبع عشر بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق والكوكب
البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي
ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب
المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد
الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم
فسره بما يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس لما عليها اي ان الشان كل
نفس لعليها حافظ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة
على الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس

عليها حافظ اتبعه بوصية الانسان بالنظر في مبدأه ليعلم صحة
اعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق
جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع
والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب و
الترائب بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو
صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع
الاعضاء حتى تستعد لان تتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها
عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك ان الدماغ
اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويسرع الافراط
في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب
وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك
خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة
رابعة وهي صالب انه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل
عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر
وما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له
فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه
والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تحرك عنه

وقيل

وقيل الرجع المطر سمي كما يسمى اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا
او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض
وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع
ما يتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون
انه ان القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل
فانه جد كله انهم يكيدون كيدا في ابطاله واطفاء نوره وأكيد
كيدا واقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث
لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا
تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير و
تغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات
سورة سبح مكية وآيها تسع عشر بسم الله الرحمن الرحيم سبح
اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة سورة الاعلى
واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه
التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزل فسبح باسم
ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل
سبح اسم ربك الاعلى قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم

وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم
لك سجدت الذي خلق فسوى الذي خلق كل شيء فسوى خلقه
بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر اي قدر
اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها
وافعالها واجالها فهدى فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا
بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات والذي
اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء
احوى يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى
من شدة خضرته سنقرئك فلا تنسى على لسان جبريل عم او سنجعلك
اي اصلا من قوة الحفظ مع انك امي ليكون ذلك اية اخرى لك
مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الايات
وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله
نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى
انه عليه السلام اسقط اية في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها
نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان رأسا فان القلة
تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن
او جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان

فيعلم

فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى و
نعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدين ونوفقك
لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك
وانه يعلم اعتراض فذكر بعدما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى
لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول
اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما
انت عليهم بجبار الاية او لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى
عليهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا امكن نفعه ولذلك
امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من
يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف
والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى
من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى
النار الكبرى نار جهنم فانه عليه الصلوة والسلام قال ناركم
هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل
منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من
تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء
او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه

فصلى لقوله اقم الصلوة لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة
الاحرام وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد
فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم
في الاخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل
فان السعي للدنيا اكثر في الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء والاخرة
خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له
ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع
امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابراهيم وموسى بدل
من الصحف الاولى قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه
الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى
وعيسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام سورة الغاشية
وهي ست وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث سورة الغاشية
الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة
او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة
ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها
في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها
ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى

نارا

نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه
الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر
تسقى من عين انية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع
يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة
نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين
طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل وتتعافاه لضره
وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام
احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها
راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل
او القدر لا تسمع تاء المخاطب او الوجوه وقرئ على بناء المفعول
بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية
لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر و
الحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم
فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب
وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد
جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي
وابسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون

انظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته
وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية
فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتاده
طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى
عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البوادي والمفاوز مع ما لها من
منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات المنبثة في الحيوانات
التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من
هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف
رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى
الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال
الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى
افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا
كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب
به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت
مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ
لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن هشام بالسين على الاصل
وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله

العذاب

العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة والاستثناء منقطع وقيل
متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم با
لجهاد في الدنيا وعذاب النار في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله
فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما
بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم
رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب
او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية
للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص
والمبالغة في الوعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا سورة الفجر
سورة الفجر
مكية وايها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والفجر
اقسم بالصبح او فلقه لقوله والصبح اذا تنفس او بصلاته وليال
عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او
عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر
بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والا
شياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا
زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك

او البروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او يومى النحر وعرفه
وقد روى مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول
ما راه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا فى الدين او مناسبة
لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرا حمزة والكسائى
والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضى
كقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الد
لالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى
المقام اى صلى فيه وحذف الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا وقد خصه
نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير و
يعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل
فى ذلك القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذى حجر يعتبره
ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى
كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم
عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك
بعاد يعنى اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا
باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على
تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل

سمى

سمى اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية
والتأنيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة
والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات
شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع
بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم
فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث
الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه
خرج فى طلب ابل له فوقع عليها التى لم يخلق مثلها فى البلاد صفة
اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود
الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال
بيوتا بالواد وادى القرى وفرعون ذى الاوتاد لكثرة جنوده ومضار
بهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا
فى البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب
او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك
سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما
سمى به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات
بعضها ببعض وقيل شبهه بالسوط ما احل بهم فى الدنيا اشعارا

بانه بالقياس الى ما اعد لهم فى الاخرة من العذاب كالسوط اذا قيس
الى السيفان ان ربك لبالمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال
من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب
فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه
لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعى لها فاما الانسان
فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنا و
اليسر فاكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربى اكرمن فضلنى بما
اعطانى وهو خبر المبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من
معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التأخير كانه قيل فاما
الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله و
اما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان
اذا ما ابتليه اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربى
اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة
الدارين والتوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك فى
حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع
ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما
قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال لا يكون اهانة

وقرأ

وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء فى الوصل والوقف
وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر
فقدّره بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين
بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم
لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين
فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون وتاكلون التراث
الميراث اصله وراث اكلا لما ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم
كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم ويأكلون
ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك ويحبون المال
حبا جما كثيرا مع حرص وشدة كلا ردع لهم عن ذلك وانكار
وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك
حتى صارت منخفضة الجبال والتلال وهباء منبثا وجاء ربك اى
ظهرت ايات قدرته واثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور
السلطان من اثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم
ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفى الحديث
يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون
الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما

يتذكر الانسان اي يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها
فيندم عليها وانى له الذكرى اي منفعة الذكرى لئلا يناقض
ما قبله واستدل به وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة
غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي لحياتي هذه او وقت
حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على
استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان
ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد
الهاء لله تع اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ
الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما
يعذبونه وقرأهما الكسائي و يعقوب على بناء المفعول يا ايتها
النفس المطمئنة على ارادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله
فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته
وتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث
لا يريبها شك او الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ
بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول
من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او
بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي

في جملة

في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة
المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة
او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي
التي اعدت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر
في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا
يوم القيمة سورة البلد مكية وايها عشرون بسم الله الرحمن
الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه — سورة البلد
بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول فيه اظهارا لمزيد فضله و
اشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه
كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد
ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف
على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم عليهما السلام وما ولد ذريته
او محمد والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله
اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد في تعب ومشقة
من كبد الرجل اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال
في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما
بعده وهو تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان يكابده

من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه
اكثر او يغتر بقوته كابي الاشد كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه
اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه او لكل احد
منهم او الانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول اي في
ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد
ما انفقه سمعة ومفاخرة ومعاداة للرسول ايحسب ان لم يره
احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله يراه
فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله الم نجعل
له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين
يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها
وهديناه النجدين طريقي الخير والشر او الثديين واصله المكان
المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة
وهو الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها
لما فسرها به من الفك والاطعام في قوله وما ادريك ما العقبة
فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة لما فيها من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن
وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك

رقبة

رقبة ولا اطعام يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة
مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر
وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعام على الابدال
من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك
لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين امنوا عطف
على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة
لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر
اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة
بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب
الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا
على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشئمة الشمال او
الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير
شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا
اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمز من
آصدته عن النبي صلعم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله
الامان من غضبه يوم القيامة سورة الشمس مكية وآيها خمسة
سورة والشمس
عشر بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها ضوءها

اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك
والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر
اذا تليها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها
ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جليها
جلى الشمس فانها تنجلي اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا
او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشيها
يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الافاق والارض ولما كانت وا
وات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها القائمة
مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات
والظروف بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في
قولك ضرب زيد عمروا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من
غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها و
انما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كما قيل والشيء كانه قيل
والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها
ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحيها
ونفس وما سويها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل
ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما سواها

الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في
قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس ادم والهام الفجور
والتقوى تفهيمهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما
قد افلح من زكيها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف
اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة
فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب
ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم
عظائم الائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو
منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال
النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذ
يبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب
من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى
دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها
او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا
بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم
والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث اشقيها اشقى ثمود و
هو قدار بن سالف او هو ومن مالاه على قتل الناقة فان افعل
اعانة

[illegible]

التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم
لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا
ناقة الله واحذروا عقرها وسقياها فلا تزودوها عنها
فكذبوه فيما حذرهم من حلول العذاب ان فعلوها فعقروها
فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير
قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسويها
فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير
او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقباها اي عاقبة الدمدمة او
عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء والواو للحال
وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق بكل شيء طلع عليه الشمس
والقمر سورة والليل مكية وايها احدى وعشرون بسم الله
الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما سورة والليل
يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين
بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي
الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحوى وقيل ما مصدرية
ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما

من اعطى

من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي
والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى
وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه
للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس
اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى
بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها
فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول
النار وما يغني عنه ماله او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل
من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى
للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا
طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة
والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية
للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى
تلهب لا يصلاها الا لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا
الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى
ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض عن
الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها.

فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك
دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم صليها فلا يخالف الحصر
السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى
فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة
تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى لا لمكافات نعمته ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي
يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين اشترى بلالا
في جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد تولّيهم
بالاشقى ابو جهل وامية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر
ويسر له اليسر سورة الضحى مكية وآيها احدى عشرة بسم الله
الرحمن الرحيم والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصها لان النهار سورة والضحى
يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار
ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا
سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه
وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار

ههنا

ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع
وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى
وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة
للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر
في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان
تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه و
قلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها
باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار
كانه لما بين انه تع لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا و
عد له ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير
من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف
يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس و
ظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه
واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولانت
سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون
المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة
وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم الله عليه

تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل و
يجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني والمصادفة
ويتيما حال ووجدك ضالا عن الحكم والاحكام فهدى فعلمك
بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق
حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت
بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك و
جدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة
واما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر
اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجره
واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد
بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد عم ان يشفع
وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل سورة
الم نشرح مكية وايها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح سورة الم نشرح
لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق
فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم و
ازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعدما كان يشق

عليك

عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل عليه السلام اتى
رسول الله صلعم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله
ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام
انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا
عنك وزرك عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على
النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل
عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته
او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز من ارشادهم او
اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك
ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي
الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر
المؤمنين بالصلوة عليه او خاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون
ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر
المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع
والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك
ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من المصاحبة المبالغة
في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين ان مع العسر

يسرا انكره للتأكيد او استيناف وعده بان العسر مشفوع
بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة
اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وعليه قوله صلى
الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد
سواء كان للعهد او للجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد يغاير
ما اريد بالاول فاذا فرغت عن التبليغ فانصب فاتعب فى العبادة
شكرا لما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعم الآتية
وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت من الصلوة
فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه
القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغّب اى رغّب الناس الى طلب
ثوابه عن النبى عليه السلام من قرأ الم نشرح لك فكانما جاءنى
وانا مغتم ففرج عنى سورة التين والزيتون مكية وآيها ثمان بسم
الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما من بين الثمار بالقسم سورة التين
لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم
ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين
ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن
وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة

وادام

وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا
دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة
او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعنى الجبل
الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع
الذى يكون الطور فيه وهذا البلد الامين اى الآمن من امن الرجل امانة
فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد
خلقنا الانسان يريد به الجنس فى احسن تقويم تعديل بان خص با
نتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر
سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار
او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع
او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر
له فما يكذبك فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين
بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب
للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا التكذيب
أليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذى فعل
ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك

كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلعم من قرا
سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا
مات اعطاه من الاجر بعدد من قرا هذه السورة سورة العلق
مكية وآيها تسع عشرة هي اول سورة نزلت وقيل الفاتحة بسم
الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك اي اقرا القرآن مفتتحا باسمه
او مستعينا الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد
ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة
والمقصودة من القراءة فقال خلق الانسان والذي خلق الانسان
فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق
جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة
الله تع نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته
اقرا تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلوة
ولعله لما قيل اقرا باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرا
وربك الاكرم الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض
ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذي علم
بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به
البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال

الآيات

سورة اقرا

الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ
امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس
المراتب الى اعلاها تقريرا للربوبية وتحقيقا للاكرمية واشار اولا الى
ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر
بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الا
نسان ليطغى ان رآه استغنى اي رأى نفسه واستغنى مفعوله
الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله
ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات
تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى
ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رأيت محمدا
ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك
فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ
العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية
المنهي ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت تكرير
للاول وكذا الذي في قوله ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم
بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط
محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم

له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن الصلوة ان كان
ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او امر بالتقوى فيما يأمر
به من عبادة الاوثان كما يعتقده وان كان على التكذيب للحق و
التولي عن الصواب كما تقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على
احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارأيت الذي ينهى عبدا
يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متولّ
فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى
كالحاكم الذي حضر له الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى
امره كانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى او دعاؤه الى
الله امر بالتقوى اتنهاه ولعل ذكر الامر بالتقوى في التعجب و
التوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلوة والامر
بها فاقتصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او لان نهي
العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها
محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع
للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن
ناصيته ولنسحبن بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة
وقرئ لنسفعن بنون المشددة ولاسفعن وكتبه في المصحف بالالف

على حكم الوقف

على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد
ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما
جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم و
وصفها بالكذب والخطاء وهما لصاحبها على الاسناد المجازي
للمبالغة فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي
ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلعم وهو
يصلي فقال الم انهك فاغلظ له فقال اتهددني وانا اكثر اهل
الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في
الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او
زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع
ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك
واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه
اذا سجد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي
من الاجر كانما قرأ المفصل كله سورة القدر مختلف فيها وآيها
خمس بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن
فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح
كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه

سورة القدر

بقوله وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر
وانزاله فيها بان ابتداء بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى
السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى
الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه
في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة
منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها
بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تع فيها يفرق كل امر
حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عليه السلام ذكر
اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المسلمون و
تقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي
تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت على
الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين
من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من
اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا
السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام
لكثرة ما يسلمون على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه او طلوعه
وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس

كالمشرق

كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر
اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر سورة لم يكن
سورة لم يكن مختلف فيها واياتها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات
الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا
عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى
تأتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول
باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من
البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة
صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف
كان كالتالي لها وقيل المراد جبرائيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل
لا يأتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات
مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا
عليه بان امن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار
على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من
قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على

شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك
اولى وما امروا اى فى كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة و
يقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوا وذلك دين
القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
فى نار جهنم خالدين فيها اى يوم القيمة او فى الحال بملابستهم
ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب اشترا
كهما فى نوعه ولعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر
البرية اى الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمزة على الاصل ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند
ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا فى مقابلة
ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات
وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود
بالتأبيد رضى الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم
ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اى المذكور من
الجزاء والرضوان لمن خشى ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث

على كل خير

على كل خير عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن
كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا سورة الزلزلة سورة الزلزلة
مختلف فيها وايها تسع بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت
الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او
الثانية او الممكن لها او اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم
للحركة وليس فى الابنية فعلال الا فى المضاعف واخرجت الارض
اثقالها ما فى جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع
البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل
المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث
اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجلها زلزالها و
اخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل
من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى
لها اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دل على
الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال
حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها فى ذلك تشفى
من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف
اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم

وقرئ بالفتح فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة
الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب
وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى
مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا
والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي صلى الله عليه وسلم
سورة والعاديات
من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كمن قرأ القرآن كله سورة والعاديات
مختلف فيها وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والعا
ديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت
انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات
فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة
فالموريات قدحا فالتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال
قدح الزند فاورى فالمغيرات تغير اهلها على العدو صبحا اي في
وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا
فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات
به جمعا من جموع الاعداء روي انه عليه السلام بعث خيلا
فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس

العادية

العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات
عن الهوى والعاديات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن
به شوقا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود لكفور من
كند النعمة كنودا او لعاصي بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك و
هو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد
يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد
فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد
لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور من
الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز
ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم
بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا
فيجازيهم وانما قال بما ثم قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين
وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات
سورة القارعة
بالمزدلفة وشهد جمعا سورة القارعة مكية وآيها عشر
بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما
القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث

في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصابه بيوم
بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي
الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو
فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو
في عيشة في عيش راضية ذات رضا او مرضية واما من خفت
موازينه بان لم تكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على
على حسناته فامه هاوية فمأواه النار والهاوية من اسمائها
ولذلك قال وما ادريك ما هية نار حامية ذات حمى عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها
ميزانه يوم القيمة سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان

سورة الهيكم

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى
اللهو منقول من لهي اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم
المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم
بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روي
ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد
مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا
بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه

وهو ما يعنيهم

وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه
الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين
اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخرتكم
فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان
العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همته ومعظم سعيه للدنيا
فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطاء رأيكم اذا
عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا عن غفلتهم ثم كلا
سوف تعلمون تكرير للتأكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من
الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا
لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين
اي كعلمكم ستستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما
لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله
لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف
اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما
ثم لترونها تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد و
الثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية
الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم

المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذى
الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم
بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله
كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الاية
مخصوصة بالكفار عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ الهاكم
لم يحاسبه بالنعيم الذى انعم به فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما
قرأ الف آية سورة العصر مكية وآيها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العصر

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر
لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفى ما يضاف اليه من الخسران
ان الانسان لفى خسر ان الانسان لفى خسران فى مساعيهم وصرف
اعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا
بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت
الذى لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصى
او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على
العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله
لعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان الحق

واستشعارا

واستشعارا بان ما عدا عد يؤدى الى خسر ونقص او لكرما
فان الابهام فى جانب الخسر كرم عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى
بالحق وتواصى بالصبر سورة الهمزة مكية وآيها تسع بسم الله

سورة الهمزة

الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر واللمز الطعن
كاللهز فشاعا فى الكسر من اعراض الناس والطعن منهم وبناء فعلة
يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود
وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة التى
يأتى بالاضاحيك فيضحك او يشتم ونزولها فى الاخنس بن شريق
فانه كان مغتابا او فى الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلعم
الذى جمع مالا بدل من كل او ذم منصوبا او مرفوعا وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائى بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل
او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام
يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا فى الدنيا فاحبه كما يحب
الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه
مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعى
للآخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن فى الحطمة

في النار التي من شأنها ان تحطم ما يطرح فيها وما ادريك ما
الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها
الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه
تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها
بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تألما او لانه محل
العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة
مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال الشاعر تحن الى اجبال
مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة
اي موثقين في اعمدة ممددة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص
وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين عن النبي صلعم من قرأ سورة
الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزئ بمحمد و
اصحابه سورة الفيل مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول صلعم وهو سورة الفيل
وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر
اخبارها فكأنه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير
ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة
بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات روي انها وقعت

في السنة التي

في السنة التي ولد فيها الرسول عليه السلام وقصتها ان ابرهة
بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة
بصنعاء وسماها القليس فاراد ان يصرف اليها الحاج فخرج اليها
رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن
الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى
فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه
الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى
هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر
من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل
فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف
نصب بفعل لا بتر لما فيه معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل
الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم
شأنها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي
الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل
لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على
تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل
من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير

او الاستعجال وهو الارسال او من السجيل ومعناه من جملة العذاب
المكتوب المدون فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه
الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقى صفرا منه او كتبن
اكلته الدواب وروى انه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الفيل اعطاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ سورة قريش مكية

سورة قريش

وآيها اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله
فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط
اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه
فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في
الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او
بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف
مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة و
قرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة
منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن و
لا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى
وصغر الاسم للتعظيم واطلق الايلاف ثم ابدل المقيد عنه للتفخيم
فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين و التنكير

للتعظيم

للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وامنهم
من خوف اصحاب الفيل والتخطف في بلدهم ومسايرهم او
الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي صلعم من قرأ سورة لايلاف قريش
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون

سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع بسم الله الرحمن الرحيم
أرأيت استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همز الحاقا بالمضارع
ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها او رأيتك بزيادة
الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس و
العهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا
عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال
نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه
بعصاه او الوليد بن مغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض
اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء
ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم
على صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم
يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليهم ويمنعون
الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان

عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ
فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة
من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك
رتب عليها الويل وللسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين
موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ارأيت غفر له ان كان للزكوة
مؤديا سورة الكوثر مكية وآيها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكوثر

انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثير من العلم
والعمل وشرف الدارين وروي عنه الصلوة والسلام انه نهر
في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن
وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة
لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه
او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلوة خالصا
لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان
الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار
اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم
الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت

الصلوة

الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من
ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يكون منه
نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك و
آثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من
كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه
العباد في يوم النحر سورة الكافرون مكية وآيها ست بسم الله

سورة الكافرون

الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم
الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد
تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون
اي فيما يستقبل من الزمان فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى
الاستقبال كما ان ما لا يدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم
عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد
ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اي
وما عبدتم في وقت ما ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على
طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا
موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما

بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال
لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية
وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان لكم دينكم
الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس
فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال
اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الاخر على
دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ
ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر

سورة النصر مدنية واياتها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء
نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة و
قيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم
وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة
من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا و
قد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره
ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل
مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب يدخلون

حال

حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت
فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له
عليه او فصل له حامدا له على نعمه روي انه لما دخل مكة بدأ
بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت
الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله
بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما
لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات
الى غيره وعنه صلى الله اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة
وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار
على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت
شيئا الا ورأيت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر منذ خلق
المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول
الله لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك فقال
نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على
تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اليوم اكملت لكم دينكم
او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولذا سميت سورة
التوديع وعنه عليه السلام من قرأ سورة اذا جاء اعطي من الاجر

كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة سورة تبت مكية وآيها خمس

سورة تبت

بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت والتباب خسران
يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه و
انذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب
تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد
بهما دنياه واخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته
او لان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب
النار كانت الكنية اوفق وليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب
كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضي
لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب
العاديات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار
عما كسبت يداه والثاني عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء
المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها
النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح
والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده
عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير

ومت

ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة و
ترك ميتا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه
فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب ذات
اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز
ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامرأته
عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وهي ام جميل اخت ابي سفيان
حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها تحمل الاوزار بمعاداة الرسول
وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او
حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم في جيدها
حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله
وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة
في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون
على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها
سلسلة من نار جهنم والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل
مرتفع به عن النبي صلعم من قرأ سورة تبت رجوت الله ان لا يجمع
بينه وبين ابي لهب في دار واحدة سورة الاخلاص مختلف فيها

سورة الاخلاص

وايها اربع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير
للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره
الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اى الذى
سألتم عنه هو الله تعالى اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا
ربك الذى تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع
صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى
ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما
كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب
الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية
وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه فى قل يا ايها الكافرون
ولا يجوز فى تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة
الرسول او موادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان تكون
منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه
اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اليه اذا قصد
وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل
ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته
بخلاف احديته وتكرير لفظة الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق

الالوهية

الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى
او الدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او
يخلفه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ
الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله
او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه
عدم ولم يكن له كفوا احد اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله من
صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا
لكن لما كان المقصود نفى المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم
ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى كفوا او خبرا او يكون كفوا حالا
من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لان المراد منها نفى
اقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرأ حمزة
ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة
وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع
المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل
ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام و
القصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن
النبى صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأها فقال وجبت

قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة سورة الفلق
مختلف فيها وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب
الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو
سورة الفلق
يعم جميع الممكنات فانه تع فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها
سيما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص
عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال
وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيمة
والاشعار بان من قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب
هنا اوقع من ساير اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية
من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار
الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد
كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر
غاسق ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء
يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل
انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل
ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع
ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف

ويغسق

ويغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد
ومن شر النفوس او النساء السواحر اللواتي يعقدن عقودا في
خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما
روي ان يهوديا سحر النبي صلعم في احدى عشرة عقدة في
وتر دسه في بئر فمرض عليه السلام فنزلت المعوذتان فاخبره
جبرائيل بموضع السحر فارسل عليا فجاء به فقراهما عليه و
كان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك
صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة
السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل
مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها
بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد و
من شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه
لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه
بسرور غيره وتخصيصه لان العمدة في اضرار الانسان بل
الحيوان وغيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما
يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية
من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث

في العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا
طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب
القريبة للمضرة عن النبي عليه السلام لقد نزل علي سورتان ما
انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما
يعني المعوذتين سورة الناس مختلف فيها وآيها ست بسم

سورة الناس

الله الرحمن الرحيم قل اعوذ قرئ في السورتين بحذف الهمزة
ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة في
السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان و
غيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض
النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمه وخصصها
بالناس ههنا وكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم
الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك الناس اله
الناس عطف بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا
يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر
عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف
فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان
له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات

كل شيء

كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به
على انه المستحق للعبادة لا غير ويتدرج في وجوه الاستعاذة
المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا
بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد
البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس اي الوسوسة
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به
الموسوس وسمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان
يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في
صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية
فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة
خنست واخذ يوسوسه ويشككه ومحل الذي الجر على
الصفة او النصب او الرفع على الذم من الجنة والناس بيان
للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدور
هم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد
به ما يعم الفريقين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي
كقوله تعالى يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم
الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين

فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى والحمد لله
رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم والتابعين
تمت النقصان من تفسير البيضاوي
بيد السيد موسى نظيف
الفقير الى ربه
اللطيف

١٢٥١

ع
١٩٥
م

